

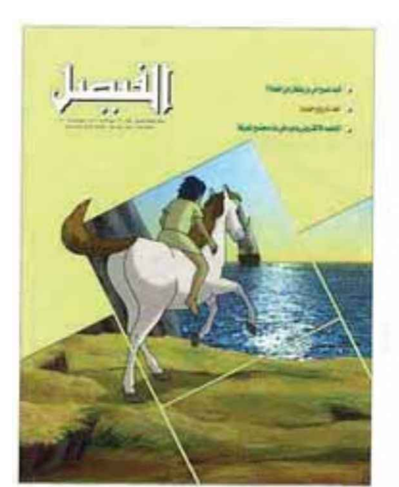
مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٤٦ - ربيع الآخر ١٤٢٦هـ - مايو/يونيو ٢٠٠٥م
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 346 - May - June 2005

- كيف أصبح حي بن يقظان ابن الغابة؟!
- العلا: تاريخ وحضارة
- التعليم الإلكتروني ودوره في بناء مجتمع المعرفة

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٤٦- ربيع الآخر ١٤٢٦هـ - مايو/ يونيو ٢٠٠٥م
ALFAISAL MAGAZINE - No 346 - May-June 2005



كيف أصبح حي بن يقظان ابن الغابة؟

عمل ابن طفيل الشهير «حي بن يقظان» تحول مؤخراً في المجـر إلى فلم سينمائي كرتوني طويل باسم «ابن الغابة» فما الجديد الذي يحمله هذا الفلم؟ وما اختلافه عن أفلام طرزان التي اقتبست هي الأخرى من قصة ابن طفيل؟
هذان السؤالان وغيرهما من الأسئلة يجيب عنها مخرج الفلم العراقي ثامر الزيدي.

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير:

حسين حسن حسين
محسن بن حمد الخرابة
نايف بن مارق الظيط
حوى النبي علي صالح

الإخراج الفني:

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ . ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات.
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف ٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.
ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

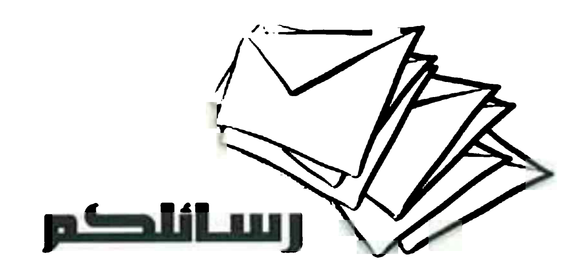
السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . الإمارات ١٠ دراهم . قطر ١٠ ريالات . البحرين دينار واحد . عُمان ريال واحد . الأردن ٧٥٠ فلس . اليمن ١٠٠ ريال . مصر ٤ جنيهات . السودان ١٥٠ دينارًا . المغرب ١٠ دراهم . تونس ٢٥٠، ١دينار . الجزائر ٨٠ دينارًا . العراق ٨٠٠ فلس . سورية ٤٥ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد .

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء، هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢.. سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١، ٠٠٩٦٣ . تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٢نهج المغرب . ص.ب ٧١٩، فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ . ٧١ . ٠٠٢١٦ . قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٠٠٩٧٤ . الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦. ٠٠٩٦٢ . البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣١٢٨١ . ٠٠٩٧٣ . الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٠٠٩٧١ . الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٠٠٩٦٥ . المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ . ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ . ٢ . ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٢



الرقم المجاني: ٨٠٠١٢٤٠٠٢٨



اقتباس لا اكتشاف!

ابعث إليكم بخالص التحيات، وصادق التمنيات بموفور الصحة والسعادة، ودوام التقدم والازدهار.

أرجو إعلام سعادتكم أن (الفيصل) «الغراء» العزيزة على قلوبنا نشرت في عددها ٣٤٤ (صفر ١٤٢٦هـ/ مارس - ابريل ٢٠٠٥م) على صفحاتها (٦٢، ٧١) موضوعًا بعنوان: «كهف منطقة سحاب في الأردن هل هو الكهف المذكور في القرآن الكريم؟» للدكتور/ يحيى حسن وزيري - القاهرة - مصر.

وبما أن الموضوع مقتبس في معظمه من كتاب: «أهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية» لمؤلفه: محمد تيسير ظبيان، والصادر عن دار الاعتصام في مصر عام ١٩٧٨م، إذ إن والدي محمد تيسير ظبيان هو مكتشف الموقع المذكور عام ١٩٥٠م، فقد لوحظ أن الكاتب لم يذكر أي مرجع أو مصدر لمعلوماته، ونسب عامدًا متعمدًا الموضوع إلى نفسه، دون إعطاء مكتشف الموقع، وصاحب الكتاب (والمصدر الأساسي) أي إشارة أو اعتبار، فلم يذكر في مراجعه سوى بعض التفاسير.

فمجلتنا العالمية «الفيصل» تأبى إلا إحقاق الحق دوما .. لذا أرجو التكرم بتوجيه من يلزم للتنويه في العدد القادم بالمكتشف والكتاب ومؤلفه .. مع احتفاظ الورثة بالحق القانوني.

شاكرين لكم كريم اهتمامكم وتعاونكم، معتزين بمجلتنا «الفيصل».

قيس محمد تيسير ظبيان

عمان - الأردن

التحرير:

نشكر لكم اهتمامكم بالتعقيب، وما كتبه الدكتور يحيى حسن وزيري هو مسؤول عنه، وليته يرد على ما أشرت إليه، مقدرين لوالدكم الكريم ما قام به من جهد علمي كبير.

لا تعديل!

أود أن أستهل رسالتي هذه بتقديم موفور تحياتي وتقديري لكل العاملين في مجلة الفيصل الغراء، وإني إذ أشكركم على جهودكم المبذولة والملموسة، التي نلمس أثرها مع إطلالة كل عدد، لا أملك إلا أن أدعو لكم بمزيد من التقدم والازدهار. وأحب أن أشكركم على التغيير الذي طرأ على مسابقة المجلة أخيرًا، وأدعوكم أن تظل المسابقة على شكلها الحالي من دون خيارات؛ لأنني أراها جيدة جدًا، ولا تحتاج إلى تعديل، وفيها إنصاف للمتسابقين المجتهدين. وفقكم الله دائمًا إلى ما فيه الخير.

محمد عبدالغفار علي سلامة

المنصورة - مصر

التحرير:

نشكر لك إطراءك، وستظل المسابقة على حالها، كما طلبت فترة، وقد يتطلب الأمر بعد ذلك تجديدًا في المضمون والشكل، وهذا يعتمد على آراء الإخوة القراء الكرام.

لماذا لا يتساوى الجميع؟

وفقكم الله على هذه المطبوعة الرائعة التي تشكل مع

أخوات لها عنصرًا جامعًا للعرب.

بخصوص المسابقة أضم صوتي إلى أصوات المنتقدين لها من ناحية الجوائز.

لماذا يحصل الفائز الثامن على جائزة أقل من الفائز الأول علمًا أنهما أجابا الإجابة نفسها ..

تجيبون: القرعة.

يمكن أن يقبل القارئ هذه الفكرة لو كانت الجوائز توزع في بلد عربي واحد. أما كون كل بلد عربي لا يكون نصيبه سوى جائزة واحدة .. فيشعر القارئ بالغبن. وهو يرى الجائزة الأولى تذهب دائمًا إلى مصر. أقترح أن تجمع القيمة المالية للجوائز الثماني. ثم توزع بالتساوي على كل الرابحين. ودمتم.

هديل مالو

حمص . سورية

التحرير:

أولاً التدرج في الجوائز قاعدة لكثير من المسابقات التي تجري في أي مجال من المجالات. وإذا أردنا منح جوائز مماثلة. فإنه لا مناص من إنقاص قيمة الجوائز المقدمة. أو تقليل عددها: لأن هناك تكلفة مالية محددة مرصودة لها.

وإذا أردنا أن يكون لكل بلد عربي جائزة. فإن ذلك يعني تحديد ٢٢ جائزة على الأقل. علمًا بأن هناك مشاركين كثيرين من خارج الوطن العربي. وهذا ما يعني زيادة عدد الجوائز. وإذا كان أكثر الفائزين من مصر. فهذا شيء طبيعي إذا أخذنا في الحسبان الكثافة السكانية فيها. وارتفاع نسبة المشاركين منها.

قناعتنا ان أي طريقة أخرى غير القرعة لا يمكن أن تكون عادلة. مع مراعاة تعدد جنسيات الفائزين. وعمومًا نشكر لك اقتراحك. ونأمل أن نتمكن من زيادة عدد الجوائز مع عدم إنقاص قيمتها. بل إننا نجتهد حتى نزيد قيمة كل الجوائز المقدمة. شاكرين لكل الإخوة الحريصين على المشاركة في المسابقة.

ردود سريعة

الأخ باسم موسى جاويش ـ حلب ـ سورية:

لقد أرسلت نظمًا لأستاذ لك، ولم تكتب غير حروفه الأولى، ومع احترامنا له، كنا نود أن يذكر اسمه صراحة؛ لأن ما حمله من نقد للمجلة ليس صحيحًا ألبتة، فالمجلة ثابتة على منهجها، وهي تعمل على خدمة الثقافة العربية والإسلامية.

الأخ هشام صقر ـ القاهرة ـ مصر:

نشرت «الفيصل» كثيرًا من الاستطلاعات عن مصر، وغاصت في أعماق حضارتها، ويسرنا أن نتلقى من المقالات والاستطلاعات عن مصر وغيرها من الدول ما يستحق النشر، شاكرين لكم حرصكم على اقتناء مجلتكم.

الأخ رشدي أباظة عبدالرحيم ـ شيكاغو ـ الولايات المتحدة الأمريكية:

توزيع المجلة على مستوى الولايات والمدن الأمريكية يبدو صعبًا، ولك حق في مطالبتك بأن يكون هناك موقع للمجلة ليطلع عليها القراء في كل مكان، وقد تم البدء بهذه الخطوة، ونأمل أن يرى الموقع النور في القريب لتحقيق مزيد من التواصل بين المجلة وقرائها في العالم.

الأخت مرفت حسن جاسر ـ أبوظبي ـ الإمارات:

المجلة توزع في أبوظبي، ولكن قلة الكمية قد تحول دون حصولك عليها، والوسيلة الأفضل لاقتناء المجلة شهريًا بلا انقطاع هي الاشتراك الذي يضمن وصولها إليك بعد صدورها مباشرة.



استطلاع



العلا: تاريخ وحضارة

تركي بن إبراهيم بن عبد الله القهيدان

القصيم ـ السعودية

منطقة العُلا من أبرز المناطق التاريخية والأثرية في جزيرة العرب. وتعدّ من أهم المناطق الزراعية بمنطقة المدينة المنورة؛ وذلك لتوفر المياه، وخصوبة التربة. كذلك تعدّ من أهم مناطق المملكة، التي تتميز بظواهرها الجيومورفولوجية والسياحية. وتمتاز العُلا أيضًا بموقعها الجغرافي: فهي تقع على خط التجارة القديم بين الشمال والجنوب، وكانت محطة من محطات الطريق الشامي، ثم أصبحت محطة على خط سكة حديد الحجاز، وانتعشت لذلك أسواقها وتجارتها. وبعد أن عبّد الطريق ما بين المدينة وتبوك فقدت العُلا جانباً من أهميتها كموقع جغرافي؛ إذ هُجِرَ الطريق التاريخي القديم أول مرة في التاريخ الإسلامي!

الموقع

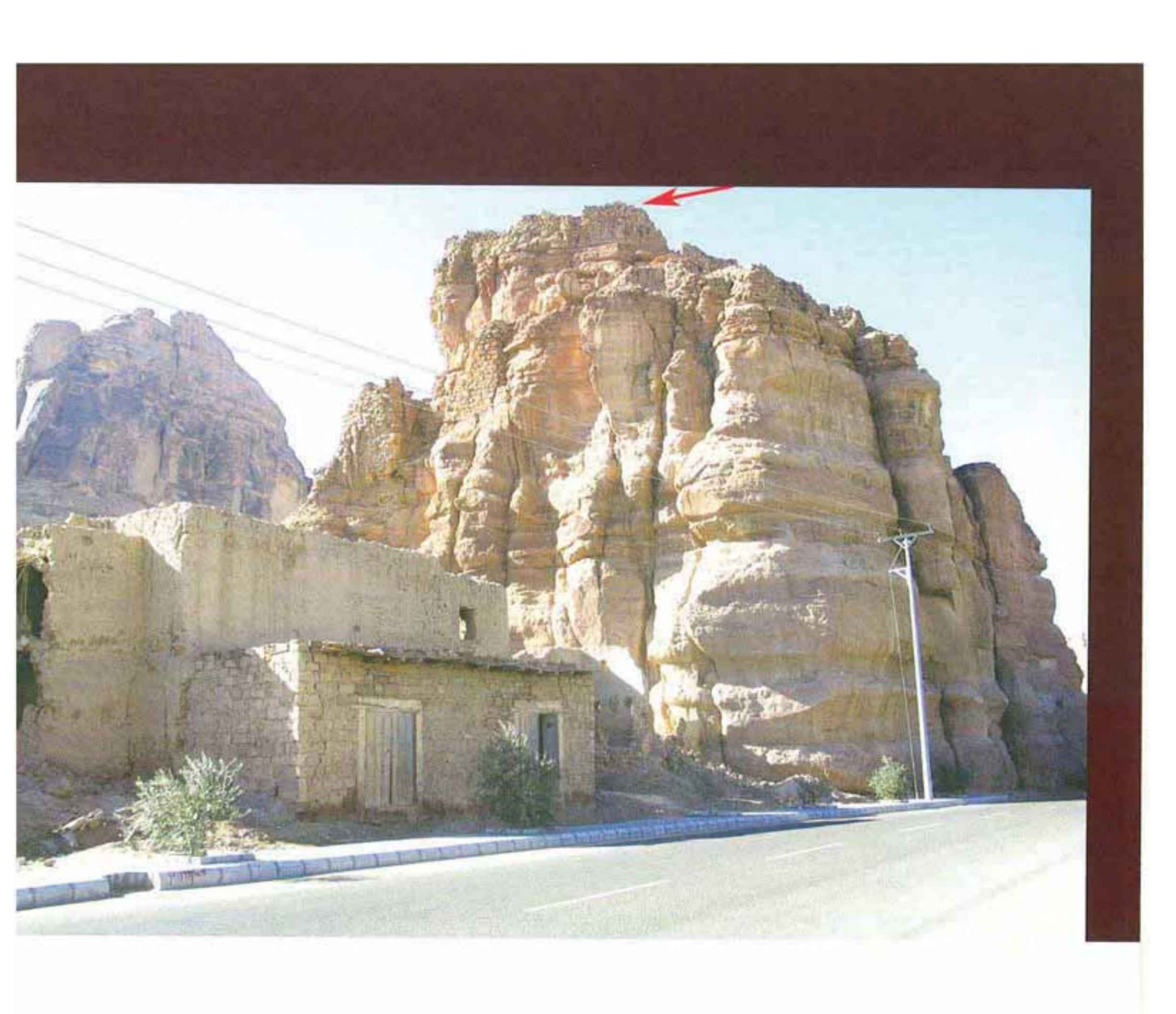
تقع مدينة العُلا شمال غرب المدينة المنورة، وتبعد عنها نحو ٢٩٣كم، وجنوب غرب تيماء على بعد ١٢٨كم تقريباً، وإحداثيات مركز البلد كالآتي: (٤٩٧، ٤٤٧)، (٥٥، ٣٦)، (٣٧، ٢٦). ووفقاً للتقسيم الإداري الذي حدث مؤخراً، صنفت العُلا محافظة فئة (أ) مرتبطة بإمارة المدينة المنورة.

لمحة تاريخية

يرى بعض المؤرخين أن العُـلا بنيت على آثار ديدان ولحيان، وتعرف في الوقت الحالي بخريبة العُلا. كما يعتقد أن الأنباط عندما استولوا على (الحِجْر) حولوا الطريق التجاري عن ديدان ليحرموها من أهم الموارد المالية، بعد ذلك خلت من السكان، وأصبحت خرائب.

وفي الحديث ذكر العُلا بالضم والقصر هو موضع من ناحية وادي القرى نزله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى تبوك، وبه مسجد(١).

وفي القرن السابع شاع استعمال اسم العُلا، أكثر من ذي قبل، وعندما ازدهر طريق الحج من الشام إلى مكة،



ابتداء من القرن الأول الهجري. كانت العُلا من المحطات الرئيسة على الطريق. خاصة من القرن السادس الهجري وما بعده حتى إنشاء خط سكة حديد الحجاز (٤).

وقد وصف ابن بطوطة العُلا بأنها (قرية حسنة) حين قال: بين الحجر والعلا نصف يوم أو دونه. والعلا قرية كبيرة حسنة لها بساتين النخيل. والمياه العذبة. ويقيم بها الحجاج أربعة أيام. يتزودون ويغسلون ثيابهم. ويودعون بها ما يكون عندهم. من فضل الزاد. ويستصحبون قدر الكفاية. وأهل هذه القرية أصحاب أمانة. وإليها ينتهي تجار نصارى الشام لا يتعدونها. ويبايعون الحجاج الزاد وسواه. ثم يرحل الركب من العُلا فينزلون في غد رحيلهم الوادي المعروف بالعطاس. وهو شديد الحر (٥).

أقول: ما زالت العُلا مدينة حسنة. لها بساتين من النخيل. والمياه فيها عذبة. بل بعض المناطق التي تحيط بها تسمى بـ «المعذب» لعذوبة الماء فيها. أما الحجاج اليوم فلا يقيمون بها: لأن الطريق التاريخي القديم هُجِرَ أول مرة!.

ويعدّ ياقوت الحموي من أشهر الجغرافيين الذين عنوا بالمعالم الجغرافية في الجزيرة العربية. وقد حظيت منطقة العُلا وما حولها بنصيب وافر من المعلومات. فيذكر عن العُلا: العُلا بضم أوله والقصر. وهو جمع العلياء. وهو اسم لموضع من ناحية وادي القرى بينها وبين الشام. نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى تبوك. وبُني مكان مصلاه مسجد (٦).

ويبدو أن الفيّروزآبادي نقل لنا المعلومات نفسها التي أوردها الحموي حين قال: العُلا . بالضم والقصر . موضع بناحية وادي القرى نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم. في طريقه إلى تبوك. وبنى مكان مصلاه مسجده (٧).

وقال عاتق البلادي في كتابه مُعجم معالم الحجاز: «لا نعلم متى أطلق اسم العُلا غير أن عادة أهل الحجاز تسمي أعالي الأودية بالعوالي والمعالي والعالية وغيرها، فلا شك أن الاسم أتاها من هذا القبيل. لأنها أعلى وادي القرى. وأول من رأيته ذكرها ابن بطوطة» (٨).

كما أفادنا ابن بطوطة أن المنطقة التي بين العُلا وتبوك مخوفة حين قال: (للبرية المخوفة التي بين العُلا وتبوك). ويضيف في موقع آخر: ثم يرحل الركب من تبوك. ويجدّون السير ليلاً ونهاراً خوفاً من هذه البرية. وفي وسطها الوادي الأخيضر كأنه وادي جهنم (٩).

أهم المواقع الأثرية والسياحية في مدينة العُلا وما حولها

تعدّ العُلا محطة على الدرب. ويمرّ بها خط حديد الحجاز. الذي يساير درب الحجاج الشامي. كما يوجد فيها عدد من النقوش والقلاع والسدود والكثير من المقابر المنحوتة في الجبال. وهناك أيضاً الشواهد الأثرية الكثيرة التي تؤكد وجود جالية معينية في العلا (١٠). وفي منطقة العُلا عدة مواقع ومعالم جغرافية وأثارية وسياحية. منها:

. البلدة القديمة:

تقع البلدة القديمة شمال مركز العُلا بميل نحو الغرب على بعد ١ .٢كم. ولها ١٤ باباً (١١). كما يصل عدد بيوتها إلى قرابة ٧٣٢ منزلاً. تخترقها بعض الأزقة. بعض المنازل في البلدة شبيهة بالمنازل الطينية المنتشرة في نجد. إلا أنه استخدم في بنائها الصخور الرسوبية عوضاً عن الطوب الطيني. وتظهر الصخور الرسوبية المهذبة واضحة في بعض المنازل. بعد أن أزالت عوامل التعرية اللياسة الطينية فيها.

ومن أهم المعالم في البلدة:

. مسجد الصخرة:

بناه أحمد بن يسرة في عام ٧٨٠هـ. وسمّاه بهذا الاسم.

. قلعة العُلا:

تقع القلعة شمال مركز العُلا بميل نحو الغرب على بعد ٢٨ .٢كم. وإحداثيات الموقع كالآتي: (٩٢٩، ٥٦٣)، (٥٤ . ٣٧)، (٣٧ . ٢٦). وتربض قلعة العُلا فوق جبل أم ناصر. ويزعم بعضهم أنها قلعة موسى بن نصير من دون دليل (١٢). والذي يظهر لي أنها منشآت حجرية قديمة.

. الساعة الشمسية (الطنطُورة):

تقع الطنطورة شمال مركز العُلا بميل نحو الغرب على بعد ١ .٢كم. وإحداثيات الموقع كالآتي: (٩٨٩، ٤٧٥)،

يرى بعض المؤرخين أن العُلا بنيت على آثار ديدان ولحيان. وتعرف في الوقت الحالي بخريبة العُلا. كما يعتقد أن الأنباط عندما استولوا على (الحِجْر) حولوا الطريق التجاري عن ديدان ليحرموها من أهم الموارد المالية. بعد ذلك خلت من السكان. وأصبحت خرائب



اربعة مدافن كبيرة في الخريبة

(٥٤ . ٣٧ً). (٣٧ . ٢٦ً).

وهي بناء حجري هرمي تسمى: (الطَنطُورة). تتميز بالدقة الهندسية، وتستخدم كمزولة شمسية لمعرفة الفصول، وتقسيم النهار، وللاستدلال بها على مواسم

في القرن السابع شاع استعمال اسم العُلاَ، أكثر من ذي قبل، وعندما ازدهر طريق الحج من الشام إلى مكة، ابتداء من القرن الأول الهجري، كانت العُلاَ من المحطات الرئيسة على الطريق، خاصة من القرن السادس الهجري وما بعده حتى إنشاء خط سكة حديد الحجاز

الزراعة، كما يستفاد منها في حساب الوقت، وفي توزيع مياه العيون على المزارعين.

. محطة سكة حديد العُلا:

تعد محطة سكة حديد العُلاَ من أهم المحطات على خط سكة حديد الحجاز، وهي تقع شرق مركز العُلاَ على بعد ١٥٧٠م، وإحداثيات الموقع كالآتي: (٤٠٦. ٢١٥)، (٥٦. ٣٦)، (٣٧ً . ٢٦ً). ويضم مبنى سكة الحديد عددا من المنشآت الحجرية، كما تظهر في الجهة الجنوبية من المبنى مروحة هوائية يبدو أنها لرفع الماء، كذلك توجد منشآت حجرية فوق قمة تل يقع بالقرب من منشآت محطة سكة حديد العُلا، يوحي موقعها بأنها برج للمراقبة، وقلاع للتحصن.

. جبل أم درج:

يقع جبل أم درج شمال غرب مركز العُلا على بعد

٤٨٠م. وإحداثيات الموقع كالآتي: (١٩٩. ٥٩١). (٥٤ . ٣٨). (٣٧ . ٢٦).

وسمي بأم درج لوجود درج منحوت في الصخر يبدأ من سفح الجبل، وينتهي بالقمة. وعلى قمة الجبل توجد مجموعة من التلال الأثرية، وهي أطلال لعدد من المعابد، تنتشر فيها المذابح والمجامر والتماثيل التي يحمل بعضها كتابات لحيانية ومعينية. كما ينتشر في الموقع عدد من النقوش اللحيانية، والكسر الفخارية.

الجدير بالذكر أن الأنباط كانوا يهرقون الخمر، وبعض السوائل الأخرى على معبوداتهم، ويحرقون البخور تكريماً لها.

وقد عثر بين أنقاض معبد أم درج على عدد كبير من أجزاء التماثيل، وعدد من النقوش التي يتحدث بعضها عن بناء المعبد. كما عثر على عدد من المذابح بعضها عليها نقوش، تتحدث عن الحج، أو تقديم قرابين للمعبود، وبعض هذه المذابح لها مسراب طويل يسيل فيه الدم أو السائل، ليصب في قناة تنقل الدم أو غيره من السوائل التي تسكب من المذبح إلى المكان المقصود، الذي ربما يكون رأس المعبود أو ينسكب أمامه.

. جبل عكمة:

يقع جبل عكمة شمال مركز العُلا على بعد ٢٧.٩كم، وإحداثيات الموقع كالآتي: (١٨٤. ٣٠٥). (٥٤ . ٤١). (٣٧ . ٢٦). ويضم الموقع مجموعة من النقوش والرسوم الواضحة المعالم لأشكال أدمية وحيوانية. كما يحوي مجموعة من الكتابات اللحيانية، كُتِبَتْ على سفح جبل عكمة، بعضها مكتوب بطريقة إبراز الحرف، ومكون من عدة أسطر، تفصل بينها خطوط أفقية بارزة، أما بعضها الآخر فمكتوب بحروف غائرة، وبعضها الثالث فمكتوب بطريقة الحزّ. ويلاحظ أن بعض من نقوش هذا الجبل واضحة المعالم.

وفي دراسة لمجموعة من النصوص، عثر عليها في منطقة دادان (العُلا حاليا) جاءت من جبل عكمة الذي يحوي عدة نقوش ورسوم لحضارات متعددة. تبين أنها تدور حول محورين رئيسين، الأول: المحور الديني: الذي يكشف عن عاداتهم في تقديم الهدايا والقرابين لمعبود مملكة لحيان الرئيس ذي غَيْبة. أما الثاني: فهو المحور الاجتماعي: الذي يتحدث عن موضوعات تذكارية، تمثلت في تخليد ذكرى عدد من أفراد المجتمع اللحياني.

كما عثر على عدد من المجامر التي تقدم للآلهة، وهي إما أن تكون صغيرة الحجم وتستخدم لحرق البخور، وإما أن تكون كبيرة الحجم، وتستخدم لحرق الذبائح التي تقدم للمعبد.

. المابيّات (مدينة قُرْح):

موقع مدينة (قُرْح) في الزمن القديم هو مكان المابيّات في الوقت الحالي، وهي تقع جنوب غرب مركز العُلا نصاً على بعد ١٦.٩كم، وإحداثيات الموقع كالآتي: (٩٢٦. ١٨٧). (٠٢ . ٣٠). (٣٧ . ٢٦).

ويبدو أن تسميتها في الزمن الحديث بهذا الاسم: لأن مكانها في متسع من الأرض تجتمع فيه الأودية، وهي تشكل

منظر عام لمقابر الحريبة، يبدو أن عوامل التعرية غيرت كثيراً من ملامحها





جلاميد من الصخر وأكوام من الحجارة توحي بأن المنطقة دمرت بما يشبه الزلزال. والأسهم تشير إلى أكوام من الحجارة ومدفن منحوت في قمة جلمود صخر. وهي أعلى الصورة جهة اليمين جانب من جبل عكمة. كما تظهر أشجار النخيل على امتداد وادي القرى

مدينة كبيرة يعود تاريخها إلى العصرين الأموي والعباسي.

وقد ورد ذكر هذا المكان في المصادر التاريخية والجغرافية باسم مدينة (قُرْح) ثاني مدينة في الحجاز بعد مكة. كما وصفها الفيروزآبادي بأنها من أسواق العرب في الجاهلية حين قال: «قُرْح: اسم لسوق وادي القرى وقصبتها من أعمال المدينة ناحية الشام». وفي حديث أبي شموس البلوي «صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي في صعيد قرح. فعلّمنا مصلاه بعظم، وحجارة. فهو في المسجد الذي يصلي فيه أهل وادي القرى.. وقبل بهذه القرية كان هلاك عاد قوم هود عليه السلام: قال أمية بن أبي الصلت:

أهل قُرْح بها قد أمسوا ثغورا

أي متفرقين. جاهلين (؟) الواحد ثغر. وكانت من أسواق العرب في الجاهلية (١١).

قال عبدالله بن رواحة:

جلبنا الخيلَ من أجام قُرْحِ
تغر من الحشيش لها العكوم

وأنشد أحدهم:

تتابعنَ في الأقران حَتَّى حَبَستُها
بقُرْح، وقد أَلْقَيْنَ كُلَّ جَنينِ

قال جميل بن معمر:

ونحن مَنَعْنا ذا القُرى من عدُوّنا
وعُذْرَة إذ نلقى يَهُوداً وبعشرا
منَعْناه من عُليا معدٍّ وأنتمُ
سفاسيفُ رَوْحٍ بين قُرْحٍ وخَيْبرا
فريقانِ رُهْبانٌ بأسفَلِ ذي القُرى
وبالشام عرّافون فيمن تنصّرا (...)

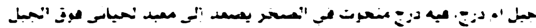
وقد أفل نجم هذه المدينة في القرن السادس الهجري، ثم أصبحت العُلاَ منذ القرن السابع الهجري حاضرة الوادي (...). وفي عام ١٩٨٤م قامت وكالة الآثار باجراء تنقيبات أثرية في الموقع كشفت عن بقايا مدينة إسلامية محاطة بسور متعرج وبعض المباني مشيدة باللبن المجفف والآجر.. ومن أهم المعثورات التي وجدت في هذا الموقع الخزف ذو البريق المعدني، الذي يعدّ من أجود منتجات الخزف الإسلامي (...).

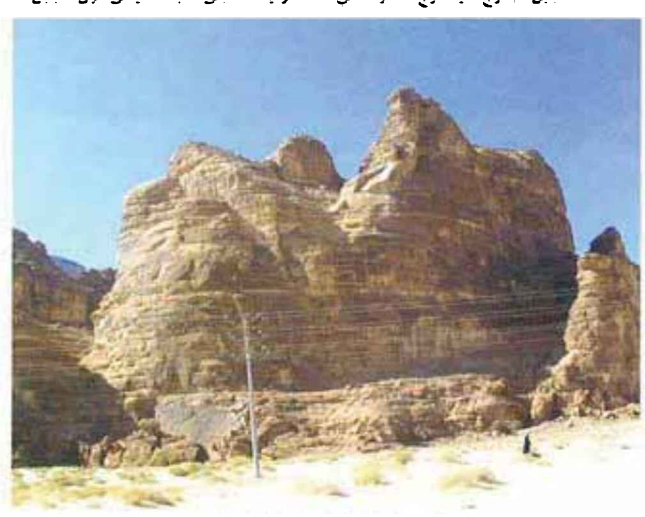
كما عثر في موقع المابيّات على الكثير من الملتقطات، منها: مجموعة من الكسر الزجاجية، وجرة من الفخار غير المزجج، ودرهم أموي من الفضة، ودينار عباسي من الذهب، ودرهم ساساني من الفضة، وفلس بيزنطي من النحاس، وفلس اموي من النحاس.

- وادي دثن:

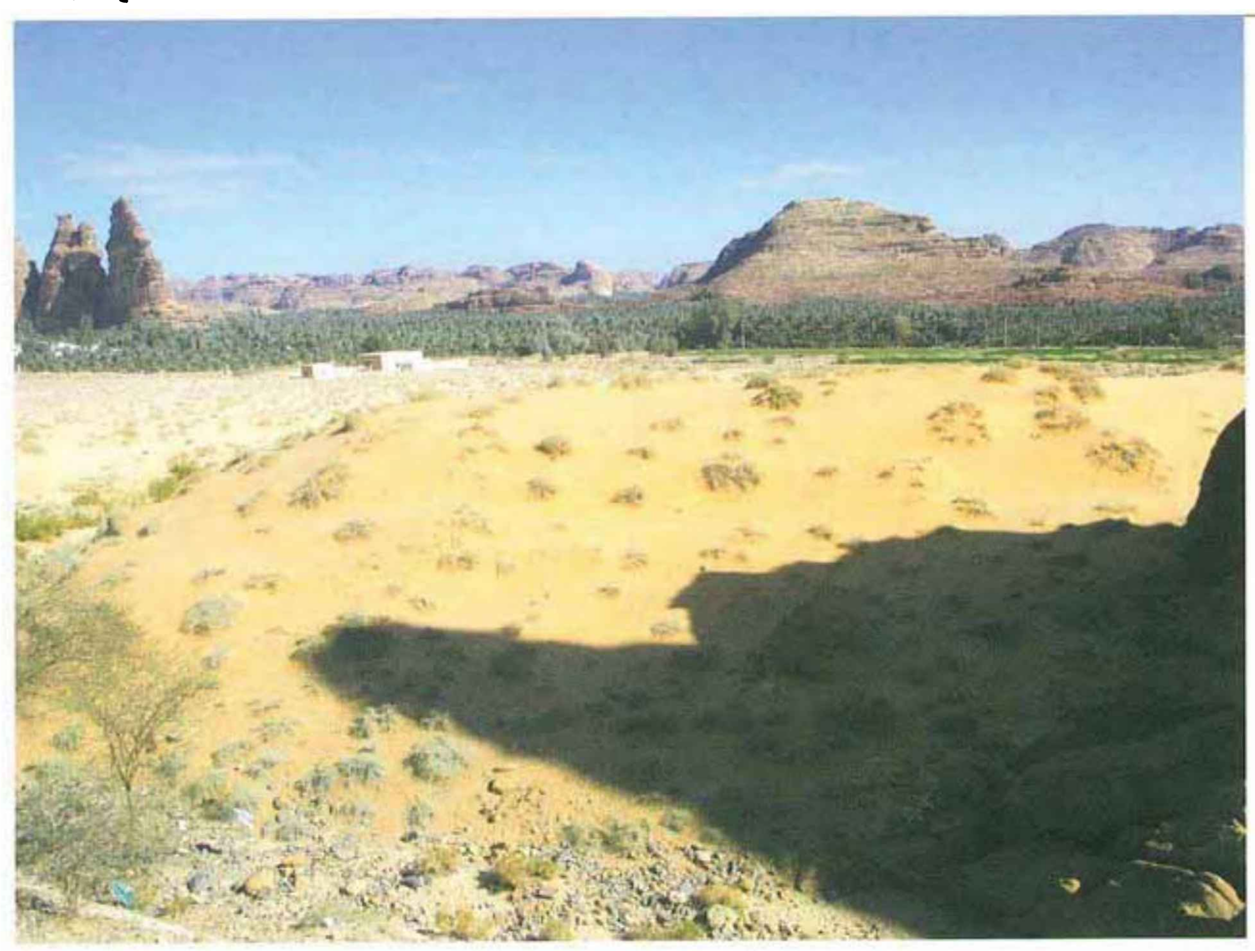
يقع إلى الشمال الغربي من العُلا على بعد ١٠كم تقريباً، وقد عثر فيه على عدد من النقوش مكتوبة على صخرة صغيرة تبعد عن تل النثلة (...) الأثري قرابة ٢كم

ما زالت العُـلاَ مدينة حسنة، لها بساتين من النخيل، والمياه فيها عذبة، بل بعض المناطق التي تحيط بها تسمى بـ "المعذب" لعذوبة الماء فيها. أما الحجاج اليوم فلا يقيمون بها؛ لأن الطريق التاريخي القديم هُجِرَ أول مرة!


جبل ام درج، فيه درج منحوت في الصخر يصعد إلى معبد لحياني فوق الجبل


احد اسماط المقابر في الخريبة

لا نعلم متى أطلق اسم العُلاَ غير أن عادة أهل الحجاز تسمي أعالي الأودية بالعوالي والمعالي والعالية وغيرها، فلا شك أن الاسم أتاها من هذا القبيل، لأنها أعلى وادي القرى، وأول من رأيته ذكرها ابن بطوطة



العذيب وتظهر أشجار النخيل على امتداد وادي القرى

في اتجاه الغرب. وإلى الشرق من الصخرة يوجد تل أثري. كما عثر على عدد من النقوش مكتوبة على الجبل الواقع إلى الشمال من هذه الصخرة .(...).

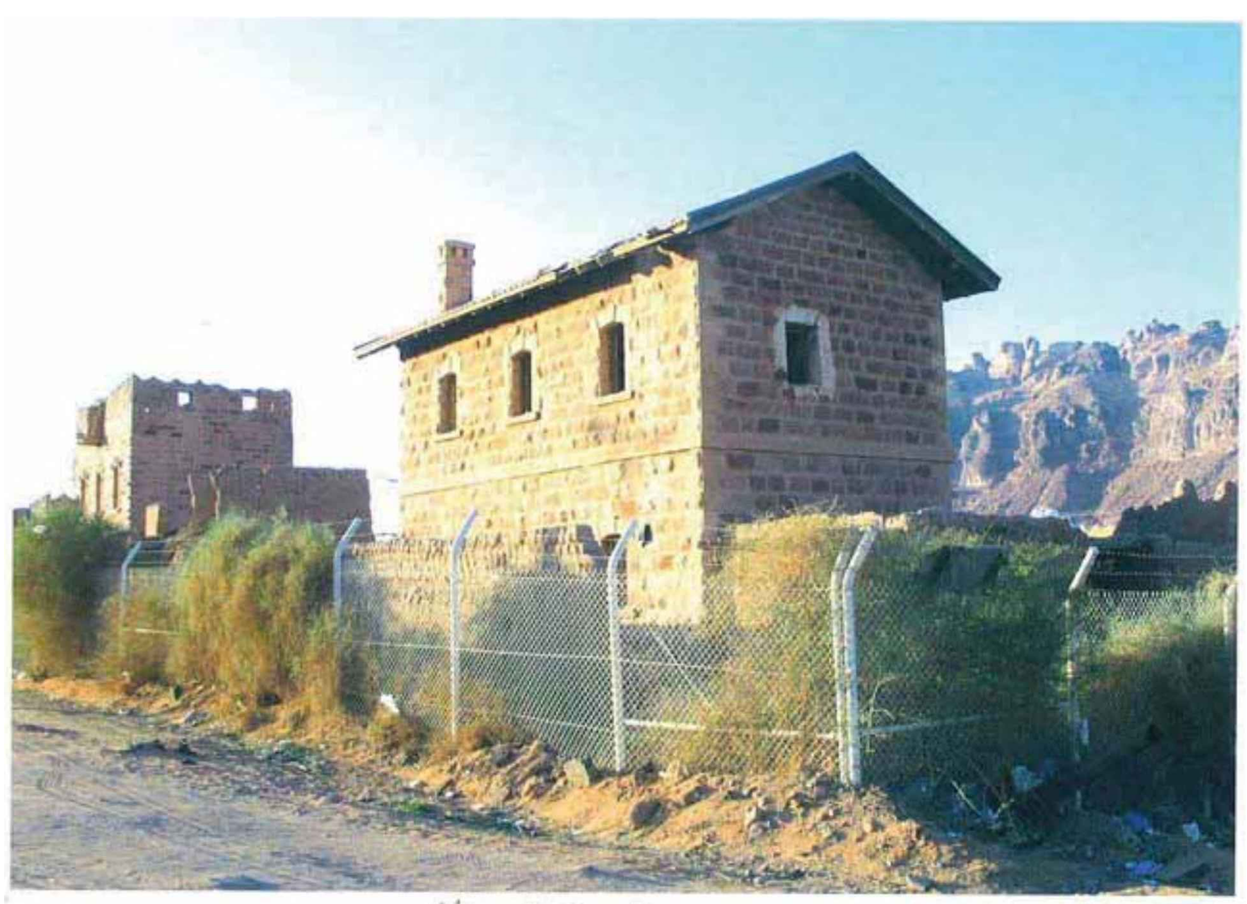
- خيف الزهرة:

تقع شمال الخريبة. وتبعد عنها نحو ١كم. وهي مدينة ريفية زراعية. إبان الألف الأول قبل الميلاد. ويبين الفخار الذي عثر عليه في خيف الزهرة والخريبة أن المناطق الإنشائية متعاصرة .(...).

وخلال زيارتي في سنة ١٤٢٥هـ. بحثت عن هذا الموقع. فذكر لي بعض سكان المنطقة أن المكان غير معروف. فسألت كبار السن والمختصين. فأكدوا لي: أن الموقع لايعد موقعا أثريا. فنتائج المجسات لم تكشف ما يستحق الذكر! كما أن المكان حاليا محاط بالمزارع.

- ابو عود:

يقع إلى الشمال الغربي من العُلا. وشمال غرب جبل عكمة. وهو مسيل بين جبلين. ويوجد به أماكن تحتفظ بالمياه بعد سقوط الأمطار فترة من الزمن. وكان هذا الموقع مقصداً للناس لتوفر المياه فيه. وكذلك لتوفر الظل طوال اليوم. ويضم الموقع عدداً من النقوش. كما تنتشر على واجهات الجبلين مجموعة كبيرة من الكتابات النبطية .(...).



جانب من منشآت محطة سكة حديد العُلا

. مبرك الناقة (المزحم):

يقع شمال العُلا، ويبعد عنها نحو ٣٥كم في خط مستقيم، وشمال (الحِجْر) بميل نحو الغرب على بعد ١٥كم تقريباً. ومبرك الناقة مأخوذ من قصة ناقة صالح ﷺ مع قومه ثمود. وقد ذكرها الموسوي كمحطة على الدرب(٢٠)، كما وصف مكانها ابن بطوطة بقوله: «ومبرك ناقة صالح ﷺ بين جبلين هنالك، وبينها أثر مسجد يصلي الناس فيه»(٢١).

. الحَرّة:

قمتُ بزيارة إلى هذا الموقع بتاريخ ١٢يناير/ كانون

تعدّ العُلا محطة على الدرب، ويمرّ بها خط حديد الحجاز الذي يساير درب الحجاج الشامي، كما يوجد فيها عدد من النقوش والقلاع والسدود والكثير من المقابر المنحوتة في الجبال

الثـاني ٢٠٠٥م. وفي أثناء مسح منطقـة الحَـرَّة، رأيت مجموعة من الدوائر الحجرية عندما كانت تركض بي السيارة في مكان يقع شمال غرب مركز العُلا على بعد ٨.٧كم في خط مستقيم. ويبلغ قطر الواحدة منها نحو ٨م، وبارتفاع ١.٥م. وبعض هذه الدوائر متقاربة، أما بعضها الآخر فيبعد بعضها عن بعض في حدود ١٠٠م. كذلك بعض هذه الدوائر لا ذيل لها، أما بعضها الآخر منها فلها ذيل يبلغ طوله نحو ٤٠م، يمتد على شكل خط متقطع شبه مستقيم شبيه بخرز المسبحة، فالذيل مثل أكوام من الحجارة، قطر الكوم الواحد نحو ١.٥م، والمسافة بين كل كوم وآخر ١م تقريباً. وهذا النمط من الأذيال منتشر في نجد، كما يلاحظ أن اتجاه أذيال الدوائر في الحَرَّة ليست في اتجاه واحد. ويمكن تصنيف أذيال الدوائر التي شاهدتُها على النحو الآتي:

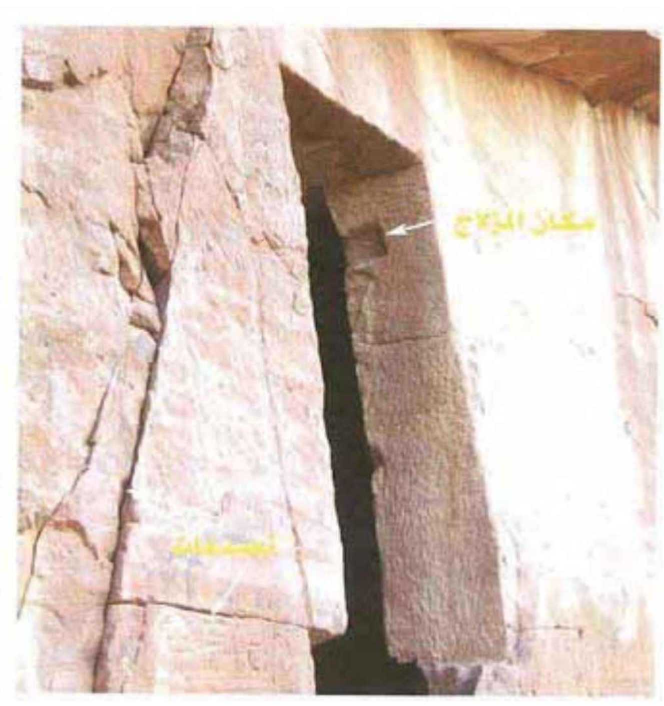
- أذيال تشير نحو الشرق بميل نحو الجنوب.
- أذيال تشير إلى الشمال الغربي.
- أذيال تشير نحو بيت المقدس.
- أذيال تشير إلى مكة المكرمة.

وهذا أيضاً مشابه لاتجاه بعض الدوائر الحجرية التي شاهدتها في نجد. والسؤال هنا: هل هناك علاقة ما بين اتجاه أذيال الدوائر الحجرية وشروق الشمس وغروبها؟ أم أنها تشير إلى أماكن مقدسة؟

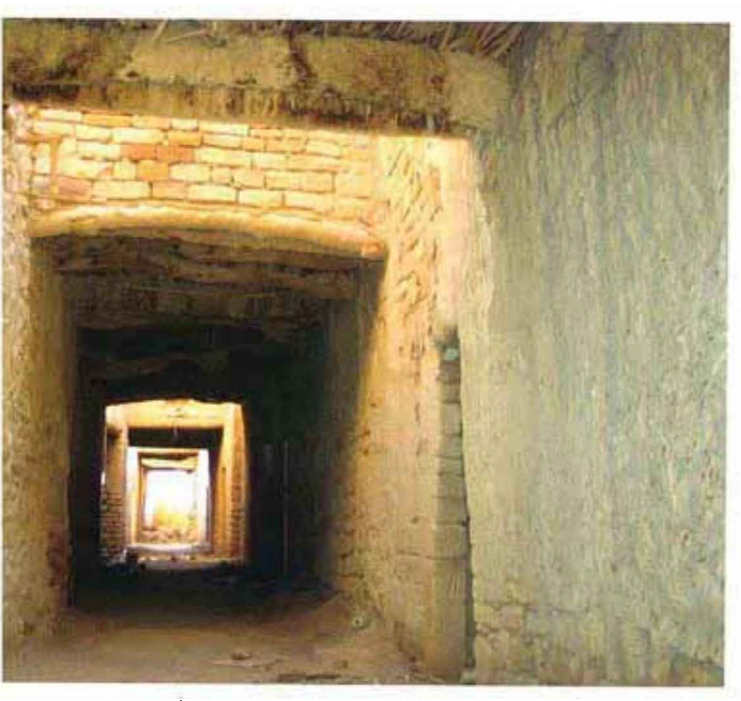
تقع البلدة القديمة شمال مركز العُلا بميل نحو الغرب على بعد ٢.١كم، ولها ١٤ باباً، كما يصل عدد بيوتها إلى قرابة ٣٢٠ منزلاً، تخترقها بعض الأزقة، وبعض المنازل في البلدة شبيهة بالمنازل الطينية المنتشرة في نجد

ومن يعبر الطريق المعبد مؤخراً من العُلا نحو قمة الحَرَّة، يمكنه مشاهدة الكثير من الدوائر الحجرية. ومن المؤسف أن الخط المسفلت المتجه إلى لاقط الموجات Antenna قد دمَّر بعض هذه المنشآت الحجرية الموغلة في القدم! ويمكن وصف أهم المشاهدات في هذه المنطقة من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي على النحو الآتي:

- دائرتان حجريتان مذيلتان بذيلين باتجاهين مختلفين: أحدهما يشير إلى اتجاه الشرق بميل نحو الجنوب. أما ذيل الدائرة الأخرى فيشير إلى الشمال الغربي. ويكاد هذان الذيلان يلتقيان في مكان يقع جنوب غرب الطريق المسفلت على بعد ٨٠م تقريباً.
- دائرة حجرية دمَّر طريق عُبِّدَ مؤخراً جانباً من ذيلها، وهي تقع شمال شرق الطريق المسفلت مباشرة، مقابلة للدوائر السابقة الذكر. تحديداً شمال غرب مركز العُلا على بعد ٨.٦٨كم. وإحداثيات الموقع كالآتي: (١٤٥. ٢١٢)، (٣٩. ٥١)، (٢٦. ٣٧).
- مجموعة من الحفر التي حفرتها الآلة الحديثة بعيدة عن الطريق المسفلت، لاأعلم سبباً لحفرها! وهي تقع شمال غرب مركز العُلا على بعد ٨.١٩كم في خط مستقيم، وإحداثيات الموقع كالآتي: (٩٥٢. ٤٢٠)، (٣٨. ٥١)، (٢٦. ٣٧).
- دائرة حجرية ينطلق منها ذيل باتجاه الجنوب. وهي تقع شمال شرق الطريق المسفلت. ويبدو أن الآلة الحديثة دمَّرت أجزاء منها، مع أن هذه الدائرة المسكينة تربض في مكان يبعد عن الطريق نحو ٨٠م. فهل وصل لصوص الآثار بأجهزة الكشف عن الذهب إلى هذا المكان؟
- دائرتان حجريتان تفصل بينهما مسافة قليلة، وهما تقعان شمال شرق الطريق المسفلت، وتبعدان عنه في حدود ١٥٠م. وأخيراً أقول:



مدخل مقبرة في حريبة العلا. تظهر بداخله حفرة مقورة في الصخر، يبدو أنها مكان لتثبيت، أو تقفل الباب (المزلاج). كما تظهر التصدعات التي تحيط بمدخل المقبرة في يسار الصورة



المنازل في بلدة العلا القديمة شبيهة بالمنازل الطينية المنتشرة في نجد الآ انه استخدم فيها الصخور الرسوبية عوضا عن الطوب الطيني

بح صوتي، وأنا أنادي في الصحافة، وفي كتبي: ضاعت آثارنا.. المنشآت تدمر تاريخنا، واللصوص ينهبون حضارتنا! أشير إلى مانشرته في صحيفة «الرياض» بعددها (١٢:٩٢) بتاريخ ٦سبتمبر ٢٠٠٢م تحت عنوان بالبنط الكبير: «موافقة المعنيين بالآثار ضرورة ملحة قبل البدء في تعبيد الطرق» وبعددها (١٢٣٦٦) بتاريخ ٢٠ صفر ١٤٢٣هـ بعنوان: «لصوص الآثار يتاجرون بممتلكاتنا الثقافية».

مسكينة المواقع الأثرية في جزيرة العرب. لقد عانت ما عانته من الإهمال من المعنيين، ودُمّرتْ من اللصوص الظالمين.. أليس معيبا علينا أن ندمر حضارة أجدادنا ؟ وحتى لا تضحك علينا الأجيال، خصوصا أن تلك الدوائر الحجرية تربض بمقربة من عاصمة الآثار في جزيرة العرب.. وبعد القرار الصائب بضم وكالة الآثار إلى الهيئة العليا للسياحة، أناشد أمير السياحة، صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز - الأمين العام للهيئة العليا للسياحة - حفظه الله - بأن يوفر ما يحمي آثارنا حتى لا يدمرها الصبية والعابثون ولصوص الآثار.

أفل نجم هذه المدينة في القرن السادس الهجري، ثم أصبحت العُلاَ منذ القرن السابع الهجري حاضرة الوادي . وفي عام ١٩٨٤م قامت وكالة الآثار بإجراء تنقيبات أثرية في الموقع كشفت عن بقايا مدينة إسلامية محاطة بسور متعرج وبعض المباني مشيدة باللبن المجفف والآجر

. الخريبة [١٠٥]:

الخريبة من أهم المواقع الأثرية في مدينة العُلا. وهي تقع شمال مركز العُلاَ على بعد ٧. ٥كم. وإحداثيات الموقع كالآتي: (٧٨٥. ٠٨٩). (٥٤ . ٣٩). (٣٧ . ٢٦).

ويستدل من آثار الاستيطان البشري. وبقايا الآثار المعمارية في موقع الخريبة أنه كان يمثل مركز مملكة لحيان [١٠٦].

ولوجود تشابه بين مقابر الحجر والخريبة. بل إن بعض الباحثين لم يستبعدوا أن يكون المكان الذي عناه الرسول ﷺ. والصحابة رضي الله عنهم خُريبة العُلاَ: لذا سأتحدث عنها بشيء من التفصيل.

ويمكن تقسيم الآثار في موقع الخريبة على النحو الآتي:

أ. المباني الحجرية المتهدمة:

وهي أطلال متراكمة من المباني الحجرية المتهدمة: تمثل بقايا أطلال عاصمة مملكتي ديدان ولحيان [١٠٧]. وليس من المعروف على وجه التحديد كيف تم القضاء على مملكة ديدان. فالوثائق الديدانية واللحيانية المعروفة حتى الآن لا تتضمن أي معلومات تعين على فهم حيثيات وتفاصيل الموضوع [١٠٨].

ب. المعبد القديم (محلب الناقة):وهو حوض حجري يبلغ قطره (٧. ٣) م. وعمقه ١٥. ٢م. ويمكن النزول إلى وسطه بواسطة درجات منحوتة من الحجر. ويبدو أن هذا الحوض كان في الأصل صخرة صماء تم نحتها بهذا الشكل لحفظ الماء في هذا المعبد الذي يعرف بمحلب الناقة. بينما هو في الحقيقة أحد عناصر معبد قديم يرجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد. كما يرى بعض الباحثين أن هذا الحوض يتوسط معبداً: بدليل أنه وجد عدد من التماثيل من آلهة اللحيانيين التي كانت تحيط به. كذلك تؤكد الأبحاث أن هذا الحوض كان يتوسط معبداً بُنِيَ لكبير المعبودات اللحيانية. وهو المعبود ذو غَيْبَة: وذلك استناداً إلى ما جاء في النقش المدون على قاعدة أحد الأعمدة الذي وجد في الموقع [١١٠]. وأشار أيضًا كل من «جوسين» و«سافينياك» إلى وجود معبد لحياني في الخريبة. وبقي منه الحوض الدائري المنحوت في الصخر الذي يستخدم كحوض للتطهير [١٢٠].

ولا أعرف كيف تحول هذا المعبد إلى محلب؟! يظهر أن الأمر مجرد ربط مع لبن الناقة التي كانت على ما ذكر خلقاً هائلاً. قال جل جلاله: ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ الشعراء: ١٥٥.

ج. التماثيل:

وجد عدد من التماثيل الآدمية من آلهة اللحيانيين تحيط بالحوض الحجري. بعضها موجود في متحف إستانبول بتركيا وبعضها الآخر في متحف العلا [١١١].

د. المقابر:

يمكن تقسيم هذه المنطقة إلى منطقتين كالآتي:

. مقابر الخريبة: وهي مجموعة من المقابر المنحوتة في الجبل المقابل للمعبد القديم (محلب الناقة). بعضها على شكل شق في الصخر وبعضها الآخر على شكل غرفة منحوتة في الجبل. وبعضها الثالث على شكل فتحة مستطيلة [١١٢].

وهناك تشابه بين مقابر خريبة العُلاَ ومقابر الحِجْر

من يعبر الطريق المعبد مؤخراً من العُلاَ نحو قمة الحَرَّة. يمكنه مشاهدة الكثير من الدوائر الحجرية. ومن المؤسف أن الخط المسفلت المتجه إلى لاقط الموجات Antenna قد دَمَّر بعض هذه المنشآت الحجرية الموغلة في القدم


نقش كتب بحروف منقورة على سفح جبل أم درج

بعدة أمور، منها:

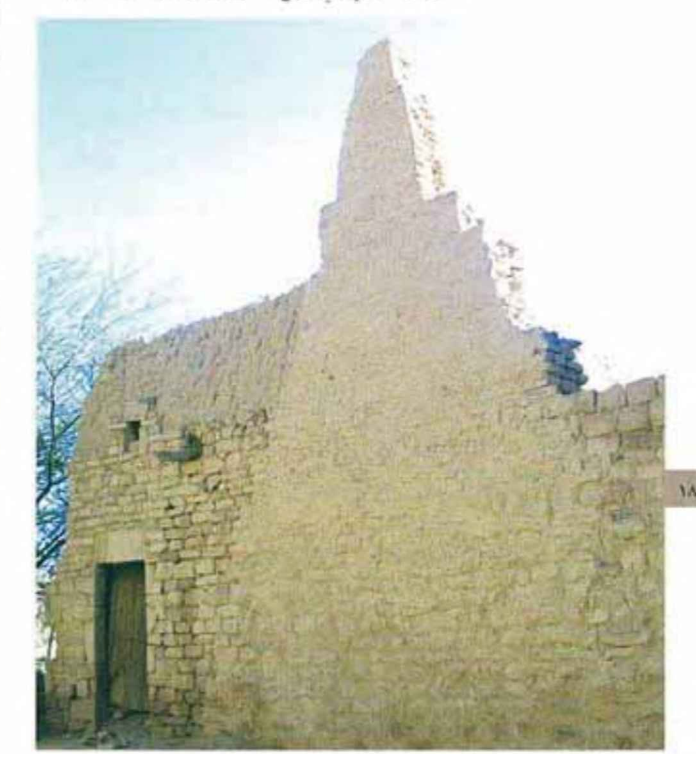
- اختيار مواقع المقابر في سفوح الجبال.
- بعضها يحوي حجرة دفن تضم مدافن: كبيرة أرضية، وجدارية.
- طريقة النحت باستعمال الأزميل.
- تظهر في مداخلها حفر لتثبيت الباب، ومكان لقفل الباب (مزلاج).
- توجد مدافن في سفح الجبل، ومدافن تعلو الصخور الكبيرة.
- مقابر الأسود: تقع شمال مركز العُلا، وإحداثيات الموقع كالآتي: (٨٨٩، ٨٢٤)، (٥٤ً، ٣٨ ً)، (٣٧ ً، ٢٦ ً).

وتعد هذه المقابر ذات هوية لحيانية، وعلى جوانب بعضها تظهر تماثيل لحيوانات خرافية، كأنها تحرس القبور، وهي منحوتة في الجبال نحتًا هندسيًا بارعًا، لكن تمثل مشكلة في تحديد ماهيتها، وأقرب ما تكون إلى الأسود التي أخذت هذه المقابر التسمية منها.

هـ - النقوش: من خلال مجموعة من النصوص المكتشفة في موقع الخريبة: تعرف الباحثون الغربيون إلى مدينة ديدان التي يعتقد أن تاريخها يعود إلى القرن السادس قبل الميلاد. أما مملكة لحيان فيرجح أغلب الباحثين أن تاريخها يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد (٢٥). وينتشر


حوض حجري في موقع الخريبة يعرف بمحلب الناقة

ورد ذكر هذا المكان في المصادر التاريخية والجغرافية باسم مدينة (قُرْح) ثاني مدينة في الحجاز بعد مكة. كما وصفها الفَيْروزآبادي بأنها من أسواق العرب في الجاهلية حين قال: "قُرْحُ: اسم لسوق وادي القرى وقصبتها من أعمال المدينة ناحية الشام"



بالموقع عدد من النقوش الديدانية واللحيانية والمعينية التي ورد فيها ذكر لأسماء الأشخاص والقبائل والمعبودات التي كانوا يدينون لها (٢٠).

وقد اطلع السعيد على مجموعة من النقوش تنحدر من مركز دولة لحيان، التي اتخذت من ديدان قاعدة لها، واتضح من محتوى أحد النصوص أنه عبارة عن وثيقة سجل فيها أصحابها قيامهم بتقديم هدية لمعبودهم، وقد كانت العادة أن تودع مثل هذه الوثائق في بيت الإله (المعبد). ويذكر الرحالة والمستشرق الألماني يوليوس أنه شاهد خلال زيارته للعلا في مطلع عام ١٨٨٤م عدداً من الأحجار المنقوشة أعيد استخدامها في بناء بيوت مدينة العُلا وأسوارها (٢١).

- الفخار: اكْتُشِفَ في موقع الخريبة نوع من الفخار أطلق عليه اسم (الفخار ثنائي اللون) وذلك لظهور زخارفه باللونين الأسود والأحمر. ويعد تقرير د.عبدالعزيز الغزي من أهم أعمال تأريخ وتأصيل فخار (العلا) المدهون. لمزيد من التفصيل حول نتائج أعماله، انظر حولية الآثار (٢٢).

المراجع والهوامش

١. لسان العرب. ج١٥ ص٩٣
٢. وكالة الآثار والمتاحف. آثار منطقة المدينة المنورة. ص ٢١١.
٣. رحلة ابن بطوطة. ج١ ص١٣١.
٤. معجم البلدان. ج٤ ص٤٤١
٥. الفيروزابادي. المغانم المطابة في معالم طابة. ص٢٨٢
٦. البلادي. معجم معالم الحجاز. ج٦. ص١٤٥
٧. رحلة ابن بطوطة. ج١ ص١٣٠.
٨. وكالة الآثار والمتاحف. آثار منطقة المدينة المنورة. ص ٧١.
٩. وكالة الآثار والمتاحف. آثار منطقة المدينة المنورة. ص ٢١١
١٠. ذكر د. نصيف أنها سميت في الكتاب الذي أصدرته الإدارة العامة للآثار والمتاحف (مقدمة في آثار المملكة العربية السعودية) (١٣٩٦هـ) بقلعة موسى بن نصير. من دون دليل (العلا والحجر (مدائن صالح) ص ٢٥).
١١. أبو الحسن. نقوش لحيانية من منطقة العلا. ص٢٧.
١٢. ولد داداه. جزيرة العرب. ص١٤٤
١٣. أبو الحسن. نقوش لحيانية من منطقة العلا. ص٣٢١.
١٤. أبو الحسن. نقوش لحيانية من منطقة العلا. ص٣٢٤.
١٥. السعيد. دراسة تحليلية لنقوش لحيانية جديدة. مجلة جامعة الملك سعود. ص٣٣٧.
١٦. أبو الحسن. نقوش لحيانية من منطقة العلا. ص٣٢٤
١٧. الفيروزابادي. المغانم المطابة في معالم طابة. ص٣٣٦
١٨. الأغاني. ج٨/٦٤١.
١٩. نصيف. العُلا والحجر (مدائن صالح). ص ٢٥.
٢٠. وكالة الآثار والمتاحف. آثار منطقة المدينة المنورة. ص ٢٠١
٢١. (شمال غرب الخريبة على بعد ٢كم تقريباً).
٢٢. أبو الحسن. نقوش لحيانية من منطقة العلا. ص٣١٧
٢٣. أطلال. العدد ٣. ص ٧٧.
٢٤. أبو الحسن. نقوش لحيانية من منطقة العلا. ص٣١٧
٢٥. الموسوي. رحلة الشتاء. ص٢٣٦
٢٦. رحلة ابن بطوطة. ج١ ص ١٣١.
٢٧. سبق أن ألقيت الضوء على هذا الموضوع في صحيفة الرياض. العدد ١٣٣٤٨ تاريخ ١٧ شعبان ١٤٢٥هـ تحت عنوان (الحوض الحجري ليس إحجليا لناقة) وإنما هو أحد عناصر معبد القديم
٢٨. السعيد. دراسة تحليلية لنقوش لحيانية جديدة. مجلة جامعة الملك سعود. ص٣٣٤.
٢٩. وكالة الآثار والمتاحف. آثار منطقة المدينة المنورة. ص ١٩٢
٣٠. السعيد. دراسة تحليلية لنقوش لحيانية جديدة. مجلة جامعة الملك سعود. ص٣٣٤.
٣١. وكالة الآثار والمتاحف. آثار منطقة المدينة المنورة. ص ١٩٢، ١٩٣٢
٣٢. أبو الحسن. نقوش لحيانية من منطقة العلا. ص٣١٩
٣٣. د. عبدالله نصيف. صحيفة الرياض. ٢٥ شوال ١٤١٧هـ العدد ١٠٤٨٠.
٣٤. وكالة الآثار والمتاحف. آثار منطقة المدينة المنورة. ص ١٩٢، ١٩٣
٣٥. نصيف. العلا والحجر (مدائن صالح). ص١٧ - ١٨
٣٦. وكالة الآثار والمتاحف. آثار منطقة المدينة المنورة. ص ١٩٤
٣٧. السعيد. نقوش لحيانية غير منشورة من المتحف الوطني. الرياض. ص ٢٠٢
٣٨. أطلال. العدد ١٥. ص١٨٩.



روسيا في مرحلة «الفتنة» في بداية القرن السابع عشر الميلادي

عمر محمود شعار

موسكو ــ روسيا

يطلق المؤرخون الروس على المرحلة التي شهدتها الدولة الروسية في بداية القرن السابع عشر تسمية الفتنة "سموتا" التي تجسدت في استفحال أزمة سياسية واجتماعية وروحية عميقة، شملت أوجه الحياة في الدولة الروسية كافة، وتمثلت في توسيع دائرة الصراعات الدموية الحادة على السلطة، وترافقت بالتدخل الأجنبي، وخضوع الدولة الروسية للعرش البولوني. ففي هذه الفترة انحدرت عقول النخبة الحاكمة في الدولة الروسية إلى الدرك الأسفل، وانتشرت الممارسات الدنيئة والمنحطة في داخل الأجنحة المتصارعة على السلطة، مع بروز أعلى درجات العنف والقسوة والإرهاب على سطح الحلبة السياسية والاجتماعية.

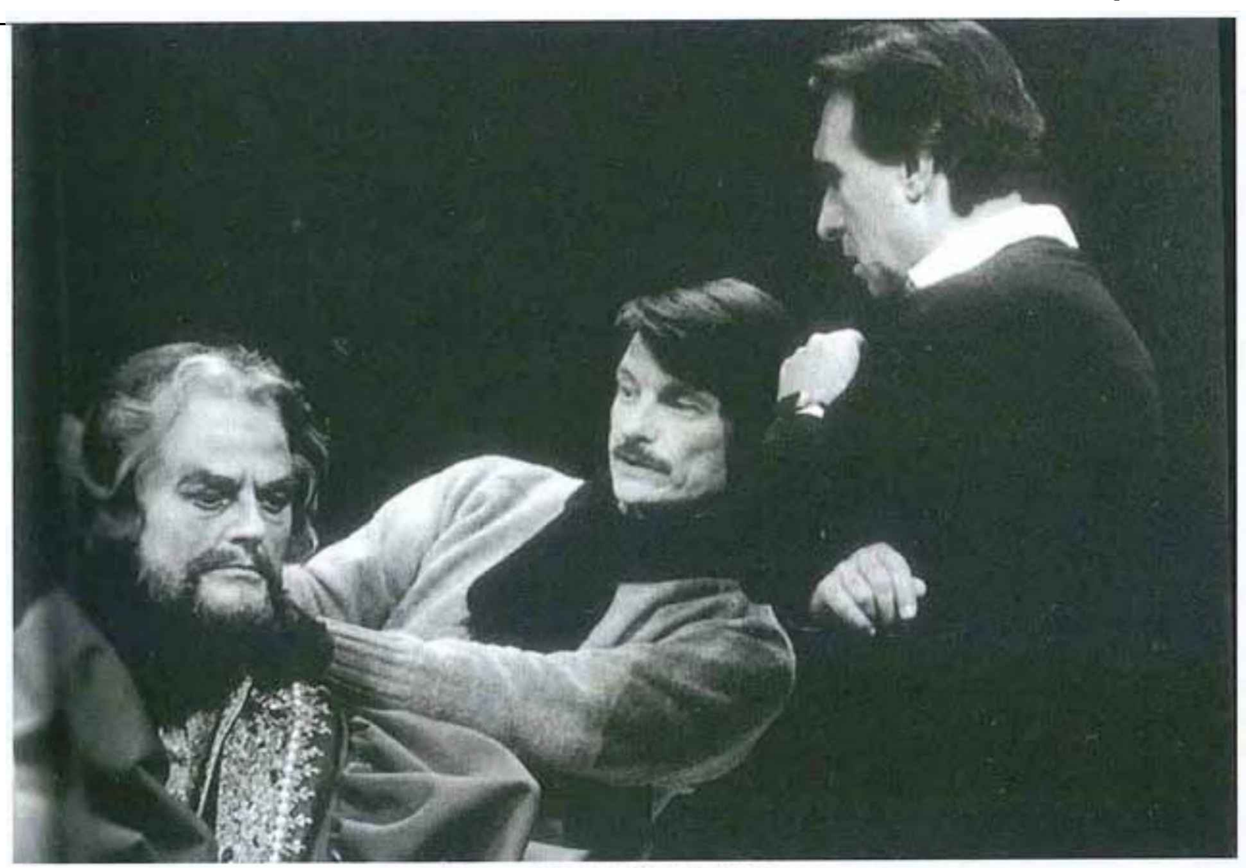
تمتد جذور الفتنة إلى مرحلة حكم القيصر الروسي إيفان الرابع المشهور بلقب «الرهيب» الذي حكم الدولة الروسية على مدى نصف قرن (١٥٣٣، ١٥٨٤م) (١) بالحديد والنار. إذ يسود الاعتقاد بين المؤرخين أن سيكولوجية إيفان الرهيب الفنوصية المتعصبة المتسمة بالتناقض المعقد، والسادية اللامتناهية، وتوجهاته لتوطيد سلطته الشخصية المطلقة، التي أضفت عليها الكنيسة الروسية الأرثوذكسية الصبغة الدينية المستمدة مشروعيتها من الإرادة الإلهية . أدخلت الدولة الروسية في متاهة الميتافيزيق السديمي المظلم، التي تجلت في مرحلة تطبيق سياسة «الأوبريجنينا» (٢) الإرهابية التصفوية، وأخرجت المجتمع الروسي من سيرورة قوانين التطور الاجتماعي، وزجّته في بوتقة أزمة بنيوية عميقة شملت أوجه الحياة في الدولة الروسية كافة، ووضعتها على حافة الكارثة الوطنية الشاملة، التي تجسدت في مرحلة الفتنة والفوضى السديمية، التي شهدها المجتمع الروسي في بداية القرن السابع عشر الميلادي.

زرع القيصر إيفان الرهيب البذور التي أوجدت



الأسباب المباشرة لاشتعال نيران الفتنة في الدولة الروسية قبيل وفاته بفترة وجيزة. ففي عام ١٩٨٠م تزوج إيفان الرهيب للمرة السادسة. وكانت زوجته الجديدة الأميرة ماريا نوغاي، التي أنجبت له الأمير ديمتري(٣). وفي عام ١٥٨١م، وفي قمة غضبه وانفعاله، أقدم القيصر إيفان الرهيب على قتل ابنه الكبير وولي عهده الأمير الشاب إيفان(٤)، وعندما توفي القيصر إيفان الرابع الرهيب في عام ١٥٨٤م ترك العرش لابنه المعتل فيودر(٥)، الذي لم يكن قادرًا على إدارة دفة الحكم.

في عام ١٥٨٤م اعتلى الأمير فيودر العرش القيصري في الدولة الروسية. ولمعرفة إيفان الرابع بتدني قدرات ابنه العقلية شكل قبل وفاته مجلسًا استشاريًا لمساعدته على إدارة دفة الحكم(٦). وسرعان ما بدأ الصراع على السلطة في داخل المجلس الاستشاري. وانحسم لمصلحة البويار (الإقطاعي) بوريس غادونوف أولاً بسبب زواج القيصر الجديد فيودر من شقيقته. وثانيًا زواج بوريس شخصيًا من ابنة الجلاد سكوراتوف الذي كان أيضًا عضوًا في المجلس الاستشاري(٧)، وتشير المصادر



بوريس غادونوف شخصية ثرة أغرت المسرحيين بتناولها

التاريخية إلى أن عائلة غادونوف كانت تتارية الأصل. والتحقت بالخدمة لدى العرش الروسي في مرحلة إيفان الثالث في نهاية القرن الخامس عشر (١١).

مرحلة حكم بوريس غادونوف

بعد أن أصبح بوريس غادونوف الحاكم الفعلي للدولة الروسية، برزت مواهبه كرجل دولة محنك. فقد استطاع أن يحقق في البلاد استقرارًا اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا؛ وذلك من خلال الاستمرار في تطبيق نظام القنانة، وربط الفلاحين عنوة بالأراضي الزراعية، وتحسين أوضاع المزارعين الكبار والصغار وسكان المدن. وفي عهده توسعت مدن «سامارا» و«كورسك» و«بيلغورود»، وغيرها. وفي عهده تحولت المطرانية الروسية الأرثوذكسية إلى بطريركية (١٢).

وفي السياسة الخارجية نظم بوريس غادونوف حملة عسكرية على السويد في عام ١٥٩٥م حقق خلالها الجيش الروسي انتصارًا على الجيش السويدي، واستطاعت روسيا بنتيجتها أن تستعيد الأراضي التي فقدتها في حرب الليفون، وأصبح لها مرة أخرى موطئ قدم على بحر البلطيق (١٣).

خلال ذلك جرت في الحياة السياسية الداخلية الروسية حادثة، سيكون لها تأثير كبير في تطور الأوضاع الداخلية الروسية: ففي عام ١٥٩١م توفي الأمير ديمتري أخو القيصر فيودر، وابن إيفان الرهيب



فترة الفتنة ألهبت خيال الفنانين

الذي أنجبته زوجته الأخيرة ماريا ناغوي. وانتشرت الإشاعات الواسعة في موسكو. تتهم بوريس غادونوف بتدبير مقتل الأمير ديمتري. لأنه كان يشكل منافسًا له على العرش في حال وفاة القيصر المريض فيودر (١١). ولذلك شكل بوريس غادونوف لجنة رسمية للتحقيق بأسباب وفاة الأمير ديمتري برئاسة البويار شويسكي. الذي ينتمي إلى عائلة أميرية عريقة النسب. وتوجد لديها طموحات لاستلام السلطة. وبنتيجة التحقيقات توصلت اللجنة الرسمية إلى أن الوفاة تمت بنتيجة حادثة عرضية. وبمحض المصادفة. ولكن الإشاعات استمرت بالانتشار في داخل الأوساط الشعبية (١٢).

في عام ١٥٩٨م توفي القيصر المعتل فيودر دون أن يترك وارثًا لاعتلاء العرش. وبسبب انقراض سلالة ريوريك الفارياغية. اجتمع مجلس الدولة (الزيمسكي). وانتخب بوريس غادونوف قيصرًا على الدولة الروسية (من عام ١٥٩٨ حتى عام ١٦٠٥م) (١٣). في البداية رفض بوريس غادونوف جديًا اعتلاء العرش: ولكن تحت تهديد فصله من الكنيسة: وافق على اعتلاء العرش. وقد وعد برعاية شؤون السكان. وتحسين ظروف معيشتهم. وإلغاء عقوبة الاعدام. وللمرة الأولى في تاريخ الدولة الروسية اعتلى عرش السلطة قيصر منتخب. وليس بالوراثة.

في فترة حكمه للبلاد بشكل رسمي برز غادونوف كشخصية حكومية بارعة وذكية. وتبنى عدة مشروعات إصلاحية كانت ستؤدي إلى تطور البلاد وازدهارها. وفي عهده برزت علائم الانفتاح على دول أوربا الغربية. فقد استقدم عدة شخصيات أجنبية للخدمة في الدولة الروسية. وأوفد مجموعة من الشباب النبلاء للدراسة في أوربا الغربية (١٤).

ولكن بداية حكم بوريس غادونوف الموفقة والناجحة توقفت بسبب وقوع كوارث طبيعية طارئة. ففي عامي ١٦٠١ و١٦٠٢م. وعلى التوالي. شحت الأمطار الربيعية وترافقت معها موجات من الصقيع الجاف: مما أدى إلى هلاك المحاصيل الزراعية بشكل كامل. وعمّت

حكم القيصر فاسيلي شويسكي روسيا المضطربة من عام ١٦٠٦م حتى عام ١٦١٠م. وعند اعتلائه العرش القيصري اضطر أن يوقع وثيقة تحد من صلاحيات السلطة القيصرية. وتعهد بعدم إصدار حكم الإعدام من دون محاكمة. وعدم مصادرة أملاك أقرباء المحكومين



البلاد مجاعة مخيفة. وسارع بوريس غادونوف إلى اتخاذ سلسلة من الإجراءات النشيطة للتخفيف من حدة الكارثة. فقد سمح لبعض الفئات من الفلاحين بمغادرة الأراضي الزراعية المثبتين عليها. وأصدر أوامره بتوزيع القمح مجانًا من مستودعات القيصر على الفقراء والمحتاجين. ولكن لم تستطع هذه الإجراءات إيقاف شبح المجاعة الشاملة، التي انتشرت بشكل خاص في العاصمة موسكو وضواحيها، وفي المناطق الغربية والجنوبية، حيث بدأ الأهالي بالتهام الأعشاب، وجذور النباتات، والقطط والكلاب والجرذان، وبدأت ظاهرة أكل لحوم البشر تنتشر (١٤).

لقد نظر الشعب الروسي إلى وقوع الكارثة على أنها عقاب إلهي رباني حل على روسيا بسبب ارتكاب الفئة الحاكمة الذنوب والآثام. وانتشرت الإشاعات التي تتهم بوريس غادونوف بتدبير حادثة مقتل الأمير الصغير السن ديمتري في عام ١٥٩١م. واعتبرت الأوساط الشعبية عملية اعتلاء غادونوف للعرش من الآثام العظيمة: لأنها لم تأت من الرب (بالوراثة)، وإنما من البشر (بالانتخاب من قبل أعضاء مجلس الزيمسكي). لقد أدت المجاعة، وخيبة الأمل بحكم بوريس غادونوف إلى حدوث أولى الانتفاضات الشعبية، والتوقع بقدوم المنقذ المنتظر. ففي عام ١٦٠٣م استطاعت قوات القيصر أن تقمع جماهير الفلاحين الجائعة التي هاجمت مستودعات الأغذية في ضواحي موسكو. ولكن لم يعد بمستطاعها القضاء على انتشار الإشاعات القائلة بأن الأمير ديمتري نجا من الموت بشكل خارق. وهو متخف ضمن الأوساط الشعبية. وسينقذ روسيا من الكارثة (١٥).



لوحة لإيفان الرهيب مع حاشيته

القيصر المزيف ديمتري "الكذاب" الأول

ما زالت إلى الآن تدور الحوارات بين المؤرخين الروس حول الهوية الحقيقية لشخصية الرجل الذي هرب إلى بولونيا في عام ١٦٠٢م. وادّعى أنه الأمير ديمتري ابن القيصر الروسي إيفان الرهيب. فمن ناحية تؤكد بعض المصادر التاريخية الروسية أنه كان خادمًا لدى أحد القساوسة. واسمه الحقيقي غيورغي أو ترويبيف. وتشير

مصادر تاريخية أخرى إلى أن أصوله تعود إلى إحدى العائلات الروسية النبيلة التي حلّ بها الفقر، وأصبح خادمًا (خولوب) لدى الأمير فيودر نيكيتش رومانوف ابن خال القيصر فيودر إيفانوفيتش. وأنه عندما قام بوريس غادونوف بملاحقة عائلة رومانوف بتهمة تدبير مؤامرة للإطاحة بحكمه في عام ١٦٠٠م، اختفى غيورغي أوترييف، وقام بحلق شعر رأسه وتنكر في شخصية قسيس، وعمل سكرتيرًا لدى الأسقف إيوف (اللقب الديني للأمير فيودر رومانوف)، وسيرة حياته تؤكد أنه كان ذكيًا ومحنكًا [17]، وتؤكد مصادر تاريخية أخرى أن عائلة رومانوف هي التي أعدته لتقمص شخصية الأمير ديمتري؛ لأنها كانت على اطّلاع جيد بأوضاع حاشية القصر، وبتفاصيل حادثة وفاة الأمير ديمتري، ومن المثير للاهتمام أنه عندما اعتلى أوترييف العرش الروسي تحت اسم ديمتري عين الأسقف إيوف مطرانًا على مقاطعة روستوف.



في عام ١٦٠٢م، هرب أوترييف إلى بولونيا (مملكة رتش بوسبوليتا) الكاثوليكية، وعدوة روسيا اللدود، وأقام بها وكان يتابع تطور الأحداث في روسيا وفي عام ١٦٠٣م قرر أن يكشف عن «سره»، وأعلن نفسه الأمير ديمتري الابن الأصغر للقيصر الروسي إيفان الرهيب، ومن خلال تقديم الوعود للحكومة البولونية بالتنازل عن مساحات واسعة من أراضي الدولة الروسية، استطاع أن يكسب حاشية الملك البولوني، وتزوج ابنة القائد العسكري البولوني ساندو ميرسكي [18].

وفي شهر أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٦٠٤م، عبر ديمتري «الكذاب» الأول الحدود الروسية الغربية الجنوبية على رأس أربعة آلاف مقاتل، نصفهم بولونيون، وتوغل في الأراضي الروسية الجنوبية الغربية التي تجمعت فيها أعداد كبيرة من الفلاحين الهاربين (الخولوبي) وقطعات من الحركة القوزاقية [19]، وفي شهر ديسمبر/ كانون الأول عام ١٦٠٥م ألحقت القوات القيصرية الروسية هزيمة ساحقة بقوات ديمتري «الكذاب» الأول في منطقة دوبريجني الجنوبية الغربية، وعلى أثر ذلك تركه البولونيون، وبدأ يعدّ نفسه للهروب إلى بولونيا، ولكن في هذه اللحظة الحرجة أنقذه المزاج الروسي الشعبي العام، فقد زحفت نحوه جماهير غفيرة من الروس القاطنين في المناطق الجنوبية الغربية، والتفوا حوله وعدّوه الوريث الشرعي للعرش الروسي، والمنقذ من الأزمة، وطلبوا منه متابعة الصراع ضد القوات الحكومية [20].

بلا شك كانت الفئات الدنيا تنتظر من ديمتري «الكذاب» الأول تحسين أوضاعها المعاشية، أما فئة النبلاء والحركة القوزاقية فكانت تنتظر منه الامتيازات والثروة، ومع تصاعد تعاطف سكان المناطق الجنوبية الغربية مع حركة ديمتري «الكذاب» الأول، وبدء انتشار التعاطف معه في المناطق الوسطى، أصيبت القوات القيصرية بحالة من التردد، وفي هذه اللحظة حالفه الحظ مرة أخرى، ففي شهر أبريل (نيسان) عام ١٦٠٥م توفي القيصر بوريس غادونوف بشكل مفاجئ، وبدأت قطاعات من القوات القيصرية بالانتقال إلى صفوف

دخلت القوات البولونية بقيادة ولي عهد العرش البولوني، وحاكم الدولة الروسية العاصمة موسكو دخول الفاتحين. أما القيصر الروسي المخلوع فاسيلي شويسكي فقد نظمت له عملية إعدام مدني في الساحة الحمراء



إيفان الرهيب وابنه

القيصر المزيف ديمتري «الكذاب» الأول (٢١).

وفي موسكو هاجمت الجماهير المنتفضة الكرملين، وخلعت وريث القيصر بوريس غادونوف ابنه الشاب فيودر. وفي ضواحي موسكو تم تنظيم لقاء بين زوجة ايفان الرهيب السادسة ماريا نوغا وديمتري «الكذاب» الأول. وبنتيجته تم الإعلان بأنها (اعترفت به على أنه ابنها ديمتري) (٢٢) وعلى أثر ذلك اقتنع أهالي موسكو بشكل كامل ونهائي بأنه القيصر الحقيقي. وهاجمت الجماهير المنتفضة الكرملين، وطلبت مقابلة البويار فاسيلي شويسكي الذي ترأس اللجنة الحكومية الرسمية التي حققت في عام ١٥٩١م بحادثة وفاة الأمير ديمتري، وفي هذه اللحظة أشعل المنافق شويسكي نار الفتنة الحقيقة عندما أعلن بأن الأمير ديمتري حي يرزق (٢٣).

وعلى أثر ذلك اقتحمت الجماهير المنتفضة الكرملين وقتلت القيصر فيودر بن بوريس غادونوف. الذي تؤكد المصادر التاريخية أنه كان شابًا ذكيًا. وأعده والده بشكل جيد لتحمل أعباء الحكم. وفي يوم ٣٠ يونيو/ حزيران

تؤكد الدراسات التاريخية أن عدد سكان روسيا انخفض في مرحلة الفتنة إلى الثلث من أصل عشرة ملايين نسمة في نهاية القرن السادس عشر. وفقدت روسيا موقعها على الساحة الدولية. وأصبحت أسيرة العزلة الخارجية، وضعفت قدرتها العسكرية

عام ١٦٠٥م دخل ديمتري «الكذاب» الأول إلى العاصمة موسكو، وتم تتويجه قيصرًا على الدولة الروسية (٢٤).

للوهلة الأولى توجه القيصر المزيف ديمتري لكسب دعم الشعب لتقوية سلطته، ولكن الوضع في البلاد كان شائكًا ومعقدًا جدًا إلى حد لم تنفعه مواهبه ونواياه الطيبة في معالجة الأوضاع البالغة التعقيد. فقد رفض تنفيذ الوعود التي قطعها على نفسه أمام العرش البولوني؛ مما أفقده الدعم الخارجي، ومن ناحية أخرى أثارت آراؤه «الغربية» وسلوكه البسيط الشكوك لدى فئة البويارين (الإقطاعيين) والبطريركية الروسية. وفي المحصلة لم يعثر ديمتري في داخل النخبة السياسية الروسية العليا على ركيزة تدين بالولاء له (٢٥). عدا ذلك دعا ديمتري في ربيع عام ١٦٠٦م إلى التعبئة العسكرية العامة في البلاد لتنظيم حملة عسكرية على إمارة القرم التتارية؛ مما أثار نقمة الفئات الاجتماعية الدنيا التي أنهكتها المجاعة والحرب الأهلية (٢٦).

أما الحركة القوزاقية التي شكلت القوة العسكرية الضاربة التي اعتمد عليها القيصر المزيف ديمتري، فقد توسعت صفوفها بشكل كبير على أثر انضمام جماهير الفلاحين الهاربة من أراضي الإقطاعيين، وطالبت القيصر بالمزيد من الامتيازات والهبات، ورفض الفلاحون العودة إلى العمل في الأرض، ومارس القوزاقيون أعمال النهب والسرقة، وأشاعوا الفوضى في موسكو. وتحت ضغط البويارين وأهالي موسكو اضطر القيصر المزيف ديمتري إلى إخراج القوزاق من العاصمة «وبذلك فقد دعمهم، وأصبح ضعيفًا أمام البويارين (٢٧).

في خلال فترة زمنية قصيرة فقد ديمتري أوراقه القوية كافية، ومقومات إدارة السلطة؛ مما سهل على البويارين الإطاحة به في شهر مايو/أيار عام ١٦٠٦م بنتيجة مؤامرة دبرها البويارون بزعامة المنافق فاسيلي شويسكي، وقاموا باعتقال ديمتري وقتلوه بشكل شنيع، فقد تم تثبيت جثته على فوهة المدفع، وأطلقوه نحو الغرب، وانتخب مجلس الدولة (الزيمسكي) البويار فاسيلي شويسكي قيصرًا على الدولة الروسية (٢٨).

حكم القيصر فاسيلي شويسكي روسيا المضطربة من عام ١٦٠٦م حتى عام ١٦١٠م، وعند اعتلائه العرش القيصري اضطر أن يوقع وثيقة تحد من صلاحيات السلطة القيصرية، وتعهد بعدم إصدار حكم الإعدام من دون محاكمة، وعدم مصادرة أملاك أقرباء المحكومين. ويرى بعض المؤرخين هذه الوثيقة أنها أول اتفاق رسمي بين القيصر ورعاياه أفسحت المجال للانتقال من الدولة الاستبدادية إلى الدولة الحقوقية، ولكن هذه العملية لم تتحقق في الدولة الروسية بسبب تسارع الأحداث السياسية والاجتماعية. بالإضافة إلى ميزات القيصر الجديد فاسيلي شويسكي الذي اتسم بالوضاعة والرياء (٢٩).

على الرغم من كل الإجراءات التي اتخذها القيصر شويسكي للقضاء على الفتنة والفوضى في البلاد، إلا أن الأوضاع في الدولة الروسية كانت تتدهور بشكل متسارع. فعلى الرغم من القرار الذي أصدره القيصر القاضي بنقل رفات الأمير ديمتري الحقيقي، ودفنه في كنيسة

بعد أن أصبح بوريس غادونوف الحاكم الفعلي للدولة الروسية، برزت مواهبه كرجل دولة محنك، فقد استطاع أن يحقق في البلاد استقرارًا اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا؛ وذلك من خلال الاستمرار في تطبيق نظام القنانة، وربط الفلاحين عنوة بالأراضي الزراعية

أرخانغلسك. وقيام البطريركية الروسية الأرثوذكسية بإضفاء صبغة القدسية على الأمير ديمتري المتوفى. ومن ثم أصبح أنصار ديمتري «الكذاب» من الكفرة. إلاّ أن الإشاعات القائلة بنجاة القيصر ديمتري من الموت مرة أخرى استمرت في البلاد. ومن جديد بدأ أنصاره بالتجمع في المناطق الجنوبية الغربية (٢٠).

في عام ١٦٠٦م. وفي مدينة بوتفيل الجنوبية الغربية. بدأت حركة عصيان شعبية عارمة بقيادة الفلاح القن (خولوب) بولوتنيكوف ضد السلطة القيصرية. وطرح نفسه قائدًا للانتفاضة. مدعيًا أنه «القائد العسكري للقيصر ديمتري». وخلال زحف جيش الانتفاضة نحو العاصمة موسكو حقق عدة انتصارات على جيوش البويارين. واتخذت الحرب طابعًا دمويًا بالغًا في العنف. وعكس حالة الحقد والكراهية التي يضمرها الشعب تجاه الفئات العليا الحاكمة (٢١).

وبعد أن ألحقت قوات بولوتنيكوف الشعبية عدة هزائم بقوات القيصر فاسيلي شويسكي. التحقت بها قوات النبلاء من مقاطعتي ريازان وتولا. وحاصرت العاصمة موسكو. وعلى الرغم من ضخامة قوات الانتفاضة الشعبية إلا أنها لم تنجح في احتلال العاصمة بسبب الخلافات التي دبت في قيادة الانتفاضة. وانتقال قوات النبلاء إلى جانب القوات الحكومية. واضطر بولوتنيكوف إلى فك الحصار عن موسكو. وانسحب نحو مدينة كالوغا. ومنها إلى مدينة تولا. وفيها توحدت قوات الانتفاضة مع القوات القوزاقية بقيادة موراميتس الذي طرح نفسه على أنه الأمير بيوتر فيدور وفيتش (ابن القيصر فيودر إيفانو فغيتش ابن إيفان الرهيب الذي كان مريضًا. ولم يخلفه أحد) (٢٢). وفي خريف عام ١٦٠٧م حاصرت القوات الحكومية مدينة تولا. واستطاعت أن تحتلها بعد أن أعطى القيصر فاسيلي شويسكي الأمان لقيادة الانتفاضة. إلاّ أنه سرعان ما نكث بوعده. وأعدم أعضاء قيادة الانتفاضة (٢٣).

القيصر المزيف ديمتري "الكذاب" الثاني

على الرغم من نجاح القوات القيصرية في القضاء على انتفاضة بولوتنيكوف. إلاّ أن أجواء الفتنة والفوضى استمرت بالتصاعد في الدولة الروسية. ففي صيف عام ١٦٠٧م ظهر في جنوب البلاد المنقذ ديمتري «الكذاب» الثاني مرة أخرى. الذي ساندته الحكومة البولونية بعدة آلاف من المقاتلين. وانضمت إليه بقايا حركة بولوتنيكوف من الفلاحين والقوزاقيين. وزحف نحو موسكو. وتمركزت قواته في قرية توشينو التي تقع حاليًا ضمن العاصمة موسكو (٢٤). وفي معسكره تعرفت إليه زوجة ديمتري «الكذاب» الأول. وادعت بأنه زوجها المفقود. وانضم إليه مجموعة من بوياري موسكو المنافقين الذين بدلوا «القيصر» أكثر من مرة بهدف الحصول على المزيد من الهبات والامتيازات أسوة بالقيصر المنافق فاسيلي شويسكي (٢٥).

وبهدف التفرغ لمواجهة قوات ديمتري «الكذاب» الثاني عقد القيصر فاسيلي شويسكي معاهدة صلح مع السويد في عام ١٦٠٩م. وقامت القوات الروسية ـ السويدية

أجمعت العائلات البويارية الروسية على انتخاب ميخائيل رومانوف لحداثة سنه. ولعدم مشاركته في أحداث الفتنة. بالإضافة إلى صلة قرابة عائلة رومانوف مع السلالة السابقة. فقد كان المطران فيودر رومانوف شقيق القيصرة أناستاسية زوجة القيصر إيفان الرهيب

المشتركة بقيادة ابن أخي القيصر الأمير سوبكين شويسكي بالهجوم على قوات ديمتري «الكذاب» الثاني المتمركزة في منطقة توشينو، وألحقت بها عدة هزائم (٣٠). ولكن بولونيا احتجت على التدخل السويدي في الأوضاع الداخلية الروسية، وأعلن ملك بولونيا سيغيز موند الثالث الحرب على الدولة الروسية وتوغل الجيش البولوني في الأراضي الروسية، وعلى أثر ذلك تركت القطعات العسكرية البولونية معسكر ديمتري «الكذاب» الثاني، والتحقت بالجيش البولوني الذي كان يحاصر مدينة سمولنسك الروسية (٣١). وبنتيجة ذلك انهارت قوات ديمتري الذي هرب إلى مدينة كالوغا، وقتل في أواخر عام ١٦١٠م على يد أحد حراسه، أما زوجته وابنه فقد بقيا أحياء، واختطفهما الأتمان القوزاقي زار وتسكي الذي كان يتمركز مع قواته في منطقة الدون العليا، وكان ينتظر اللحظة المناسبة لإعلان إيفان بن ديمتري «الكذاب» الثاني قيصراً على الدولة الروسية (٣٢).

خضوع روسيا للعرش البولوني

بعد أن أحكم الجيش البولوني حصار مدينة سمولنسك، استمر بالتوغل في الأراضي الروسية بقيادة الملك سيغيز موند الثالث، وفي شهر يونيو/ حزيران عام ١٦١٠م، وفي منطقة موجايسك على أبواب موسكو ألحقت القوات البولونية هزيمة منكرة بالجيش الروسي، وعلى أثر ذلك أطاح البويارون بالقيصر المنافق فاسيلي شويسكي، وشكّلوا حكومة مؤقتة برئاسة البويار مستيسلافسكي التي وقعت على معاهدة الاستسلام الكامل أمام الملك البولوني سيغيز موند الثالث، الذي نصب وريثه ابنه الأمير فلاديسلاف حاكماً على الدولة الروسية، وتعهد الملك البولوني بالحفاظ على التقاليد والانظمة الروسية، وعلى حقوق البويارين، وعدم إنزال عقوبة الإعدام من دون محاكمة، وعدم مصادرة أملاك أقرباء المحكوم عليهم بالإعدام (٣٣).

وفي شهر سبتمبر/أيلول عام ١٦١٠م دخلت القوات البولونية بقيادة ولي عهد العرش البولوني، وحاكم الدولة الروسية العاصمة موسكو دخول الفاتحين. أما القيصر الروسي المخلوع فاسيلي شويسكي فقد نظمت له عملية إعدام مدني في الساحة الحمراء (وهذه العملية عبارة عن مراسيم لا يعلم المحكوم عليه بالإعدام بالعفو عنه، وتبديل حكم الإعدام بحكم مدني إلاّ في اللحظة الأخيرة حيث يتم كسر السيف على رأسه ونفيه)، وتم حلق شعر رأسه هو وزوجته، وأرسلوهما إلى وارسو العاصمة البولونية ضمن غنائم الحرب، وقاما بالركوع أمام عرش الملك البولوني سيغيز موند الثالث، وقبلا أطراف ثوبه بحضور ممثلي الدول الأوربية وسفرائها (٣٤).

أما السويد فقد استغلت استسلام الجيش الروسي أمام بولونيا، وانقلبت على معاهدة الصلح التي عقدتها مع القيصر المخلوع فاسيلي شويسكي، واحتلت مساحات كبيرة من الأراضي الروسية الشمالية، وفي شهر يوليو/تموز احتلت القوات السويدية مدينة نوفغورود، وحاصرت مدينة بسكوف (٣٥).

وبذلك أدت حالة الفتنة، والصراع على السلطة،

اقتحمت الجماهير المنتفضة الكرملين وقتلت القيصر فيودر بن بوريس غادونوف، الذي أعده والده بشكل جيد لتحمل أعباء الحكم، وفي يوم ٣٠ يونيو/ حزيران عام ١٦٠٥م دخل ديمتري "الكذاب" الأول إلى العاصمة موسكو، وتم تتويجه قيصراً على الدولة الروسية

والفوضى الاجتماعية الشاملة إلى فقدان روسيا سيادتها الوطنية، ووضعتها على حافة الانهيار الشامل. ففي شهر يونيو (حزيران) عام ١٦١١م سقطت مدينة سمولنسك بيد القوات البولونية بعد حصار استمر سنتين، وأعلن ملك بولونيا سيغيز موند الثالث أنه سيعتلي بنفسه عرش روسيا بدل ابنه فلاديسلاف؛ وبذلك برز خطر ضم روسيا إلى مملكة رتش ـ بوسبوليتا (البولونية ـ الليتوانية الموحدة) (٤٠).

ضمن هذه الأوضاع الاستثنائية التي عاشتها روسيا، برز في داخل الفئات الاجتماعية الروسية المتناحرة اتجاهان:

ـ الاتجاه الغربي الداعي إلى الانسحاب مع المشروع البولوني لتوحيد الشعوب السلافية تحت العرش البولوني والكنيسة الكاثوليكية، والانتماء إلى الحضارة الأوربية الغربية، وقد انسجمت مع هذا الاتجاه المناطق الروسية الشمالية ـ الغربية المطلة على حوض بحر البلطيق والغربية ـ الجنوبية المحاذية للحدود البولونية والليتوانية.

ـ الاتجاه الشرقي القومي الأرثوذكسي الذي دعا إلى الارتقاء فوق المصالح والتناقضات الاجتماعية، ووقف الحرب الأهلية، والعودة إلى الأنظمة والتقاليد القومية المحافظة، وإحياء السلطة القيصرية المطلقة، ونبذ كل ما هو جديد وغربي، ورفض الانصياع لسلطات الاحتلال البولونية الكاثوليكية، وقد تبنت هذه الطروحات المناطق الوسطى المحيطة بموسكو، والمناطق الشرقية في حوض نهر الفولغا، وتحديداً في منطقة حوض الفولغا تشكلت أولى القطعات العسكرية الشعبية بقيادة النبلاء التتار، وخاضت المعارك ضد قوات الاحتلال البولونية، ومن ثم توحدت القطعات العسكرية الشعبية مع حركة المقاومة الشعبية الروسية والتتارية في منطقة نيجني نوفغورود الشمالية ـ الشرقية بقيادة تاجر اللحوم التتاري كوزما مينين، والقائد العسكري الروسي الأمير ديمتري بوجارسكي، وتمّ تشكيل جيش وطني موحّد تحت قيادة «المجلس الوطني لعموم الأراضي الروسية»، الذي رفض الاعتراف باعتلاء الأجنبي العرش الروسي، وطرح مهمة تحرير العاصمة موسكو من السيطرة البولونية (٤٢). وفي صيف عام ١٦١٢م اقترب الجيش الشعبي من موسكو، والتحم مع القطعات القوزاقية بقيادة الأمير تروبيتسكوي، واستطاعت القوات الروسية صد هجمات القوات البولونية التي أرسلت لفك الحصار عن موسكو، وفي شهر أكتوبر/ تشرين الأول تم تحرير موسكو من السيطرة البولونية (٤٤).

انتقال الحكم في روسيا إلى عائلة رومانوف وانتهاء مرحلة الفتنة والتحرر من السيطرة الأجنبية

في بداية عام ١٦١٣م اجتمع مجلس الدولة الروسية «الزيمسكي»، وشارك في أعماله جميع ممثلي الفئات الاجتماعية، باستثناء الخولوبي وفلاحي الإقطاعيين، واستمرت أعماله فترة امتدت أكثر من شهر، نوقشت خلاله المسألة الأساسية، وهي انتخاب قيصر جديد للدولة الروسية، وبعد مداولات مطولة طرحت خلالها عشرات الخيارات، من ضمنها الخضوع للعرش السويدي، ثم حسم الصراع لمصلحة الاتجاه الروسي

أرسل القيصر الروسي المخلوع وزوجته بعد حلق رأسيهما إلى وارسو العاصمة البولونية ضمن غنائم الحرب، وقاما بالركوع امام عرش الملك البولوني سيغيز موند ″ الث. وقبلا اطراف ثوبه

المحافظ المدعوم من قبل الكنيسة الروسية الأرثوذكسية، فتم الإجماع على انتخاب ميخائيل رومانوف ابن المطران فيودر رومانوف قيصرًا على الدولة الروسية. والمثير للاهتمام أن القيصر المنتخب ووالده كليهما لم يشاركا في اجتماعات مجلس الدولة (٤٤).

كان عمر القيصر المنتخب ميخائيل رومانوف ثمانية عشر عامًا. ويعيش في ذلك الحين مع والدته في مقاطعة كوستروم الشمالية - الشرقية. بعد أن تم فك أسره على أثر تحرير موسكو في نهاية عام ١٦١٢م. اما والده المطران فيودر فكان معتقلاً في وارسو لنشاطه المعادي للسيطرة البولونية (٤٥). لقد أجمعت العائلات البويارية الروسية على انتخاب ميخائيل رومانوف لحداثة سنه، ولعدم مشاركته شخصيًا في أحداث الفتنة. بالإضافة إلى صلة قرابة عائلة رومانوف مع السلالة السابقة. فقد كان المطران فيودر رومانوف شقيق القيصرة أناستاسية زوجة القيصر إيفان الرهيب، وكان خال القيصر فيدور إيفانوفيتش، وكانت له علاقات واسعة مع مختلف الأمراء والبويارين الروس، ويتمتع بنفوذ قوي في داخل الكنيسة الروسية الأرذوكسية، وضمن النخبة الروسية العليا كان ينظر إليه على أنه أحق من بوريس غادونوف في اعتلاء العرش بعد وفاة ابن أخته القيصر فيودر ايفانوفيتش (٤٦). وبانتخاب ميخائيل رومانوف قيصرًا على الدولة الروسية انتصرت القوى الروسية المحافظة الداعية إلى العودة إلى أنظمة الحكم الروسية التقليدية المتجسدة في السلطة الاستبدادية الأرثوذوكسية.

يسود الاعتقاد بين المؤرخين أن سيكولوجية إيفان الرهيب الغنوصية المتعصبة المتسمة بالتناقض المعقد، والسادية أدخلت المجتمع الروسي في بوتقة أزمة بنيوية عميقة

توجهت السلطة القيصرية الجديدة لتدعيم سلطتها الداخلية، وتركزت بشكل أساسي في قمع الحركة القوزاقية الجنوبية بقيادة الأتمان إيفان زاروتسكي المتمركز في منطقة الدون العليا، الذي رفض الانصياع إلى سلطة القيصر الجديد ميخائيل رومانوف، ودعا إلى الاعتراف بسلطة القيصر إيفان بن ديمتري «الكذاب» الثاني وزوجته القيصرة مارينا مينشيك، وفي عام ١٦١٤م زحفت قوات زاروتسكي نحو مدينة إستراخان، وسيطرت عليها. وفيها جرت مراسم تنصيب القيصر إيفان بن ديمتري «الكذاب» الثاني، وكان عمره أربع سنوات (٤٨). ويبدو أن صغر سن إيفان، وبعد المسافة عن الحدود البولونية سمحا للقوات الروسية الموالية للقيصر ميخائيل رومانوف بقمع حركة زاروتسكي القوزاقية بعد سلسلة من المعارك العنيفة، إذ تم قتل الأتمان، وألقي القبض على مارينا مينشيك وابنها إيفان، وتم إعدامهما في الساحة الحمراء في موسكو. وفي الوقت نفسه أحكمت السلطة القيصرية الجديدة سيطرتها على الحركة القوزاقية الجنوبية من خلال عقد اتفاقات جماعية مع أبرز أتمانات القوزاقيين، منحتهم بموجبها الحكومة الروسية مساحات واسعة من الأراضي الجنوبية، بشرط الولاء للعرش القيصري الروسي، وتأدية الخدمة العسكرية لديه (٤٩).

لقد خرجت الدولة الروسية من مرحلة الفتنة «سموتا» مرهقة بالخسائر البشرية والاقتصادية، إذ تؤكد الدراسات التاريخية أن عدد سكان روسيا انخفض في مرحلة الفتنة إلى الثلث من أصل عشرة ملايين نسمة في نهاية القرن

السادس عشر. وفقدت روسيا موقعها على الساحة الدولية، وأصبحت أسيرة العزلة الخارجية، وضعفت قدرتها العسكرية. وتعززت في داخل المجتمع الروسي النزعات المحافظة المعادية للغرب الأوروبي ولكل ما هو أجنبي.

لقد شكلت الفتنة «سموتا» مرحلة انعطافية في تاريخ الروسية الذي تجسد في اتفاق جميع الفئات الاجتماعية على تأسيس سلالة حاكمة جديدة تقوم بتسيير شؤون الرعية، وإدارة الدولة ضمن الأصول والتقاليد الروسية المحافظة، وترسيخ النزعات الاستبدادية المطلقة في السلطة القيصرية الجديدة.



تمثال نصفي لإيفان الرهيب



بوشكين

الدولة الروسية تمثلت في انهيار النخبة الحاكمة التي كانت تجسد تاريخيًا مركز الثقل الأساسي في الدولة الروسية، وبانهيار المركز تحطمت مجمل تركيبة المجتمع الروسي. ودخلت جميع الفئات الاجتماعية في أتون حرب أهلية بالغة العنف، استمرت أكثر من عشر سنوات. لقد خرجت الدولة الروسية من بوتقة الفتنة والحرب الأهلية فقط على أثر إعادة تشكيل المركز الجديد للدولة

تشغل مرحلة الفتنة «سموتا» حيزًا أساسيًا في جميع الدراسات المختصة بتاريخ الدولة الروسية، وتثير جدلاً واسعًا في أوساط المؤرخين الروس والأجانب المختصين بتاريخ الدولة الروسية. ويطفو موضوع الفتنة على السطح في المراحل التاريخية الانعطافية التي مرت بها الدولة الروسية، وبالأخص في مرحلة الحرب الأهلية، التي أعقبت وصول

البلاشفة إلى السلطة في عام ١٩١٧م. وفي المرحلة التي شهدت عملية انهيار الاتحاد السوفييتي في العقد الأخير من القرن العشرين. ويسود الاعتقاد بين المختصين بالشؤون الروسية أنه لا يمكن فهم أسرار تاريخ الدولة الروسية. وخصوصية تطور المجتمع الروسي من دون التوقف عند مرحلة الفتنة «سموتا» التي شهدتها روسيا في بداية القرن السابع عشر. والجدير بالذكر أن هذا الموضوع تناوله الكثير من الأدباء الروس. أبرزهم الشاعر المشهور ألكسندر بوشكين الذي كتب مسرحيته الشعرية «بوريس غادونوف» التي يقدمها مسرح البولشوي في أغلب مواسمه المسرحية.

المراجع والهوامش

1. غولوبيفاتمارا. السلالات القيصرية. موسكو ٢٠٠١م. بالروسية. ص ٥٢.
2. الأوبريحنينا تسمية أطلقت على السياسة الداخلية التي انتهجها القيصر الروسي ايفان الرهيب رسمياً في الفترة الواقعة بين عامي ١٥٦٥ و١٥٧٢م. واستمر في ممارستها بشكل سري حتى اخر حياته. وهدفت الى تصفية خصومه السياسيين. وبشكل خاص البويارين (الإقطاعيين) ومصادرة أملاكهم. وتوزيعها على أنصاره.
3. غولوبيفا تمارا. مرجع سابق. ص٥٥.
4. المرجع السابق. ص ٦٠.
5. المرجع السابق. ص ٦٠.
6. تاريخ روسيا بإشراف ساخاروف ا. ن. ٣ اجزاء. موسكو ٢٠٠١م. بالروسية. ج١. ص٦٣٤.
7. المرجع السابق. ص ٦٣٤.
8. سبرير نيبوف رافاييل. التتار والأتراك. تاريخ الإمبراطوريات العظيمة. ٢ أجزاء. قازان ١٩٩٧م. بالروسية. ج٢. ص ٢٠١
9. تاريخ روسيا باشراف كيروف. موسكو ٢٠٠١م. بالروسية. ص ١٢٨.
10. المرجع السابق. ص ١٢٨.
11. المرجع السابق ص ١٢٩.
12. كارامزين نيكولاي. اخبار القرون. موسكو ١٩٨٨م. بالروسية. ص ٧٢٤.
13. المرجع السابق. ص ٧٢٥.
14. المرجع السابق. ٧٣٣.
15. تاريخ موسكو. مجموعة وثائق. ٤ أجزاء. موسكو ١٩٩٦م. بالروسية. ج٢. ص ١٦٥.
16. المرجع السابق. ١٦٦.
17. تاريخ روسيا باشراف كيروف. مرجع سابق. ص ١٢٩.
18. المرجع السابق. ص١٣٠.
19. فيكو ا. ف. تاريخ روسيا. مينسك ٢٠٠١م. بالروسية. ص ٢٤٥.
القوزاق تسمية تتارية. وتعني المقاتل الحر. وقد برزت الحركة القوزاقية في القرن الخامس عشر على أثر تفكك دولة أوردا الذهبية التتارية إلى عدة إمارات.
20. المرجع السابق. ص ٢٤٥.
21. تاريخ موسكو. مجموعة وثائق. مرجع سابق. ج٢. ص ١٦٩.
22. المرجع السابق. ج٢. ص ١٧٠.
23. المرجع السابق. ج٢. ص١٧٠.
24. المرجع السابق. ج٢. ص ١٧١.
25. كوزميكو. ف.م. تاريخ روسيا. موسكو ١٩٩٩م. بالروسية. ص٨٨.
26. المرجع السابق. ص ٩٠.
27. تاريخ موسكو. مجموعة وثائق. مرجع سابق. ج٢. ص ١٧١.
28. المرجع السابق. ص ١٧٢.
29. فيكو. ا. ف. مرجع سابق. ص٢٤٥
30. المرجع السابق. ص٢٥٥.
31. المرجع السابق. ص ٢٥٧.
32. تاريخ روسيا باشراف ساخاروف. مرجع سابق. ج١. ص ٤٧٤.
33. المرجع السابق. ج١. ص ٤٧٥.
34. تاريخ موسكو. مجموعة وثائق. مرجع سابق. ج٢. ص ١٧٤.
35. المرجع السابق. ج٢. ص ١٧٥
36. المرجع السابق. ج٢. ص ١٧٦
37. تاريخ روسيا باشراف كيروف. مرجع سابق. ص ١٣٣.
38. المرجع السابق. ص ١٣٣.
39. كوزميكو. ف. م. مرجع سابق. ص ٩٢.
40. المرجع السابق. ص ٩٣.
41. المرجع السابق. ص ٩٣.
42. غولوبيفا تمارا. مرجع سابق. ص٦٨.
43. كوزميكو. ف. م. مرجع سابق. ص ٩٤.
44. تاريخ موسكو. مجموعة وثائق. مرجع سابق. ج٢. ص ١٧٧.
45. غولوبيفا تمارا. مرجع سابق. ص ٧٠.
46. المرجع السابق. ص ٧١.
47. المرجع السابق. ص ٧٢.
48. تاريخ روسيا باشراف كيروف. مرجع سابق. ص ١٣٤.
49. المرجع السابق. ص ١٣٥.



كيف أصبح حي بن يقظان ابن الغابة؟!

ثائر صالح

بودابست ـ المجر

بعد جهود كبيرة، وعمل شاق، دام أكثر من سنتين، تحول عمل ابن طفيل الشهير حي بن يقظان إلى فلم سينمائي كارتوني طويل باسم "ابن الغابة". ويعود الفضل في ذلك إلى الفنان ثامر الزيدي، المخرج العراقي المقيم في المجر، وإلى تفاني فريق عمله الكبير المتألف من خيرة الفنانين المجريين والعرب. وهذا أول فلم سينمائي كارتوني خليجي وعربي طويل، وقد أنتج بمواصفات عالمية.

اشتهر عمل أبي بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي (٤٩٤ . ٥٨١هـ) كثيراً، وهو مصنفه الوحيد الذي وصل إلينا، مع أنه ألّف كتابين في الطب، وأرجوزة في الطب مخطوطة في أكثر من ٧٧٠٠ بيت، وهي موجودة في خزانة القرويين بفاس(١)، ومقالة في علم الفلك، ورسالة في النفس، وله تصانيف في أنواع الفلسفة من الطبيعيات والإلهيات وغير ذلك، فقدت جميعها.

ولد ابن طفيل بالقرب من غرناطة في أوائل القرن السادس الهجري (أوائل القرن الثاني عشر الميلادي) وحصل في غرناطة على ثقافة واسعة، وأجاد علوم الطب والفلسفة والدين والأدب والفلك. يقول ابن طفيل: إن ابن باجّه كان أستاذه (وهو أبو بكر محمد بن يحيى) والمعروف أيضاً بابن الصائغ، ولد بسرقسطة وتوفي في فاس مسموماً سنة (٥٣٣هـ/ ١١٣٨م). وهو رائد الفلسفة في الأندلس، ويعرف في المصادر اللاتينية باسم Avempace. وابن طفيل بدوره كان معلماً وراعياً لواحد من أعظم


المخرج العراقي ثامر الزيدي

الفلاسفة العرب. وهو ابن رشد (وتسميه المراجع اللاتينية Averroes. وقد عاش بين عامي ١١٢٦و١١٩٨م). عمل ابن طفيل كاتباً عند والي غرناطة. ثم في طنجة قبل أن يستوزر عند ملك المرابطين أبي يعقوب يوسف في المغرب. وغدا طبيبه الخاص. وبعد وفاة الملك في سنة ٥٨٠ هـ أبقاه ابنه أبو يوسف يعقوب الملقب بالمنصور في خدمته. لكن ابن طفيل توفي سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥م) في مراكش. ودفن فيها بتشييع مهيب حضره السلطان.

حضارة الحوار

لمجرد ذكر أسماء ابن باجّه وابن طفيل وابن رشد. يضطر المرء إلى ذكر اسم علم آخر من أعلام الحضارة العربية الإسلامية. علم ارتفع في الشرق. ألا وهو الإمام الغزالي (أبو حامد محمد الغزالي. عاش بين سنتي٤٥٠ و٥٠٥ هـ. بين عامي ١٠٥٨ و١١١١م). فقد مثل الطرفان تيارين مهمين في الحضارة العربية والإسلامية. وتحاور الطرفان. فاشتهرت المناظرات بينهما. كتب الغزالي عمله الشهير «تهافت الفلاسفة»

فرد عليه معاصره ابن باجّة أول الأمر. ثم تلاه ابن رشد، تلميذ ابن طفيل، ليضع رده في كتابه «تهافت التهافت» الذي اشتهر هو الآخر. لكن عظمة هذه الحضارة في تلك الفترة كانت تكمن في الحوار. يقول ابن طفيل في مصنفه «حي بن يقظان»: إنه أفاد من ابن سينا، والغزالي في فلسفته على حد سواء: «ولم يتخلص لنا، نحن، الحق الذي انتهينا إليه، وكان مبلغنا في العلم، [إلا] بتتبع كلامه [أي الغزالي] وكلام الشيخ أبي علي [ابن سينا]، وصرف بعضهما إلى بعض، وإضافة ذلك إلى الآراء التي نبغت في زماننا هذا، ولهج بها قوم من منتحلي الفلسفة، حتى استقام لنا الحق أولاً بطريق البحث والنظر، ثم وجدنا منه الآن هذا الذوق اليسير بالمشاهدة؛ وحينئذ رأينا أنفسنا أهلاً لوضع كلام يؤثر عنّا...» (٢).

وعلى الرغم من نقده الشديد لفكر الغزالي، فهو عند ابن طفيل من أصحاب المشاهدة، وأنه بلغ السعادة القصوى: «ولا شك عندنا في أن الشيخ أبا حامد ممن سعد السعادة القصوى، ووصل تلك المواصل الشريفة» (٣). بذلك فهو يضرب لنا أمثولة في الإيمان بأهمية تعدد الآراء والتفاعل بينها، وهذا هو السبيل الوحيد والصحي لنمو وتطور ورقي الحضارة والمجتمع، على عكس منهج من يكفّرون خصومهم على الفور.

قصة لها أبعادها الفلسفية والعلمية

وقصة حي بن يقظان تتضمن تصور ابن طفيل عن ارتقاء العقل البشري عبر التاريخ، وطريق الإنسان للتعرف إلى ذاته وبينه والعالم، وأخيراً التوصل إلى وجود الله عز وجل. فهي موجز قصة الحضارة، واكتشاف الإنسان العالم والخالق. ومع ذلك تجذب آراؤه عن كيفية خلق حي بن يقظان الاهتمام. إذ بعد المقدمة الفلسفية وعرض آراء الفلاسفة وانتقاداته لها، يشير إلى ولادة حي بن يقظان، فيعرض علينا وجهتي نظر: الأولى تقول بحمل امرأة به بعد زواجها سراً، ثم وضعها للوليد في صندوق بالبحر حتى لا ينكشف أمرها، فحمل الصندوق الوليد حتى جزيرة منعزلة، ووجهة النظر الأخرى التي تقول: إنه تولد من الأرض. «وأما الذين زعموا أنه تولد [من الأرض] فإنهم قالوا: إن بطناً من أرض تلك الجزيرة، تخمرت فيه طينة على مر السنين، حتى امتزج فيها الحار بالبارد، والرطب باليابس، امتزاج تكافؤ وتعادل في القوى، وكانت هذه الطينة المتخمرة كبيرة جداً، وكان بعضها يفضُل بعضاً في اعتدال المزاج والتهيؤ لتكوّن الأمشاج، وكان الوسط منها أعدل ما فيها وأتمه مشابهة بمزاج الإنسان: فتمخضت تلك الطينة، وحدث فيها شبه نفاخات الغليان لشدة لزوجتها، وحدث في الوسط منها (لزوجة) ونفاخة صغيرة جداً، منقسمة بقسمين، بينهما حجاب رقيق، ممتلئة بجسم لطيف هوائي في غاية من الاعتدال اللائق به، فتعلق عند ذلك الروح

كان لمؤلف ابن طفيل هذا تأثير كبير في العقل الأوربي، وأسهم في تطور العلوم والآداب في أوربا على السواء، فقد قرأ دانييل دي فو الكتاب، وكتب على أساسه قصته الشهيرة "روبنسون كروزو" بما يلائم العقل الأوربي حينئذ



المحبة والوفاء والإخلاص من القيم التي يبثها الفلم

قصة حي بن يقظان تتضمن تصور ابن طفيل عن ارتقاء العقل البشري عبر التاريخ، وطريق الإنسان للتعرف إلى ذاته وبيئته والعالم، وأخيراً التوصل إلى وجود الله عز وجل. فهي موجز قصة الحضارة، واكتشاف الإنسان العالم والخالق

الذي هو من أمر الله تعالى، وتشبث به تشبثاً، يعسر انفصاله عنه عند الحس، وعند العقل: إذ قد تبين أن هذا الروح دائم الفيضان من عند الله عز وجل، وأنه بمنزلة نور الشمس الذي هو دائم الفيضان على العالم ... إلخ»(١٠). هذا الوصف الذي يشير إلى انقسام الخلايا وتكاثرها سبق التصورات العلمية الحديثة حول ظهور الحياة بنحو سبعة قرون. وتلا

الولادة مراحل تطور حي بن يقظان، أي العقل البشري (وقد وصف الغزالي مراحل المعرفة الأربع، وهي المعرفة بالحس، ثم المعرفة بالعقل، ثم بالتفكير، وأخيراً بالمشاهدة، وهي المراحل ذاتها التي أخذتها الفلسفة الأوربية حتى عصر النهضة).

ويشير ابن طفيل في كتابه هذا إلى كروية الأرض، فيقول: «وقد ثبت في علوم التعاليم بالبراهين القطعية، أن الشمس كروية الشكل، وأن الأرض كذلك، وأن الشمس أعظم من الأرض كثيراً...» (٥) وعلوم التعاليم بحسب الفارابي هي سبعة، علم العدد، وعلم الهندسة، وعلم الحيل، وعلم المناظر، وعلم النجوم، وعلم الموسيقا وعلم الأثقال.

مرة ثانية نضطر إلى القول: إن هذا الكلام يسبق ما توصلت إليه علوم أوروبا بعد عصر النهضة بقرون وقرون، فبعض الناس يؤمن إلى اليوم أن الأرض مسطحة أو على شكل قرص، وكادت الكنيسة تحكم على العالم الكبير غاليليو غاليلي (١٥٦٤-١٦٤٢م) بالقتل حرقاً لتفوهه بكلام من قبيل دوران الأرض حول الشمس بعد نحو أربعة قرون من وفاة ابن طفيل. ولهذا نؤمن بأن في بطون ما وصلنا من كتب التراث كنزاً من المعرفة، يجب الاهتمام به، وتحقيقه تحقيقاً علمياً أميناً. من جانب آخر نرى ضرورة تقديم هذا التراث إلى جيل الشباب بلغة عصرية وعلمية يفهمونها، سواء عبر أفلام الرسوم المتحركة، أو الأفلام السينمائية والوثائقية، أو المسرحيات أو الدراسات أو الكتب المبسطة .. إلخ.

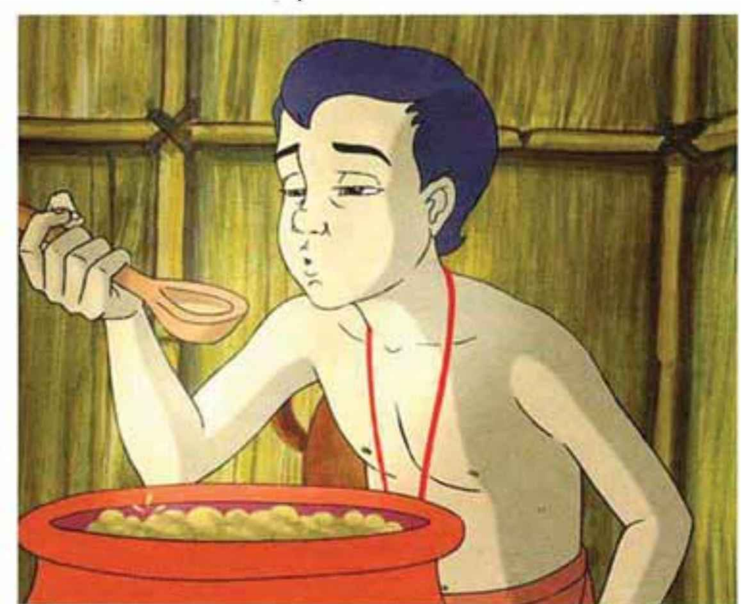
تأثير في العقل الغربي

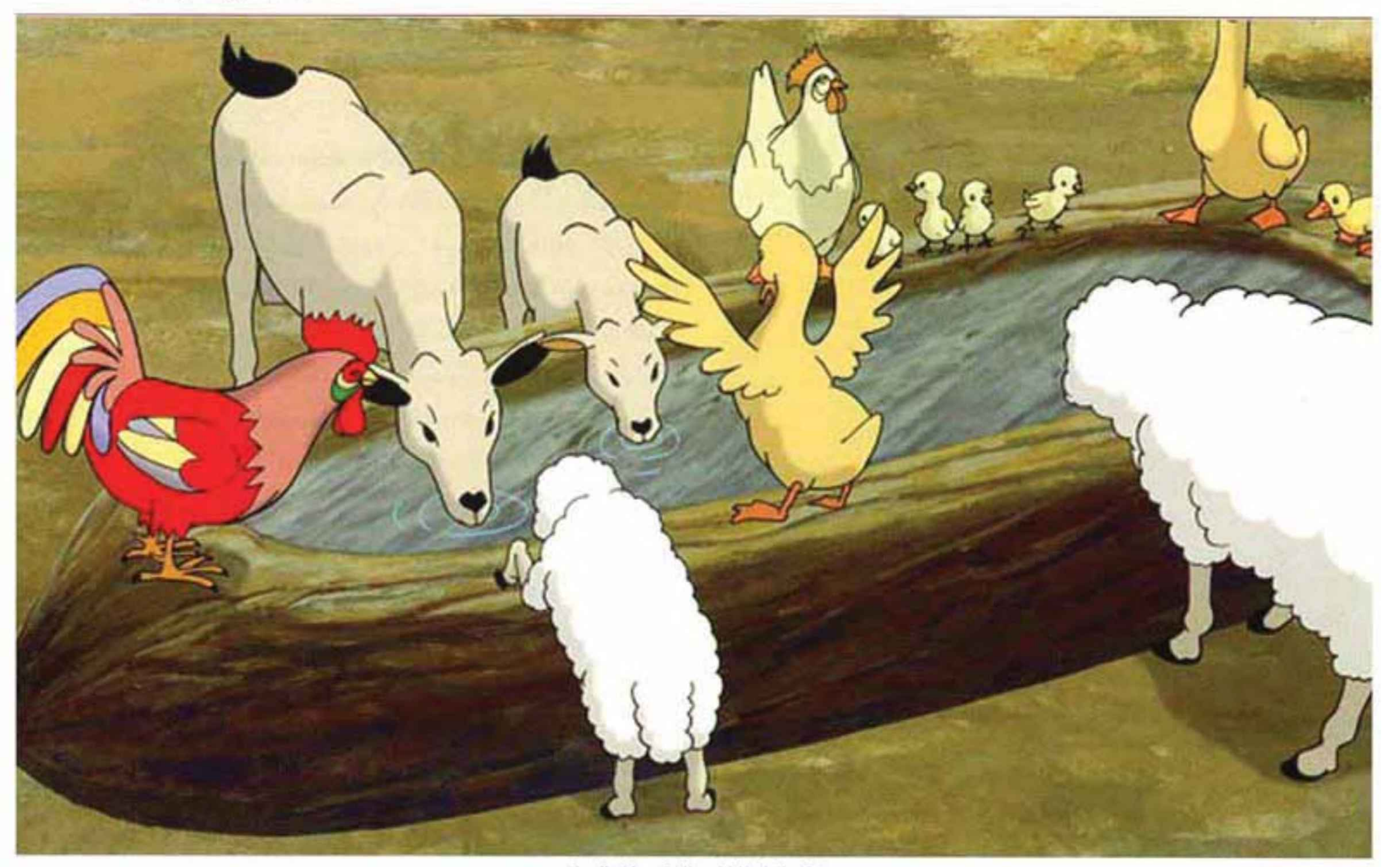
خلبت قصة حي بن يقظان عقل أوربا، فاشتهرت كثيراً. وقد ترجمها إدوارد بوكوك Edward Pococke إلى اللغة اللاتينية الصادرة في عام ١٦٧١م بعنوان «Philisophus autodidactus»، تلتها الترجمة الإنجليزية في عام ١٧١١م التي قام بها أوكلي. ولحقتها الترجمات الألمانية في عام ١٧٢٦م، ثم الفرنسية، والروسية، وغيرها. وصدرت في عام ١٩٠٠م الترجمة الفرنسية الجديدة التي أنجزها ليون غوتييه Léon Gauthier عن المخطوطة الجزائرية من الكتاب، وهي أقدم وأدق نسخة معروفة من عمل ابن طفيل، وقد اكتشفت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بالجزائر. وكانت المخطوطة الجزائرية الأصل المعتمد للترجمة المجرية التي أنجزها تماش كاتونا. وإمره

بالارتباط بهذه القصة أنتجت هوليوود الكثير من أفلام الرسوم المتحركة، وأهمها قصة "ماوغلي" أو "كتاب الغابة" Jungle Book وكذلك أفلام طرزان التي اقتبست هي الأخرى من قصة ابن طفيل



الطفل هو الطفل في أي مكان





يستوقف الفلم المشاهد للتفكير بكنه الحياة

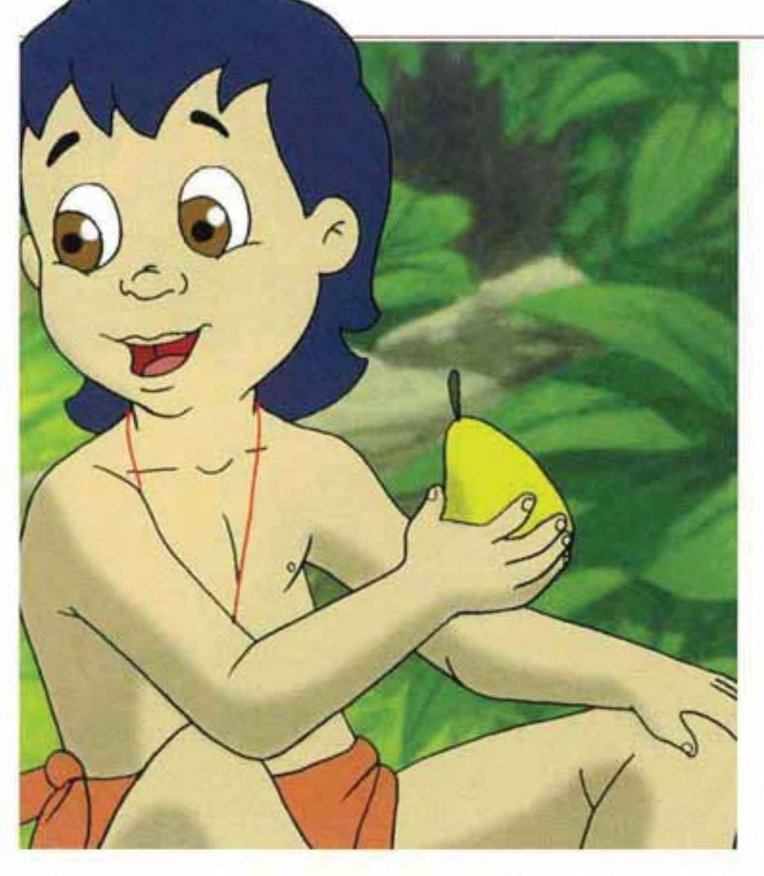
مولنار. وصدرت في بودابست عام ١٩٦١م.

بهذا كان لمؤلف ابن طفيل هذا تأثير كبير في العقل الأوربي. وأسهم في تطور العلوم والآداب في أوربا على السواء. فقد قرأ دانيل دي فو الكتاب. وكتب على أساسه قصته الشهيرة «روبنسون كروزو» بما يلائم العقل الأوربي حينئذ. باستسياده على شعوب العالم من خلال اتخاذ روبنسون شخص «جمعة» خادماً. واعتباره أدنى منزلة منه. كما استفاد منها أكبر أدباء عصر الأنوار في فرنسا. جان جاك روسو. في عمله المعنون «أميلي». ليثبت أن الطبيعة والعقل الطبيعي قادران على إنتاج شخصية بشرية متكاملة.

وبالارتباط بهذه القصة أنتجت هوليوود الكثير من أفلام رسوم متحركة. وأهمها قصة «ماوغلي» أو «كتاب الغابة» Jungle Book وكذلك أفلام طرزان التي اقتبست هي الأخرى من قصة ابن طفيل.

فلم مختلف

بهذا الصدد يقول مخرج الفلم ثامر الزيدي: «قدم دزني فلم طرزان بشكل مشوه. فقد صوره إنساناً تقوده غرائزه. أما ابن يقظان فقد قاده عقله وفكره



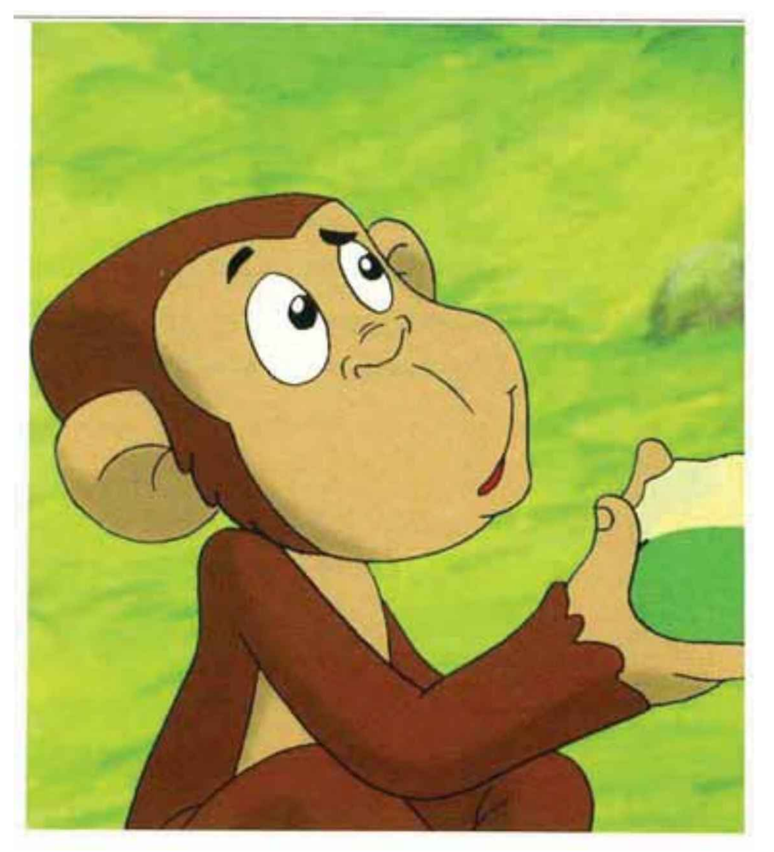
الفلم يترك للمشاهد مجالاً للتفكير ولايدغدغ الغرائز كأفلام ديزني

وعواطفه النبيلة» والفارق بين الصورتين كبير.

ولهذا السبب بالذات نلمس فارقاً شاسعاً بين ما تعودناه عن أفلام دزني من دغدغة للغرائز (العنف والمشاهد الكوميدية والإيقاع الشديد السرعة) بما لا يترك للمشاهد مجالاً للتفكير، وبين انسيابية فلم ابن الغابة ويسره الذي يدفع المشاهد إلى التأمل والتفكير. تقول المشرفة على الحوار والدراما د. اعتقال الطائي: «لقد تعود الأطفال في جميع أنحاء العالم على الإيقاع السريع والعنف في أغلب الأفلام الأمريكية. فتلك الأفلام لم تدع للطفل الاستغراق، ولو للحظة واحدة، في التفكير بالحدث. إن فلم ابن الغابة ليس فلم مغامرات طفل فحسب، بل يستوقف المشاهد للتفكير بكنه الحياة، وتأثير الطبيعة الكبير الذي يدفع ببطل الفلم حي بن يقظان إلى البحث عن القوة المسيرة لتلك الظواهر، ألا وهو الخالق. هذا ليس بعيداً عن تفكير المشاهد الأوربي». أما كبير الرسامين شاندور تشاني فيقول: «يمكن أن نشعر باختلاف شخصيات الفلم، ونمط حركتها، لكن ذلك لم يسبب للرسام أدنى مشكلة. فالأطفال يقومون بنفس الحركات في كل مكان. هم نفس الأطفال. نفس التفكير ونفس المقالب التي يقومون بها. لم يكن هناك سوى تأثير الاختلاف الثقافي. فقد عمل الزيدي على النص وغيّره بشكل عميق. ونحن نعرف القصة من خلال كتاب الأدغال وروبنسون. لكني لم أطلع على النص الأصلي قبل بداية العمل. فجيلنا نشأ على أفلام هوليوود، التي تعتمد على سرعة الحركة وديناميكيتها والسخرية والفكاهة. وتواصل الأحداث بشكل سريع. أما فلم ابن الغابة فيمثل ثقافة مختلفة. يؤكد على المواقف والتعابير الدقيقة الهادئة الواضحة. فثامر الزيدي أراد إخراج فلم يختلف عن الأفلام الغربية. وهنا كانت الصعوبة بالنسبة لنا. وتعين علينا التأقلم مع هذه النظرة».

كان يا ما كان
في سالف الأيام والزمان
مدينة تعيش في سلام
تعيش في أمان
والبحر جارها ... يمنحها الحنان
يجود بالأسماك والمرجان
وأجمل ما فيها هو الإنسان

ومن بين القيم التي يبثها الفلم نجد العلاقة الحميمية والإنسانية بين أبطاله. الصدق في العواطف، وحب الناس. يقول المخرج: «ابن يقظان



ليس الباحث ولا المراقب والمشاهد لما يدور حوله في الطبيعة ليتوصل إلى نتائج فحسب، بل يتمتع بأخلاق، وبتصرف حسن في علاقته مع الآخرين، خاصة مع الحيوانات. وقد فرحت كثيراً لأنني تمكنت من أن أوصل للطفل أهمية المحبة والوفاء والإخلاص من خلال قصة تاريخية تراثية فلسفية، فيها عواطف إنسانية. فمن خلال علاقته بالحيوانات تتكون حميمية إنسانية، برزت في مشهد وداع حي للغابة والحيوانات، ويحس المشاهد عند ابتعاد حي عن الغابة بالصدق في المشاعر. كل هذا المشهد جرى بصمت. قلنا في الفلم كلمة كبيرة ومهمة: حب الناس. حب الإنسان لما يحيط به. وهذه قيمة إنسانية عظيمة. وقد قالها ابن طفيل

بشكل جميل جداً.. ويشير إلى رضاه عن مستوى الفلم ونجاحه في إيصال الرسالة إلى الطفل المشاهد: «أثناء التنفيذ تتولد أفكار جديدة، وتتطور ذهنية المخرج بتواصل العمل؛ لأن أفلام الرسوم المتحركة تختلف عن الأفلام السينمائية، وبشكل خاص التلفزيونية، فإنجازها يتطلب فترة طويلة، سنتين في حالة هذا الفلم. خلال هذه الفترة يبدأ المخرج بتطوير الأحداث حتى يخلص إلى الفكرة التي يريد توصيلها. أستطيع القول: إنني تمكنت من إيصال ما أردت أن أقول في هذا الفلم».

أغنية النهاية:

ودعتك ... جزيرتي
ودعتك ... يا غابتي
ودعتك .. يا أمي الطبيعة
يا هل ترى هل البشر ... أجمل منك يا بحر؟
يا هل ترى هل البشر ... أجمل منك يا شجر؟
يا هل ترى كما المطر ... كريمة يد البشر؟
عدت يا أمي إليك ... بعد أن طال الغياب
عشت إنساناً غريباً ... وتحديت الصعاب
عدت يا أهل بلادي
عدت أحيا بين أهلي بعد طول السفر
عدت أحيا بين أهلي مثل كل البشر
عدت أبني ... عدت أعمل
عدت يا أهل بلادي
فيا أخي الإنسان
كن عاملاً وعالماً ... كن عادلاً مسالماً
أنت الذي يعمر البلدان
أنت أخي الإنسان
هدية الرحمن للأكوان
ما أجمل الدنيا إذا تكاتف الإنسان والإنسان

عمل عامين

هذا الفلم أنجزه فريق عمل حاشد على مدى أكثر من عامين بتكاتف واضح، حتى يخرج بمستوى راق لا يقل عن مستوى الأفلام العالمية. ويقول المخرج ثامر الزيدي عن زملائه: «خلال إنتاج الفلم تكون عندي فريق عمل أعتز به كثيراً. كان هذا الفريق متفانيًا في العمل بشكل يندر الحصول عليه في أوروبا. فكان الفنانون يعملون حتى في أيام عطلة نهاية الأسبوع والعطل الرسمية والأعياد، وأحياناً ١٦ ساعة في اليوم حتى نستطيع إنجاز الفلم بالهيئة التي أنجز بها».

وتقول د. الطائي (وهي متخصصة بعلم جماليات السينما، وقد حازت على شهادة الدكتوراه في النقد السينمائي في بودابست): «ساهمت في العمل من خلال ترجمة السيناريو الأدبي، وكتابة الحوار، والمشاركة مع المخرج والدراماتورغ [المشرف الدرامي] في إعداد السيناريو حتى ظهر بشكله النهائي. لذا فالمهام الكبرى كانت تقع على عاتق منفذيه بدءاً من عامل الـ (ستوري بورد) والمصممين والرسامين وانتهاءً بمصمم الأبعاد الثلاثة. لقد أنجزوا عملاً كبيراً مع المخرج، أتجرأ بالقول: إنهم ارتفعوا به الى مستوى لا يقل أهمية عن أفلام الكارتون العالمية، كرسم الشخصيات والمشاهد، وحركة الكاميرا، وإيصال الفكرة الى المتفرج. في الحقيقة

فلم ابن الغابة ليس فلم مغامرات طفل فحسب، بل يستوقف المشاهد للتفكير بكنه الحياة، وتأثير الطبيعة الكبير الذي يدفع ببطل الفلم حي بن يقظان إلى البحث عن القوة المسيرة لتلك الظواهر، ألا وهو الخالق

بالارتباط بهذه القصة أنتجت هوليوود الكثير من أفلام الرسوم المتحركة




من القيم التي يبثها الفلم العلاقة الحميمة بين أبطاله خاصة مع الحيوانات

لم أكن أتصور كيفية تنفيذ بعض المشاهد، واندهشت للدقة والمهارة اللتين نفذت بهما. لقد أضافت الموسيقا كثيراً إلى الفلم، فرفعت من تأثير الحدث، ولا ننسى الأغاني ومؤديها. لقد بذل الفنانون الخليجيون المدبلجون جهوداً كبيرة، ولكن كان من الممكن أن يكون أفضل من الصورة النهائية حسب رأيي». وتضيف إلى ذلك: «يخاطب الفلم المتفرج بغض النظر عن سنه، ولكنه صعب على صغار السن. ستؤثر تقنية الفلم ومسرى الأحداث بشكل إيجابي في المشاهد. أود كذلك أن أذكر، لولا وجودنا كعرب مع العاملين على إنجاز الفلم لما استطعنا إيصال الفكرة بهذا الشكل».

وأسهب المخرج ثامر الزيدي في شرحه عن سير العمل:

يشير ابن طفيل في كتابه هذا إلى كروية الأرض، فيقول: "وقد ثبت في علوم التعاليم بالبراهين القطعية، أن الشمس كروية الشكل، وأن الأرض كذلك، وأن الشمس أعظم من الأرض كثيراً"

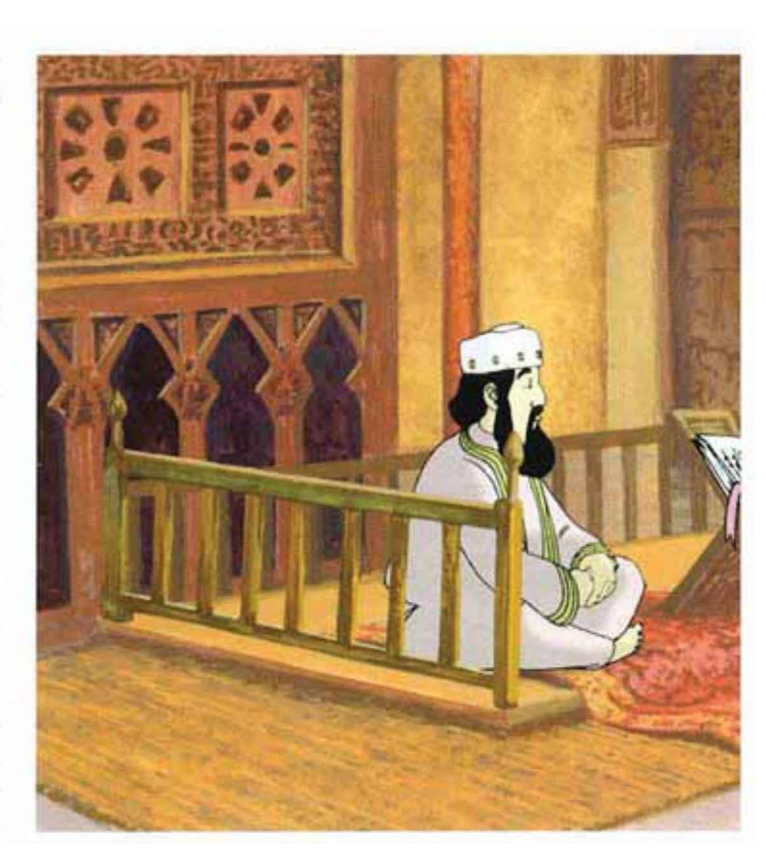
- استعملنا ١٤٤١ صورة في الدقيقة الواحدة (٢٤ إطاراً) وكان العمل يجري حسب الأسلوب العالمي. فقد حولنا السيناريو إلى ستوري بورد(Story board: أي: سيناريو لقطات مصور). وقمنا بوضع اللقطة نفسها بصيغة لاين أوت Line out. وقسمناها إلى عدة لقطات وخلفيات. أخذ تنفيذ اللاين أوت سنة كاملة. وعمل العديد من الرسامين في هذا الإنتاج. فقد اشترك في تنفيذ العمل نحو ٣٠ . ٤٠ رساماً. بعد أن يصمم الرسام ٢٠-٣٠ ثانية نشاهد العمل المصور. وتناقشه لجنة تجتمع أسبوعياً. تتألف من مسؤول الرسامين والدراماتورغ المجري الشهير جولت ريخلي. وقد يُقبل العمل أو لا يقبل فيجري إعادته وتصحيحه. ثم يقوم الرسام الأساسي برسم الحركات الأساسية. وبعدها الحركات التفصيلية. وهي عملية صعبة تعتمد على التصميم. ولا يندر أن تتألف لقطة طولها ١٠ أو ١٥ ثانية من ٤٠٠ رسم. حتى تكون الحركة سريعة وانسيابية. وقد بدأنا مع عشرة رسامين لرسم الخلفيات. وأبقينا على أفضل ثلاثة من بينهم. ونحن نشاهد كل اللقطات مرة ومرتين وثلاث مرات حتى نصل إلى الصيغة النهائية. ونقتنع بها. بعدها تذهب اللقطة إلى التصوير والتلوين. هناك رسامة مهمتها الوحيدة متابعة الخطوط. وهي مسؤولة عن وجوه الشخصيات. وقد راجعت نحو ٢٨٠ ألف رسم هو عدد الصور. حتى يتم المحافظة على الشخصية. وكانت تحضر



عند التصوير النهائي بالأبيض والأسود. وتعطي موافقتها على تعابير وتقاطيع وجوه الشخصيات قبل دفعها إلى التلوين. وأنجز الفنانون عملهم في المواعيد المحددة دون تأخير. وأصعب مرحلة هي تحويل الفلم من القياس التلفزيوني إلى القياس السينمائي مشهداً تلو الآخر. أنجزت شركة كوداك تسجيل العمل على فلم ٣٥ ملم».

أما نوربرت رادفاني. خبير الأبعاد الثلاثة والتأثيرات الفنية. فيقول: «استعملنا الأبعاد الثلاثة والتأثيرات الفنية في ٤٠٠ لقطة في الفلم. مثلاً: انهمار المطر أو عصف الريح أو بزوغ إشعاع أو حصول البرق ... إلخ. ونحن نتعامل مع فضاء افتراضي بأبعاد ثلاثة من خلال استعمال برامج كومبيوترية متطورة. وهناك الكثير منها. والجانب المهم هو تسخير هذه البرامج لإخراج صورة فنية جميلة. وهذا يعتمد بالدرجة الأولى على قدرة الفنان».

قدم فلم «ابن الغابة» بنجاح كبير في مهرجان دبي السينمائي الأخير. ويعرض خلال عام ٢٠٠٥م في مهرجانات عالمية. مثل: مهرجانات مونتريال بكندا. وفينيسيا. والقاهرة. والبحرين. وفي مهرجان كتشكميت (المجر). ومن المحتمل أن يعرض في مهرجان لندن. وستقدم مقاطع منه. مع دراسة عنه. في مهرجان تخصصي في هولندا.



المراجع

١. الأعلام لخيرالدين الزركلي، دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ط١١. ١٩٩٥م
٢. حي بن يقظان لابن طفيل، تقديم وتعليق د. علي أبو ملحم. دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٣٩.
٣. المصدر السابق نفسه، ص٣٧.
٤. المصدر السابق نفسه، ص٤٦.
٥. المصدر السابق نفسه، ص٤٣.

بطاقة:

إخراج: ثامر الزيدي

سيناريو: ليديا فدينا

الحوار والإشراف الدرامي: جولت ريخلي واعتقال العطاني

مدير التصوير: غرغو أردي

الإشراف على الرسوم: شاندور تشاني (كبير الرسامين)

تأليف الموسيقا: حميد البصري، ورعد خلف

كلمات الأغاني: كريم العراقي

أداء: فرقة أوركسترا زرياب - دمشق، بقيادة رعد خلف

غناء: طارق صالحية، وبيدر خلف

إنتاج: مؤسسة الإنتاج البرامجي المشترك لمجلس التعاون لدول الخليج العربية. ٢٠٠٤م

المدير التنفيذي: هاشم محمد الشخص

تنفيذ: شركة دانا فيلم - بودابست





التعلم إلكترونيا ودوره في بناء مجتمع المعرفة

سعد علي الحاج بكري

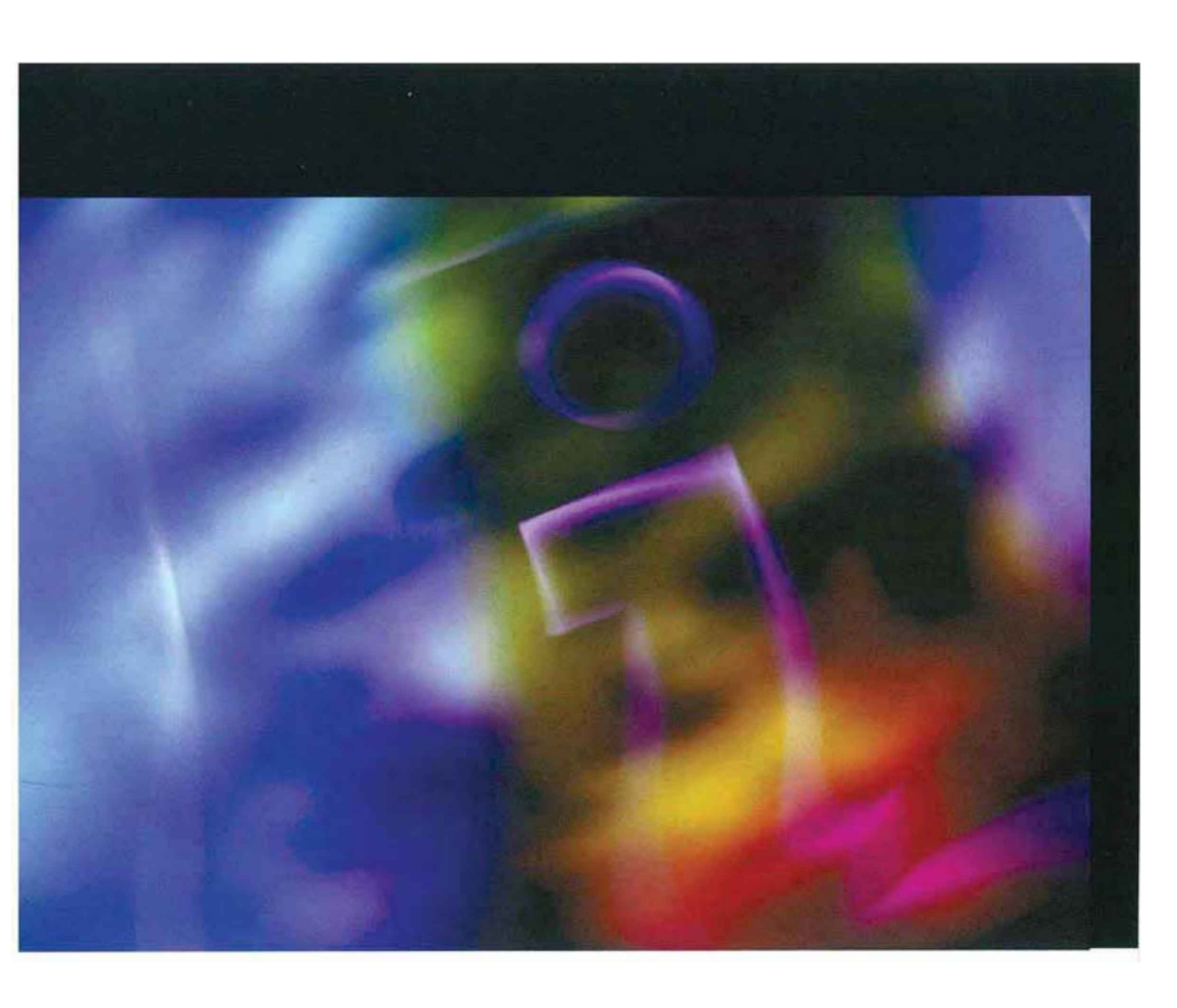
الرياض ـ السعودية

يحتل التعليم مكانة مركزية في بناء مجتمع المعرفة، وفي تحديث هذا البناء باستمرار، والسعي نحو تطوير معطياته الاقتصادية والاجتماعية. فالتعليم وسيلة لنشر المعرفة، وتأهيل الإنسان للأعمال الذكية التي تتضمن التعامل مع المعارف بكفاءة، والاستفادة منها بفاعلية. وتُشكل مسألة نشر المعرفة محطة أساسية من محطات دورة المعرفة الثلاث التي يجب الاهتمام بها وتحسين أدائها من أجل تطوير مجتمع المعرفة وتعزيز قدرته على العطاء.

وتشمل هذه المحطات الثلاث، بالإضافة إلى «نشر المعرفة»، «توليدها» بالإبداع والابتكار، و «توظيفها» في الإنتاج بشقيه الزراعي والصناعي، وفي تقديم الخدمات في شتى المجالات (١، ٢). ولا تنفصل أدوار هذه المحطات بعضها عن بعض. فإذا كان الأثر المباشر للتعليم، الذي نحن بصدده في هذا المقال، هو نشر المعرفة، فإن الأثرين غير المباشرين لهذا التعليم هما زيادة فرص الإبداع والابتكار، وتوسيع نطاق توظيف المعرفة، والاستفادة منها. ونتيجة لمُعطيات تقنيات المعلومات في هذا العصر، بما في ذلك مُعطيات تقنيات الحاسوب والاتصالات، شهد التعليم مساراً إضافياً لنشر المعرفة، لم يكن متوافراً من قبل، ألا وهو «التعلم عن بُعد»، أو «التعلم إلكترونياً». وغاية هذا المقال هي طرح موضوع هذا المسار، والبحث في جوانبه المختلفة.

التعليم عبر العصور

لاشك أن بداية التعليم تعود إلى المراحل الأولى من حياة الإنسان على الأرض، لكن الدلائل التاريخية المتوافرة



تعود بالتعليم إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد. وذلك في كل من بلاد السومريين في ذلك الوقت. وشمال جزيرة العرب. وفي مصر، وغربها. ويُقدم الجدول (١) تلخيصاً لرحلة التعليم عبر الحضارات القديمة والوسطى والحديثة. وصولاً إلى الوقت الحاضر (٢).

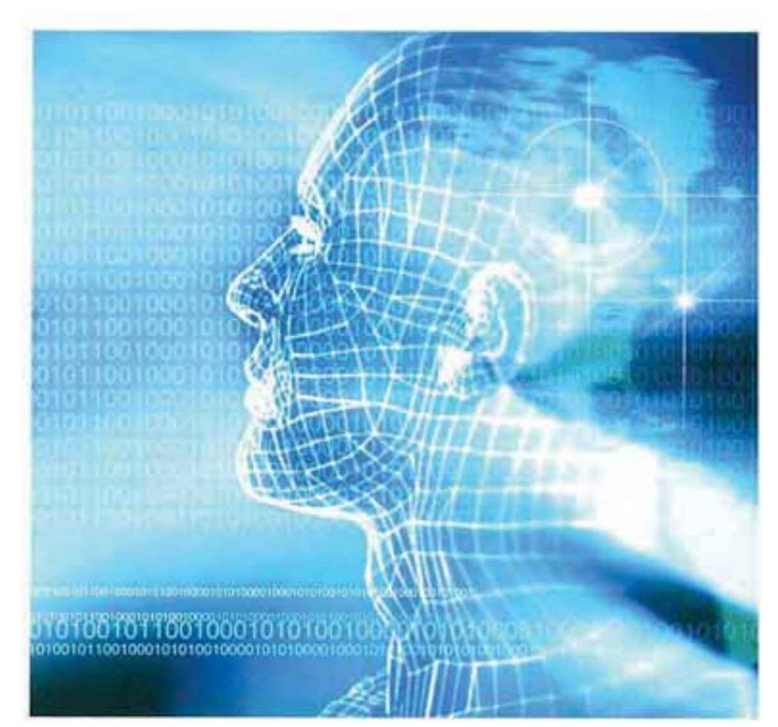
في إطار الحضارات القديمة الأخرى. وهي حضارات ما قبل سقوط روما عام ٤٧٦ للميلاد. هناك دلائل تاريخية على ممارسة التعليم بشكل منهجي في الصين والهند. وبلاد الإغريق. وتُعدّ أكاديمية سقراط. التي كان أفلاطون من أبرز نجومها. ثم مدرسة أرسطو. التي أُنشئت في القرن الرابع قبل الميلاد. أولى الجامعات المعروفة. التي لم يقتصر اهتمامها على التعليم التلقيني. بل شمل أيضاً إجراء البحوث وتوليد المعارف. وقد اهتمت دولة روما القديمة بإنشاء مدارس على غرار مدارس الإغريق. ثم اهتمت بالتعليم. من خلال المدارس المسيحية. بعد إعلان الإمبراطور قسطنطين أن الدين المسيحي دين للدولة عام ٣١٣ للميلاد.

بسقوط روما. وانتهاء العصور القديمة. بدأت



العصور الوسطى، وذلك طبقاً للمصطلحات التاريخية. وقد استمرت هذه العصور حتى سقوط القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية الشرقية، على يدي السلطان محمد الفاتح. في هذه الفترة انصب اهتمام التعليم في الدولة الرومانية الشرقية وأوربا على ما عُرف بالفنون السبعة «قواعد اللغة والمنطق والخطابة، والحساب والفلك والهندسة والفنون»، وكذلك على «السياسة والاقتصاد والفروسية والطب والقانون»، فضلاً عن «التعليم الديني». وقد شهدت أوربا في الفترة الأخيرة من هذه العصور، وتحديداً في القرن الثاني عشر إنشاء جامعة باريس، في فرنسا، ثم إنشاء جامعتي أكسفورد وكامبردج في بريطانيا. وإذا كان للعصور الوسطى من تميز معرفي في بناء الحضارة الإنسانية، فإن هذا التميز يعود بالدرجة الأولى إلى الحضارة العربية والإسلامية. فقد اهتمت المدارس الإسلامية، في إثر ظهور الدين الإسلامي الحنيف وانتشاره في القرن السابع للميلاد، «بالقراءة والكتابة والترجمة من العربية وإليها، وبالهندسة والرياضيات والعمارة والفلك والطب والجغرافيا، وبالحوار والنقاش

التعلم إلكترونياً دخل إطار التأهيل الجامعي، كما دخل إطار الدورات القصيرة وتحديث المعارف، لكنه لم يدخل بعد إطار التعليم العام؛ وربما يعود ذلك أساساً إلى مشكلة فقدان التفاعل المباشر بين المدرس والطالب، والحدّ من فاعلية العملية التعليمية



والتطوير الاجتماعي، إلى جانب تركيزها في العلوم الدينية». وانتشرت المدارس والجامعات من الهند حتى الأندلس، وظهرت مراكز للإشعاع العلمي في كل من دمشق وبغداد والقاهرة والإسكندرية وقرطبة، ومن أبرز الأسماء التي ظهرت: الخوارزمي في الرياضيات، في القرن التاسع، والرازي وابن سينا في الطب، في القرن العاشر، وكثيرون آخرون.

وبعد انتهاء العصور الوسطى، ودخول العصور الحديثة، انتقلت نظم التعليم الأوربية إلى أمريكا بشقيها الشمالي والجنوبي، فظهرت جامعة في المكسيك وأخرى في كولومبيا عام ١٥٥١م، ثم ظهرت جامعة هارفارد عام ١٦٦٣م، وجامعة يل عام ١٧٧١م، واهتمت أوربا في هذه الفترة بوضع مناهج للتعليم العام، وظهر في بريطانيا أول نظام متكامل للتعليم الابتدائي العام على يدي كل من: أندرو بيل وجوزيف لانكستر، وشهد القرن التاسع عشر ترسخ أنظمة التعليم العام في بريطانيا وفرنسا، وبروز مسألة التعليم الأولي (الحضانة) في ألمانيا، كما شهد هذا القرن ولادة معهد ماساشوستس التقني، أحد أهم الجامعات التقنية في أمريكا والعالم، وذلك عام ١٨٣٧م.

في القرن العشرين انتشر التعليم على نطاق واسع في شتى أنحاء العالم، واهتمت أمريكا بالمدارس المهنية وكليات المجتمع، بالإضافة إلى الجامعات؛ لتعزيز نهضتها الصناعية، ومع تقدم تقنيات الاتصالات وظهور تقنيات الحاسوب، بدأ التفكير في التعليم عن بُعد باستخدام هذه الوسائل الإلكترونية، وتم في بريطانيا، نتيجة لذلك، إنشاء «الجامعة المفتوحة» عام ١٩٦٩م، ومع تطور تقنيات الحاسوب والاتصالات، وظهور الإنترنت وتطور تقنياتها، يشهد القرن الحادي والعشرون، اهتماماً متزايداً بهذا التعليم، كما سنوضح فيما سيأتي من هذا المقال.

ولعلنا قبل الدخول في تفاصيل مسألة التعليم عن بُعد، نختتم رحلة التعليم عبر العصور ببعض الأقوال المأثورة القديمة والحديثة بشأن «المعرفة» و«التعليم» و«أسلوب التعليم»، ودور «الجامعات الحديثة»، ويُعطي الجدول (٢) هذه الأقوال التي تستحق التأمل من قبل كل من يسعى إلى المعرفة، في أي موقع كان...

ترتبط السلبيات بأربعة محاور، تشمل: عدم الاتصال "وجهاً لوجه" بين المدرس والطالب، والحاجة إلى "تقنيات مُكلفة ومعقدة"، و"عدم وجود معايير محددة" تُنظم شؤون التعلم إلكترونياً، إضافة إلى "عدم توافر الوعي الكافي" و"القناعة" المطلوبة لانتشاره

الإنجاز	المكان	الفترة	المرحلة
تعليم الكتابة والحساب، والفلك، والبناء، والحُكم في المدارس الدينية التابعة للدولة.	الشرق الأوسط مصر/ السومريين	الألفية الثالثة قبل الميلاد	الحضارات القديمة: قبل سقوط روما عام ٤٧٦ للميلاد.
مدارس في المنازل الخاصة تستند إلى المعتقدات القائمة في ذلك الحين.	الصين والهند	١٠٠٠ ، ٥٠٠ قبل الميلاد	
مدارس أفلاطون وسقراط وأرسطو: بداية ظهور الجامعات حيث يقوم العلماء مع طلابهم بإجراء البحوث.	بلاد الإغريق	٥٠٠ ، ٣٠٠ قبل الميلاد	
مدارس تهتم بالبحوث في المجالات المختلفة على غرار المدارس الإغريقية.	الدولة الرومانية: روما القديمة	٢٠٠ قبل الميلاد حتى سقوط روما	
بعد إعلان المسيحية كدين للدولة عام ٣١٣: مدارس مسيحية؛ و مدارس في المجالات الأخرى			
تعليم الفنون السبعة (مارتيانوس كابيلا): «قواعد اللغة والمنطق والخطابة، والحساب والفلك والهندسة والفنون».	الدولة الرومانية الشرقية	القرن الخامس للميلاد	القرون الوسطى: من سقوط روما عام ٤٧٦ حتى سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣
التعليم في الكنائس: الفنون السبعة والسياسة والاقتصاد، إلى جانب الدين.	مختلف أنحاء أوربا	القرون التالية	
التعليم العسكري والفروسية.			
تعليم الطب: القسطنطينية، سالرنو (إيطاليا)، مونبلييه وباريس (فرنسا).			
إنشاء مدارس خارج إطار الكنائس وتعليم القانون المدني.	إيطاليا وجنوب أوربا		
جامعة بولونيا الإيطالية: أنظمة تعليمية جديدة لجنوب أوربا.			
نشأت جامعة باريس من كنيسة نوتردام في القرن الثاني عشر، ونشأت على غرارها جامعتا أكسفورد وكامبردج.	فرنسا وشمال أوربا		
اهتمت المدارس الإسلامية بالقراءة والكتابة والترجمة من وإلى العربية، وبالهندسة والرياضيات والعمارة والفلك والطب والجغرافيا، وبالحوار والنقاش والتطوير الاجتماعي، إلى جانب تركيزها على العلوم الدينية.	الدولة الإسلامية: بعد القرن السابع الميلادي		
مدارس وجامعات إسلامية من الهند إلى الأندلس (أسبانيا): أنشئت جامعات ومراكز أبحاث في بغداد ودمشق والقاهرة والإسكندرية وقرطبة.			
برزت أسماء متميزة: الخوارزمي في الرياضيات (القرن التاسع)، والرازي وابن سينا في الطب (القرن العاشر)، وغيرهم كثير.			
[illegible]	أوربا	[illegible]	[illegible]
[illegible]			
[illegible]	[illegible]		
[illegible]		[illegible]	
[illegible]			
[illegible]			
[illegible]	[illegible]		
[illegible]		[illegible]	
[illegible]	[illegible]		
[illegible]		[illegible]	[illegible]
[illegible]			
[illegible]		[illegible]	
[illegible]		[illegible]	
[illegible]			
[illegible]		[illegible]	
[illegible]		[illegible]	[illegible]
[illegible]			
[illegible]		[illegible]	
[illegible]			
[illegible]		[illegible]	
التعلم عن بُعد، والتعلم إلكترونيا		القرن الحادي والعشرون	

الجدول (١) معالم تطور التعليم عبر العصور (٣)

الموضوع	القول
المعرفة	السلاح الوحيد المطلوب لمواجهة العالم من حولنا هو المعرفة المتعمقة لهذا العالم.
التعليم	يفعل التعليم في روح الإنسان ما يفعله فن النحت في قطع الرخام.
أسلوب التعليم	- يجب تعليم الطلبة عن طريق اللعب الممتع. - وفي مناخ حر. - وبما يُطلق المواهب الطبيعية لكل منهم.
الجامعات الحديثة	- كانت جامعات العصور الوسطى تنظر إلى الماضي، حيث كانت تسعى إلى أن تكون مخزناً للمعارف السابقة. - على الجامعات الحديثة أن تنظر إلى الأمام، وأن تكون مصنعاً للمعارف الجديدة.

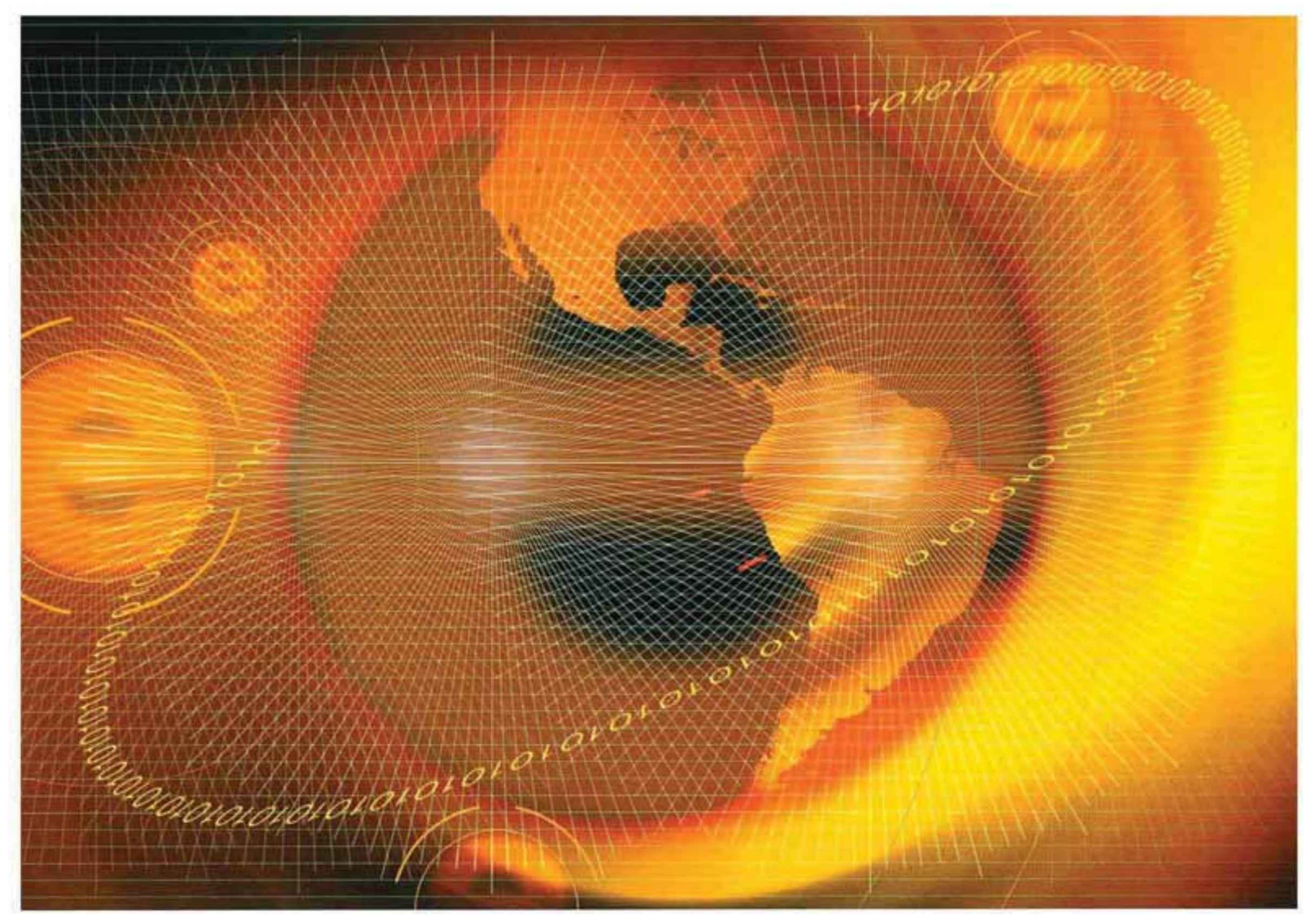
الجدول (٢) أقوال في التعليم (٤)

التعليم والتعلم إلكترونياً

في طرح مسألة التعليم والتعلم إلكترونياً، نبدأ بالنظر إلى بعض المصطلحات التي تشمل «أفعال» التعليم والتعلم، و«أماكن» التعليم والتعلم، تمهيداً للتعريف بالمضمون «الإلكتروني» الجديد لذلك. ويُعطي الجدول (٣) هذه المصطلحات باللغتين العربية والإنجليزية، إضافة إلى معانيها (٥). ويلاحظ في هذا الجدول، وفي إطار الأفعال، أن هناك أفعالاً تتطلب وجود طرفين حتماً، في وقت واحد، يقوم أحدهما بتقديم المعارف للآخر ومساعدته على تلقيها، مثل «يُخبر، ويُوجه، ويُدرِّس، ويُدرِّب، ويُعلِّم»، وأن هناك أفعالاً أُخرى يتلقى فيها طرف واحد المعارف من مصادر مختلفة، دون أن يكون هناك، بالضرورة، طرف آخر يُساعده على ذلك، مثل «يقرأ ويدرس ويتعلم». وهناك أيضاً فعل آخر يدمج ما بين «التعلم» و«الاستمتاع»، مستعيراً أجزاء من كل من الكلمتين باللغة الإنجليزية. وقد بات هذا المصطلح متداولاً على نطاق واسع، نتيجة للوسائل التعليمية الحديثة، لكنه في الحقيقة يعود في معناه إلى وصايا أفلاطون في موضوع أساليب التعليم، كما هو موضح بالجدول (٢).

بداية التعليم تعود إلى المراحل الأولى من حياة الإنسان على الأرض، لكن الدلائل التاريخية المتوافرة تعود بالتعليم إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد، وذلك في كل من بلاد السومريين في ذلك الوقت، وشمال جزيرة العرب، وفي مصر، وغيرها

في إطار أماكن التعليم المطروحة في الجدول (٣)، هناك أماكن مُحددة، مثل: «مدرسة، وكلية، وأكاديمية، ومعهد، وهيئة، وجامعة». وهناك أماكن غير محددة حينما يضاف إلى أي من الأماكن المحددة كلمة «افتراضي Virtual»: فهذه الكلمة تعني وجود الشيء بشكل غير مباشر، ومن ثم عدم وجوده بشكل مباشر: أي: أن المدرسة، أو الجامعة، أو أي: من الأماكن الأخرى، في حالة إضافة صفة «افتراضي»، موجودة كعمل وكأثر: أي: كنشاط تعليمي، ولكن ليس كمكان مادي، وإنما من خلال وسائل تقنيات المعلومات، بما في ذلك الاتصالات والحاسوب



التعلم عن بعد تعلم يستخدم الوسائل الإلكترونية

والإنترنت. ويطرح الجدول أيضاً مصطلح «جميع الأماكن»؛ للإشارة إلى أن أفعال «يقرأ ويدرس ويتعلم» يمكن أن تتم في أي مكان. وليس بالضرورة أن يكون هذا المكان مؤسسة تعليمية حقيقية أو حتى افتراضية.

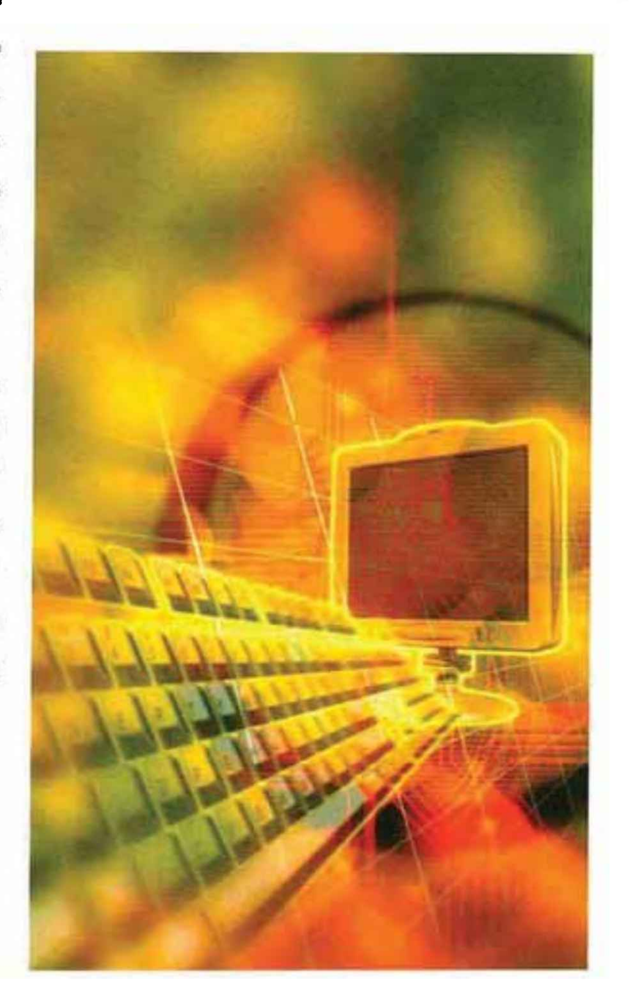
على أساس ما سبق يمكن القول: إن «التعلم عن بُعد» هو أقرب إلى أفعال «يقرأ ويدرس ويتعلم، ويتعلم باستمتاع»؛ أي: أقرب إلى الفعل الذاتي، بوجود أو عدم وجود طرف آخر يُقدم الخدمة بشكل مباشر. كما يمكن القول أيضاً: إن «التعلم إلكترونياً» يمكن أن يرتبط بهيئات افتراضية توجه هذا التعلم عن بُعد، عبر تقنيات المعلومات، وتُعطيه التوثيق والشهادات التي يطمح إليها الدارسون. وإذا كان «التعلم عن بُعد» ليس بالضرورة «إلكترونياً»، كما هو الحال في «القراءة في كتاب أو مطبوعة»، فإن المتداول في هذا العصر أن التعلم عن بُعد هو تعلم يستخدم الوسائل الإلكترونية.

ترتبط إيجابيات التعلّم إلكترونياً بأربعة محاور رئيسة تشمل: "انخفاض تكاليفه" بالمقارنة مع تكاليف التعليم التقليدي، وتقديمه "فوائد نوعية" خارجة عن إطار التعليم التقليدي، ثم توفيره "لفرص جديدة" لا يمكن للتعليم التقليدي تقديمها، إضافة إلى إرسائه "ثقافة التعلّم"

ولعلنا بعد ما سبق ننتقل إلى محاولة تقويم إيجابيات «التعلّم إلكترونياً» وسلبياته؛ سعياً وراء تحديد ما يُعزز الإيجابيات، وما يحدّ أو ما يزيل السلبيات، من أجل الاستفادة من هذا التعلّم على أفضل وجه ممكن.

بين الإيجابيات والسلبيات

ترتبط إيجابيات التعلّم إلكترونياً بأربعة محاور رئيسة تشمل: «انخفاض تكاليفه» بالمقارنة مع تكاليف التعليم التقليدي، وتقديمه «فوائد نوعية» خارجة عن إطار التعليم التقليدي، ثم توفيره «لفرص جديدة» لا يمكن للتعليم التقليدي تقديمها، إضافة إلى إرسائه «ثقافة التعلّم»، مما يُفعّل البيئة المعرفية في المجتمع، ويُساهم في بناء مجتمع المعرفة. ويوضح الجدول (٤) المضمون المرتبط بكل من هذه المحاور.



وكما أن هناك إيجابيات، للتعلم إلكترونياً، عن بُعد، هناك أيضاً سلبيات. وترتبط هذه السلبيات بأربعة محاور، لكن هذه المحاور تختلف عن محاور الإيجابيات، إذ تشمل: عدم الاتصال «وجهاً لوجه» بين المدرس والطالب، والحاجة إلى «تقنيات مُكلفة ومعقدة»، و«عدم وجود معايير محددة» تُنظم شؤون التعلم إلكترونياً، إضافة إلى «عدم توافر الوعي» الكافي و«القناعة» المطلوبة لانتشاره. ويبين الجدول (٤) مضمون كل من هذه المحاور.

ولا شك أن إيجابيات التعلّم إلكترونياً تُشجع على العمل على التغلب على سلبياته، خصوصاً أن مشكلة تقنياته المعقدة تأخذ طريقها إلى الحلّ مع الاقتراب من ظهور الجيل الثاني من الإنترنت، الذي سيُعطيها سرعة أعلى تناسب تطبيقات التعلّم إلكترونياً، وهذا ما سنتحدث عنه فيما سيأتي من هذا المقال بشكل أكثر تفصيلاً. ولعله يمكن القول إن التعلم إلكترونياً يفتح بوابة المستقبل واسعة على مصراعيها أمام الجميع، خصوصاً الطموحين، والمتطلعين إلى تأهيل معرفي متقدم، ومكانة أفضل، وحياة أكثر عطاءً، حتى إن لم تكن لديهم الإمكانات المادية الكافية لتغطية نفقات التعليم التقليدي، أو كانت لديهم التزامات اجتماعية أو مهنية، تمنعهم من التفرغ الدراسي.

ويُضاف إلى ما سبق أنه بالعمل على التغلب على سلبيات التعلّم إلكترونياً، سيزداد الطلب على هذا التعلّم، وسيفسح ذلك المجال أمام بروز ثقافة التعلم في المجتمع، وهي الثقافة التي تشمل فعلاً ذاتياً، إلى جانب ما تقدمه وسائل التعلم الإلكتروني من تعليم ممتع، وهي الثقافة التي تحد من الوقت الضائع لمصلحة الوقت الممتع والمفيد، وتساهم في بناء مجتمع المعرفة، والاستفادة من معطياته.

وننتقل إلى مسألة تقنيات التعلم إلكترونياً، لنلقي

	الموضوع		المفاهيم والأفكار
الفعل	يخبر	to inform	يُقدم الأخبار أو يُعطي المعلومات.
	يوجه	to instruct	يُلقي الأوامر أو يُصدر التوجيهات.
	يدرس	to teach	يُعطي دروساً في مدرسة أو كلية أو جامعة.
	يدرب	to train	يُدرّس المهارات المطلوبة لعمل معين.
	يعلم	to educate	يُدرّس أو يُدرّب، خصوصاً في مدرسة أو كلية أو جامعة.
	يقرأ	To read	النظر إلى الكلمات المكتوبة وفهم ما تعنيه.
	يدرس	to study	يَقضي وقتاً في القراءة، أو في تلقي الدروس، من أجل اكتساب المعرفة في مجال معين.
	يتعلم	to learn	يكتسب معرفة أو مهارة من خلال خبرة أو دراسة شخصية، أو عن طريق تلقي الدروس.
	يتعلم باستمتاع✪	edutainment	مصطلح يدمج بين «التعليم education» و «الترفيه entertainment»، ويُعبر عن التعليم المقترن بالاستمتاع.
المكان	مدرسة	school	المكان الذي يتلقى الأولاد فيه الدروس.
	كلية	college	مدرسة للتعليم المتقدم، خصوصاً في موضوع معين أو مهارة محددة.
	أكاديمية	academy	مؤسسة تتكون من أشخاص يهتمون بتطوير المعرفة بما في ذلك الآداب والفنون والعلوم، أو كلية حيث يتعلم الطلاب موضوعاً معيناً أو مهارة محددة.
	معهد	institute	مؤسسة موجهة نحو أهداف محددة تتضمن جوانب علمية وتعليمية.
	هيئة	institution	مؤسسة كبرى لها هدف أو وظيفة محددة.
	جامعة	university	هيئة تعليمية على أعلى مستوى تمنح درجات علمية عُليا.
	جامعة✪ افتراضية	virtual university	جامعة تعتمد على وسائل تقنيات المعلومات (الاتصالات والحاسوب والإنترنت) في أنشطتها التعليمية
	جميع✪ الأماكن	everywhere	كل الأماكن السابقة، بالإضافة إلى المنازل والمقاهي والحدائق والقطار والطائرة، وأي مكان آخر يمكن فيه استخدام الحاسوب أو الإنترنت، أو حتى القراءة.

الجدول (٣): المفاهيم اللغوية للتعليم، الفعل والمكان (٣، ٤).

(✪) مصطلحات وتعريفات مضافة غير موجودة في المراجع السابقة

الضـوء على تطورها وإمكاناتهـا، ولنبين مـشكلاتهـا ومتطلباتها، وما يجري بشأنها.

تقنيات التعلم إلكترونياً

إذا بدأنا بتقنيات التعلّم عن بُعد غير الإلكترونية، فسنجد أنفسنا أمام تقنية الطباعة التي ظهرت عام ١٤٥٠م، وسمحت بانتشار المعارف، من خلال طباعة نسخ كثيرة من الكتب، وتوزيعها على نطاق واسع (٢). وإذا انتقلنا إلى التقنيات الإلكترونية الأولى للتعلّم عن بُعد نجد أنفسنا أمام البث التلفازي، الذي استخدمته الجامعة المفتوحة في بريطانيا في بدايتها عام ١٩٦٩م (٧)، إضافة إلى الأشرطة الصوتية، ثم أشرطة الفيديو، ويعطي

الموضوع		الشرح
الإيجابيات	انخفاض التكاليف	تنخفض التكاليف على كل من مُقدمي الخدمات التعليمية والطلبة للأسباب التالية: - نقل كثير من النشاطات من المراكز التعليمية المعتادة إلى مواقع الإنترنت. - الحد من التنقل وتوفير الوقت وتخفيض الرسوم التعليمية.
		ينتج عن انخفاض التكاليف: - تمكين أصحاب الدخل المحدود من التعليم. - تشجيع المؤسسات على تقديم المزيد من دورات التعليم والتدريب المستمر لمنسوبيها.
	فوائد نوعية	يمكن من خلال الإنترنت الحصول على فوائد نوعية غير مسبوقة: - التواصل مع العالم بشكل آني والحصول على المعارف والأخبار المتجددة. - الاستفادة من أفضل المدرسين والخبراء. - النفاذ إلى أفضل الدورات التي توفرها المؤسسات التعليمية المختلفة.
	فرص جديدة	تتضمن الفرص الجديدة: - توفير التعليم لعدد كبير من الناس من مراكز بعيدة. - عدم الحاجة إلى التفرغ الدراسي. - عدم الحاجة إلى الالتزام بأوقات محددة.
	ثقافة التعلم	إرساء ثقافة التعلم، مما يُفعّل البيئة المعرفية في المجتمع، ويُساهم في بناء مجتمع المعرفة.
السلبيات	عدم الاتصال وجهاً لوجه	فقدان التفاعل المباشر، والحد من فاعلية العملية التعليمية.
	المتطلبات التقنية	تعيق المتطلبات التقنية المكلفة والمُعقدة تبني التعلم إلكترونياً.
	عدم وجود معايير	الحاجة إلى معايير، أو تقاليد مُتعارف عليها على غرار تقاليد التعليم المعتاد، تنظم التعليم إلكترونياً على أساس معطياته الخاصة.
	عدم توفر القناعة	نقص وعي المجتمع وتقبله للتأهيل إلكترونياً.
		عدم توفر الحماسة الكافية والقناعة المطلوبة لدى الطلبة.

الجدول (٤) ايجابيات التعليم إلكترونيا وسلبياته

الجدول (٥) سجلاً مختصراً لتطور تقنيات التعلّم إلكترونياً، التي سنتحدث عنها فيما يأتي.

في السبعينيات من القرن العشرين؛ أي: بعيد إنشاء الجامعة المفتوحة في بريطانيا، ظهرت أنظمة التعليم والتدريب المعتمدة على الحاسوب. وبظهور الحاسوب الشخصي في مطلع الثمانينيات تعززت هذه الأنظمة وانتشرت. وفي مطلع التسعينيات، تطورت أكثر لتستخدم الوسائط المتعددة في برامجها، بمعنى تعاملها مع الصوت والصورة والنصوص في وقت واحد (١٠).

ومع تزايد الاهتمام بشبكات المعلومات في الثمانينيات، والسعي نحو استخدامها، والاستفادة منها، ظهرت عام ١٩٨٨م «الغرفة الافتراضية للمحادثة» (١١).

وتسمح هذه الغرفة غير الحقيقية، لعدد من مستخدمي شبكات المعلومات بالتخاطب وتبادل الحديث مباشرة، مهما ابتعدت المسافات فيما بينهم. وفي الفترة ذاتها ظهرت شبكة الإنترنت للمعلومات تجمعها، جغرافيا وتقنيا، في إطار موحد، وتعزز إمكاناتها، وتوفر للمستخدمين وسيلة غير مسبوقة للتعاون والتواصل على نطاق واسع، بما في ذلك توفير تطبيقات جديدة، ذات كفاءة عالية، للتعلّم عن بُعد.

ولعل من أبرز تطورات الإنترنت المفيدة لتطبيقات كثيرة، بما في ذلك التعلّم عن بُعد، ظهور مواقع الانترنت «الويب» في مطلع التسعينيات. وكانت هذه المواقع في بدايتها بمنزلة مراكز لتقديم المعلومات، وإدارة المراسلات عبر الإنترنت، ثم تطورت لتصبح مراكز لتقديم خدمات تشمل إجراءات مختلفة بين مراكز متباعدة، إذ برزت تطبيقات ما يُعرف بخدمات «التجارة الإلكترونية»، وما يُعرف بخدمات «الحكومة الإلكترونية». وقد شجع التطور الذي شهدته مواقع «الويب» على زيادة الاهتمام بها، والعمل على إجراء البحوث لزيادة مستوى الذكاء في تطبيقاتها، بمعنى تطوير خدماتها، مهما كانت تعقيدات الإجراءات المطلوبة، كما يحدث في الوقت الحاضر في «معهد ماساشوستس التقني» (....)، ويُقدم الجدول (٥) بعض التفصيلات حول هذا الموضوع.

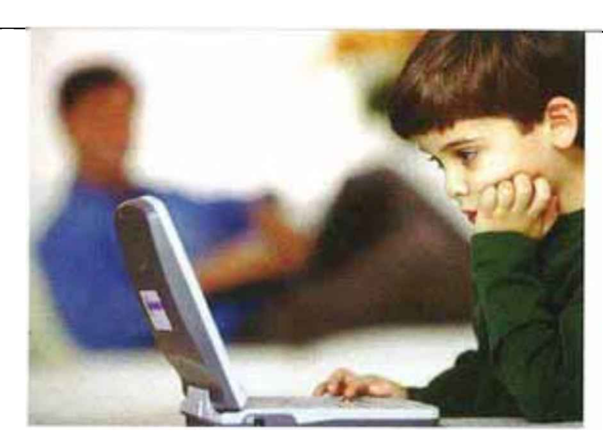
وبوجود الإنترنت ومواقع «الويب» وإمكاناتها، اتجه تطوير وسائل التعلّم إلكترونيا نحو جعلها قادرة على التفاعل مع هذه المواقع، لتعميم استخدامها والاستفادة منها، على مدى امتداد الإنترنت (...). وبذلك ظهرت أنظمة التعليم الحاسوبية المستندة إلى مواقع الإنترنت، بدل استناد مثيلاتها السابقة إلى الحاسوب، وبالطبع شملت هذه الأنظمة التعامل مع الوسائط المتعددة، لكن التعامل مع هذه الوسائط عبر الإنترنت، يحتاج إلى بنية اتصالات

التعلّم إلكترونياً يحتاج إلى استثمارات مالية، لكن هذه الاستثمارات لن تكون باهظة؛ لأن تقنيات هذا التعلّم تستند إلى البنية الأساسية للاتصالات والإنترنت، وهي بنية لا بد منها، ولا بد من مواكبتها للتطورات العالمية





أنظمة التعليم الحاسوبية أسهمت في تطوير التعلّم إلكترونيا



دورات تدريبية عبر تقنيات التعليم لتحديث المعارف والمهارات

متطورة، ذات سعة عالية، وهي البنية التي ستسمح بتقديم خدمات الجيل الثاني من الإنترنت، الأعلى ذكاء، والأكثر فائدة.

وتجدر الإشارة إلى أن الاتحاد الدولي للاتصالات أصدر، عام ١٩٩٣م، توصيات بشأن خدمات الوسائط المتعددة؛ بهدف تحقيق التواؤم بين هذه الخدمات، وجعلها متاحة، وبأداء مرض، على نطاق واسع. وقد شملت هذه التوصيات: خدمات «تبادل الرسائل»، وخدمات «استرجاع المعلومات»، وخدمات «التخاطب»، وخدمات «توزيع المعلومات»، وكلها خدمات يمكن استخدامها، والاستفادة منها في تطبيقات التعلّم الكترونياً.

بعد ما تقدم حول التعلّم الكترونياً وتقنياته، لابد من إلقاء الضوء على واقع هذا التعلّم، وطرح بعض التعليقات حول آفاقه المستقبلية.

بوجود الإنترنت ومواقع "الويب" وإمكاناتها، اتجه تطوير وسائل التعلّم إلكترونياً نحو جعلها قادرة على التفاعل مع هذه المواقع وبذلك ظهرت أنظمة التعليم الحاسوبية المستندة إلى مواقع الإنترنت

واقع التعلّم إلكترونياً وآفاق المستقبل

يُقدم الجدول (٦) أمثلة حول واقع التعلّم الكترونياً. وتشمل هذه الأمثلة: مؤسسات تقدم أنظمة تقنية للتعلّم الكترونياً، وجامعات عالمية تُقدّم برامج للتعلّم إلكترونياً، إضافة إلى جامعات عربية تُقدّم مثل هذه البرامج، بالتعاون مع جامعات عالمية. وهناك بالإضافة إلى ذلك مؤسسات مهنية تُقدم برامج للتعلّم إلكترونيا، تتضمن دورات تدريبية قصيرة، لتحديث معارف أصحاب المهن المختلفة، إذ تبرز الحاجة إلى ذلك مع الإيقاع السريع لتطور المعارف وتجددها.

ويُلاحظ مما سبق ان التعلم الكترونياً دخل إطار التأهيل الجامعي، كما دخل إطار الدورات القصيرة وتحديث المعارف، لكنه لم يدخل بعد إطار التعليم العام؛ وربما يعود ذلك أساساً إلى مشكلة فقدان التفاعل المباشر بين المدرس والطالب، والحدّ من فاعلية العملية التعليمية، تلك الفاعلية التي يحتاج إليها الطلبة بشكل خاص في المراحل التعليمية الأولى. وهناك في هذا المجال مسألتان مهمتان ينبغي أخذهما في الحسبان: تتعلق المسألة الأولى بمقررات المعلومات الحفظية، كالتاريخ، والجغرافيا، ومواد الحقائق العلمية، وهذه يمكن أن تُقدّم إلكترونيا بشكل جذاب، يُساعد الطالب على حفظها، دون أن تحتاج إلى جرعة عالية من التفاعل المباشر بين المُدرس والطالب. أما المسألة الثانية فترتبط بمقررات المعارف الذهنية، التي تتطلب محاكمات عقلية، كالرياضيات، وقواعد اللغة، ومواد الحوار، والتحليل العلمي. ويستطيع التعليم الكترونياً، في هذا المجال، أن يدعم التفاعل بين المدرس والطالب في هذه المقررات، ويُعزز فهمها واستيعابها، من خلال تقديم وسائل إيضاحية مفيدة من جهة، ومن خلال تبادل الخبرات والفوائد بين المدارس، على

التقنية	توضيحات	الفترة الزمنية
الطباعة (٣).	- ظهرت أول مطبعة في ألمانيا على يد «جتنبرج». واستخدمت الكتب والمواد المطبوعة الأخرى، كوسائل لانتشار التعلم (غير الإلكتروني) عن بُعد - الطباعة باتت جزءاً من الأنظمة «الإلكترونية» الحديثة للتعلم عن بُعد.	١٤٥٠ وما بعد
البث التلفازي الأشرطة الصوتية أشرطة «الفيديو»	- الجامعة المفتوحة البريطانية من أهم رواد التعليم عن بُعد «إلكترونياً»؛ بدأت عام ١٩٦٩ (٧). - تتطور باستمرار وسائط تخزين المعلومات وقد باتت جزءاً من الأنظمة الحاسوبية.	الستينيات وما بعد
أنظمة التعليم والتدريب الحاسوبية: CAI/CAT (٤، ٨)	- بدأت في السبعينيات - تعززت بظهور الحاسوب الشخصي في الثمانينيات - أضيفت إليها إمكانيات الوسائط المتعددة في التسعينيات - ظهرت برامج حاسوبية لتسهيل إعدادها وتطويرها في التسعينيات	السبعينيات وما بعد
الغرفة الافتراضية للمحادثة (٩). Virtual Chat Room	برمجيات تسمح بالحوار المباشر بين مستخدمين أو أكثر من مستخدمي شبكة حاسوبية (الإنترنت). وقد ظهرت قبل مواقع الإنترنت (الويب)، لكنها باتت تُقدم خدماتها من خلاله.	ظهرت عام ١٩٨٨
الإنترنت	شبكة شبكات المعلومات (الرئيسية) على مستوى العالم	ظهرت أواخر الثمانينيات
أنظمة خدمات الوسائط المتعددة المعيارية (الاتحاد الدولي للاتصالات:ITU)(١٠)	- خدمات تبادل الرسائل. - خدمات استرجاع المعلومات. - خدمات التخاطب. - خدمات توزيع المعلومات.	صدرت عام ١٩٩٣
أنظمة مواقع الإنترنت (الويب) وتطبيقاتها (١١).	- ظهرت في مطلع التسعينيات على يدي «تيم برنرز لي» الذي كان يعمل في مجال تطوير قواعد المعلومات في مركز بحوث، في جنيف، يتبع الاتحاد الأوربي. - بدأت كمواقع لتقديم المعلومات وإدارة البريد الإلكتروني. - تطورت لتصبح مراكز لتقديم خدمات تشمل تنفيذ إجراءات مختلفة: خدمات التجارة الإلكترونية، وخدمات الحكومة الإلكترونية، وخدمات التعلم عن بُعد، وغيرها. - يجري تطوير مواقع (ويب) ذكية في «معهد ماساشوستس التقني»، أفضل الجامعات التقنية، بإشراف «تيم برنرز لي».	ظهرت في مطلع التسعينيات وتستمر في تقدم مطرد.
أنظمة تعليم حاسوبية تعمل من خلال مواقع الإنترنت (الويب) (٤).	- وسائل حاسوبية لتطوير أنظمة حاسوبية للتعليم والتدريب تعمل من خلال مواقع الإنترنت. - تطوير أنظمة، حسب الطلب، في شتى المجالات. - استخدام الأنظمة في التعليم العالي، وفي الدورات القصيرة والتدريب.	توجهات الوقت الراهن

الجدول (١) تقنيات التعلّم الكترونياً

المستويين المحلي والدولي، بسرعة وفاعلية.

على أساس ما سبق يمكن القول: إن التعلّم الكترونياً ليس مهماً فقط للتعليم الجامعي، والدورات القصيرة، بل هو مفيد أيضاً للتعليم العام، سواء في المقررات الحفظية، أو في المقررات الذهنية، فضلاً عن أهميته التي ذكرناها سابقاً في بناء ثقافة التعلّم، وفتح آفاق جديدة للطموح المعرفي.

ولا شك أن التعلّم الكترونياً يحتاج الى استثمارات مالية، لكن هذه الاستثمارات لن تكون باهظة؛ لأن تقنيات هذا التعلّم تستند إلى البنية الأساسية للاتصالات والإنترنت، وهي بنية لا بد منها، ولا بد من مواكبتها للتطورات العالمية؛ لأنها أساس كثير من

المؤسسات والهيئات		الموقع
مؤسسات تقدم أنظمة تقنية (حاسوبية) للتعلم إلكترونياً (٤)		www.digitalthink.com
		www.thinq.com
		www.vcampus.com
		www.smartforce.com
جامعات عالمية تُقدم برامج للتعلم إلكترونياً	دليل الهيئات التعليمية للتعلم إلكترونياً	www.peterson.com/dl
	جامعة ولاية كولورادو (الأمريكية)	www.biz.colostate.edu
	جامعة درهام (البريطانية)	www.durham.ac.uk
جامعات عربية تُقدم برامج للتعلم إلكترونياً	الجامعة العربية المفتوحة (أقيمت بالتعاون مع الجامعة المفتوحة في بريطانيا)	www.arabou.org
	الجامعة الافتراضية السورية (تُقدم برامجها بالتعاون مع عدد من الهيئات التعليمية الدولية)	www.svuonline.com

الجدول (٦) أمثلة حول الوضع الراهن للتعلّم الكترونيا

التطبيقات المهمة الأخرى. ويُضاف إلى ذلك أن فوائد التعلّم إلكترونياً كثيرة وواسعة المدى. بعضها مباشر. وبعضها غير مباشر. وهي. بلا شك. تفوق الاستثمارات المحتملة. وعلينا أن نهتم بهذا التعليم. ونضع له الخطط والمعايير. ونسعى إلى تنفيذه. والاستفادة منه. فهو أحد أعمدة بناء مجتمع المعرفة. الذي يُعدّ وسيلة التنمية الاقتصادية. والتطور الاجتماعي في هذا العصر.

المراجع

١. سعد علي الحاج بكري. هل نمتلك خطة لإيجاد مجتمع المعرفة. مجلة المعرفة (وزارة التربية والتعليم. المملكة العربية السعودية). العدد ١١٠. جمادى الأولى ١٤٢٥ / يوليو ٢٠٠٤. الصفحات ٩٨-١٠١.

٢. سعد علي الحاج بكري. دعم الابتكار وتوطينه لبناء مجتمع المعرفة. مجلة الفيصل العلمية (دار الفيصل الثقافية. الرياض. المملكة العربية السعودية). المجلد٢. العدد ٣. رمضان ١٤٢٥هـ/ أغسطس - أكتوبر ٢٠٠٤م.

3- Academic American Encyclopedia, Arete Publishing Company, USA, 1981.

4- Deitel HM, Deitel PJ, Steinbuhler K. e-Business and e-Commerce for Managers, Prentice-Hall, New Jersey, 2001

5- Dictionary Of Contemporary English, Pearson Education, Edinburgh, UK, 1995

٦. منير البعلبكي. المورد. قاموس إنكليزي عربي. دار العلم للملايين. بيروت. ١٩٨١م.

7- Britain's Open University, Reference Services, Central Office of Information, March 1984

8- Sharda NK. Multimedia Information Networking, Prentice-Hall, New Jersey, 1999

9- Greenlaw R, Hepp E. Fundamentals of the Internet and the World Wide Web. 2n Edition 2001. McGraw-Hill, Boston, 2002

10- Handel R, Huber MN, Schroder S. ATM Networks: Concepts, Protocols, Applications. 3rd Edition, Addison Wesley, Harlow, England, 1998

11- Business Week, March 4, 2002





لا ظل لقامة للشمس!

سعود بن سليمان اليوسف

الرياض ـ السعودية

إلى آخر خلفاء الأندلس ..

لا تلتفت

لا تتْلُ يا ... صمتَ الذهولْ

لا تبكِها مثلَ النسا مُلكًا مُضاعًا

لم تُحا ...

هل يُعوِّلُ السيفُ الصقيلُ على القتيل؟!

لا تحكِ عن لغةِ الهطولْ!

قد ترجمتْها الأرضُ

فارتدتْ ...

مواسمَ من مُحُولْ

والفجرُ !

قد برزتْ شموس ضُحاكمُ متوهِّجات

بالأفول !

لا تدّعوا الإيناع حين تُجاهرون

بفرسِ أغصانِ الذبولْ

❖❖❖

العابرون

وهذه أصواتُ آثار الخُطا الخرساءُ

قد خطّت على جسدِ البطولات . التي مضغَ الرواةُ .

وسومَ عارْ

القوم متكئون في الهيجا على صوت التراث

وما تبقّى من صدى تلك البطولات التي اجتُرّتْ

سوى أشلاءِ قاماتِ الصليلْ !

يتنفّسون صدى التراث الأبترِ الموؤود !

فالأمجادُ أصواتٌ محنّطةٌ

تهاوتْ في توابيت الشفاه

تظلُّ ينخرُ طهرَها عُهْرُ المقُولْ:

ها نحن صورة طارقٍ

(..........) !!

ويظلُّ يذبح طارقًا في قبره

عظْمُ اختلافِ فحولةِ الأفعال منه

وأنثويّة ما نقولْ

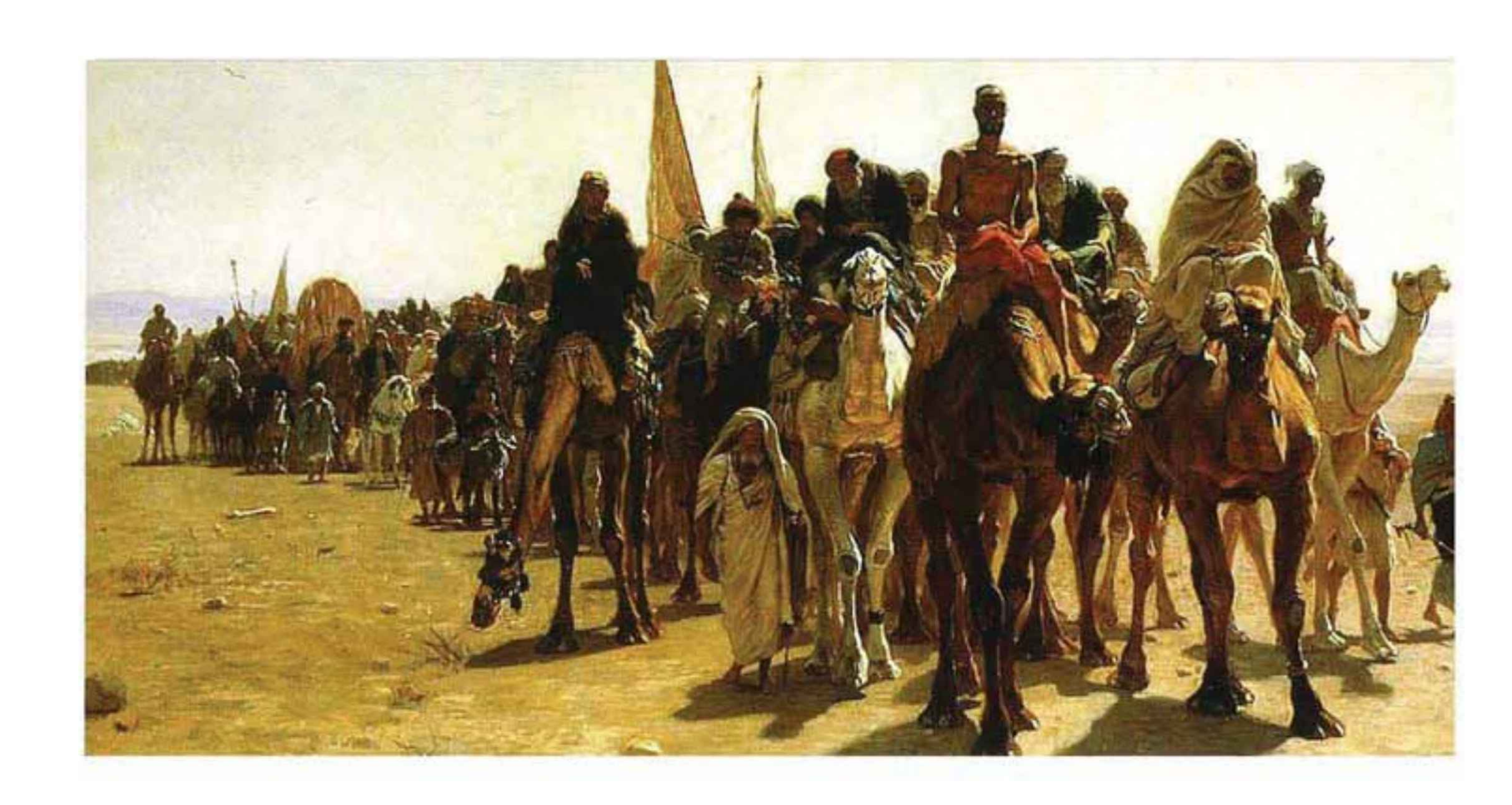
أمجادهم محضُ الرؤى واستعطفوا التأويل ...

حتى أوّلوا الرؤيا بأندلسٍ: فهبُّوا للخمولْ

لا تدّعوا (ما تدّعونْ)

أخجلتمُ الصهَواتِ

أحرجتم إباءً للتراث



حَنَيتمُ قامات أصداء الصهيلْ

◆◆◆

لا تلتفتْ

فوراءك التاريخ موتورًا

وما بردَتْ له إلاّ عظام المستحيل

وأمامك المستقبلُ/ النسْلُ اليتيم

تضج في دمه ابتهالات القتيل

لا تلتفتْ يا ...

إن أثقل خطوةٍ

مرّتْ على تاريخ هذا المجد

خطوتُك التي مرتْ خفيفًا مثلَ لمحِ البرق

لم تتركْ أثرْ

◆◆◆

ارهقتَ أرحامَ القبور

فكم تُلقحُهنّ من أشلاء شعبكَ . ظالمًا . نُطَفَ السيوفْ

فالأرض حُبلى بالجثثْ !

ولقد رأى التاريخ

أن حقيقة الميلاد ما حملَتْ به رحِمُ

الكفَنْ

◆◆◆

وتعرّتِ الأصواتُ

فافتُضحَت حناجرُ مَن حروفهمُ وسَنْ

فاصرُخ بصَمتِك

للتراث

وللحضارة

للذي يأتي

فقد يعفو الزمنْ:

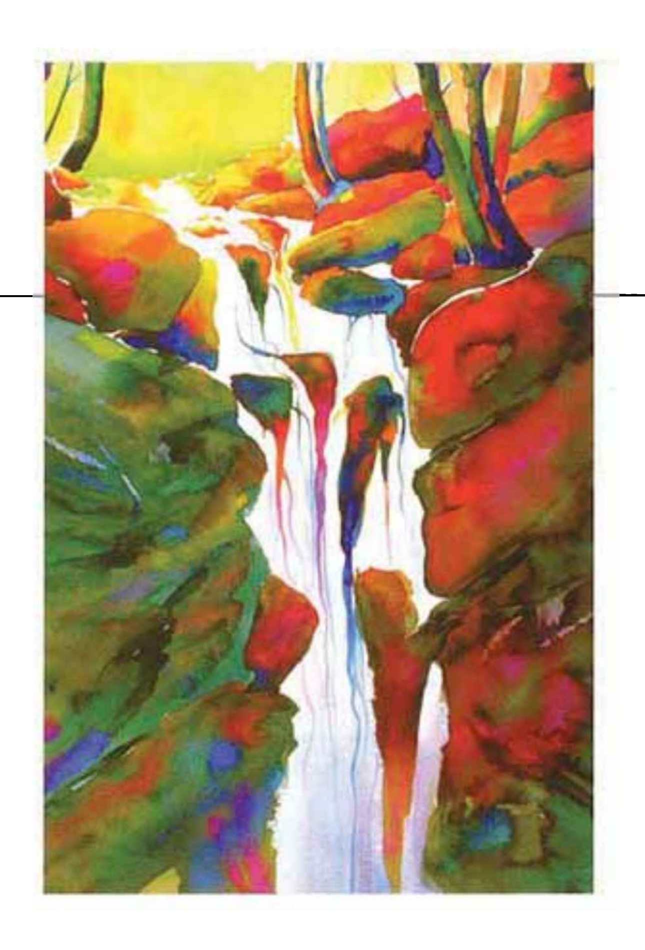
(أوسعتُهم سبّاً وساروا بالوطنْ) !




عبدالسلام كامل عبدالسلام

أم درمان — السودان

الا ابديت من غرف الجنان
وأظهرت البدائع للعيان؟
وازلفت السلاف لنا دنانا
مزاجًا قد شربن بلا دنان؟
وأطلقت الحمائم ساجعات
يرتّلن القصائد بافتتان؟
إذن تأتيك من عدن عطور
تشفّ عن المشاعر والمعاني
ومن رضوان تأتلف التحايا
على الجبل المتوّج بالجمان
ايا جبلاً زها حسنًا فأضحى
شبيهًا بالخريف من الزمان
محلّى باخضرار ذي ازدهار
كما الحسناء زينت بالحسان
(قلول) وأنت في الوجدان رمز
لحسن ما له في الكون ثان!
فمن ماء نقيّ ذي صفاء
صبيح.. كم يبين بلا بيان
وشلال إذا انهمر انهمارًا
يصبّ على مشاعرنا المعاني
ومن سرو يقبّل كلّ غيم
فلا رهقًا ولا عنتًا يعاني
ومن واد عميق الغور قاص
ومن ظلّ لطيف الروح دانِ
وأزهار زهت كالفجر يشدو
وأبدت روعة السحر المُبان
فهذا أصفرُ الأصباغ زاه
وهذا أحمرُ الألوان قانِ
وأفواف البنفسج شاخصات
تعاين ذي السماء بلا عِيان
تسبّح باسم ربّ الكون طرًا
وتنشدُ ما تقولُ بلا لسان
أيا ربّاه.. هبني بعض عُمر
بهاتيك الفراديس الحسان
أجدّدُ طيب ايام تولّت
طُيُوفًا ماضيات في ثوانِ
لأنهل من صفاء الروح نهلاً
يُعيدُ إلى منابعها أماني
فمن خضراء ملقية سُدُوفًا
على السُّحُب المحمّلة الهتان
فلا عطلاً ترى في الأرض يبدو
ولا سأمًا ولا عنتًا نعاني
وأفواف الأزاهر مهرجان
يُغنينا أفانين الأغاني



وكم شـجـر بدا من جـوف صـخـر
ينبّئ عن مـصـارعـة الزمـان
أيا زمنًا أصـاخ إلى حـديث
روته نوابسُ الطيـر المجـان
أعـرني بضع لحظات قـصـار
فكلّ العـمـر إلا ذاك فـان
ولكن كـيف لي أبقى وعـهـدي
كـمـا الشـعـراء.. مـخـتلف المكان؟
وهذا أحـمـد الكوفيّ قـبـلي
يعلّمني مـفـارقـة الجنان

❖ جبل مرة يقع في دارفور بغرب السودان.. يشتهر بالخضرة والجمال.. كأنه قطعة من الجنة.. زرتها مع رفقة طيبة من أبناء الجامعات المصرية السودانيين فأوحت إليّ بهذه القصيدة. وفيها شبه من قصيدة المتنبي «شعب بوان»..
ولهذا جاء تضمين بيت المتنبي في آخر القصيدة مع بعض التعديل. فإلى رفاقي في تلك الرحلة أهدي هذه القصيدة.



خرافة معشوقة

فادي محمد الخلف
الرياض ـ السعودية

تأتين أنتِ من الخرافةِ ...
هناكَ من جُزرِ النخيلِ
مفتوحةَ الكفّينِ .. مُغمَضَةَ الأناملِ
أرتديك.
وتسافرينَ مع الخرافة
وتمارسين معيَ الغيابَ
وعَبرتي: كُلّي.
: ماذا سيُجديني العراقُ المغمِضُ العينين
خوفًا من سرابٍ،
ماءُ الفراتِ بمقلتيكِ
قلقُ الفراتِ أتى إليكِ
: وطنٌ يوزّعُني على الأوطانِ
... منفيَّ المسافةِ.
من أينَ أبدأُ صمتيَ المثقوبَ
كي تبدوَ القصيدةُ
سمراءُ تحلمُ
بالفُراتِ
وبالخرافةِ.




مخالب الدم



عبدالرزاق سعود المانع

الرياض ـ السعودية

حين وقف أمام المرآة المثبتة في الحائط بدون إطار لكي يرتّب بقية شعرات في مقدمة رأسه، صدمه منظر البقعة الحمراء في صفحة وجهه اليمنى. قال متذمرًا: لقد غسلت وجهي توًا بالصابون مرتين! وانتابه خوف مفاجئ. ما معنى هذا؟ ورمى المشط على الرف الخشبي أسفل المرآة. خرج على عجل. ملابسه الفضفاضة تتهدّل على جسمه الضئيل وقامته القصيرة، كعارضة خشبية.

دويُّ القطار يملأ صدره ورأسه كطبل هائل، ويرج جسمه رجًا. الصبي بائع الصحف يقف عند إشارة المرور: (مقتل زكي الجمباز ..!) يلوّح بالصحيفة أمام السيارات المارة (حادثة القطار المشؤوم ..) ويردد في نفسه: المشؤوم. حقًا !! دوي القطار مع قرقعة عجلاته العالية وصفيره الذي يصمّ الآذان. زكي الجمباز يظهر فجأة من بعيد ويركض ليلحق به لماذا سموه الجمباز؟! أحد الموظفين قال: (ألا ترى جسمه القوي وعضلاته المتناسقة!) عضلاته المتناسقة تلك هي مصدر عذابه ومعاناته. لماذا يظهر هذا الجمباز دائمًا كلما ظن أنه ابتعد عنه!

دلفت من باب المؤسسة التي يعمل فيها. كفان صلبتان كبيرتان تطبقان على خاصرتيه من الخلف وترفعانه عاليًا في الهواء. من خلف رأسه. زكي الجمباز يطلق ضحكة مجلجلة. ومن أمامه، وأسفل منه، ضج زملاؤه بالضحك وانفجرت من الأفواه الفاغرة والوجوه المحتقنة أصوات وصرخات. بعضهم ألقى برأسه على المكتب، وآخرون يقفون تتأرجح أجسامهم يشيرون بأيديهم إلى عبدالواحد الجبل دون أن يقووا على



الكلام. وهو معلق يحرك يديه وساقيه في الهواء كلعبة خشبية في يد طفل. يبذل جهده لكي يصل برجليه إلى الأرض دون جدوى. يصرخ في حنق وألم .. أحدهم يمدّ يده ناحيتهما، ويصيح بصوت متقطع: (اتركه .. اتركه يا زكي .. يكفي، سوف .. تنفصل قدماه !). عبدالواحد يعوي كجرو شدّ من ذيله: اتركني يا متوحش !. ارتطمت ركبتاه بالأرض. (عبدالواحد جبل ..) وأردف الجمباز بعد عبارة سوقية بذيئة (... الذي سماك جبل !!).

لماذا يركض زكي الجمباز باتجاه القطار؟! هل سيسبب له متاعب هنا؟! لم يكره في حياته شيئًا مثل كرهه اسمه. الجبل. وزكي الجمباز هذا ! ومع ذلك فلم تكن عضلات الجمباز المتناسقة مصدر أذى له دائمًا. مديره المباشر قال له: كم عدد الأنابيب البلاستيكية يا عبدالواحد؟. عبدالواحد يصعد بخفة، يطل من فوق. يبلغ الجمباز بالعدد. عبدالواحد يتعثر، يطير في الهواء، يهوي إلى الأسفل .. ولكنه لم يصل إلى الأرض، احتوته ذراعا الجمباز. وارتطم بشيء كوسادة من الإسفنج المضغوط. الجمباز دخل به إلى الغرفة ورماه على أحد المكاتب. وفي سخرية مرّة قهقه كمن يتقيأ : الجبل صار ريشة وطار في الهواء!. عوى يلعن بصوت الجرو المطارد. مديره يؤنبه: هذا بدل أن تشكره على أن أنقذ حياتك! أجل أنقذ رقبتي، وأصر بعناد على إذلالي. لطالما تمنى أن ينقلوه بعيدًا عن هذه المؤسسة، أو أن ينقلوا الجمباز وحين يأتي الفرج وينقلوه إلى دائرة أخرى ومدينة أخرى، يظهر له هذا الشيطان ليلحق بقطاره. وغمغم في تشفّ حاقد: ليته يموت!!

دويّ القطار وضجيج عجلاته يرجّان المكان رجًا. وهو يقف قرب باب القطار المفتوح. الجمباز يتجه إلى الباب الذي يقف قربه. زكي الجمباز يقفز في الهواء ويرمي بنفسه إلى الباب المفتوح. يده اليمنى تقبض على المقبض الحديدي للعربة والأخرى تلوّح مودّعة لأحدهم. القطار تزداد سرعته، الأشياء تمرّ بسرعة معاكسة للقطار.

الجمباز لا يزال متعلقًا بالمقبض. وجهه عكس اتجاه سير القطار. أعمدة المحطة الحديدية لا تبعد سوى أقل من نصف متر عن القطار. يقترب القطار من أحد الأعمدة. سرعته تزداد .. مرّ كل شيء بسرعة مخيفة. لم يتمكن من تنبيهه أو لفت نظره أو أنه لم يرد ذلك في دخيلة ذاته. وقف جامدًا كأنه خارج الأحداث. ينظر بعينين لا تقويان على متابعة ما تريان وتبلّد ذهنه. حينئذ، صوت ارتطام حاد كحجارة ترمى بقوة فوق كومة من الصفيح. يسقط الجمباز فوق رصيف المحطة وينتهي .. دمه انقذف فوق زجاج باب القطار. شيء دافئ أحسه يسيل على صفحة وجهه اليمنى وعلى قميصه ..

الصبي بائع الصحف يردد (حادثة القطار المشؤومة ..) تناول منه إحدى الصحف. نشرها أمام عينيه. صورة الجمباز ملقى على الرصيف. وجهه ورأسه مهشمان .. هل كنت تريده أن يموت. هكذا !! لماذا لم تنبهه للخطر؟!. أنت .. !! وانتابه قلق مرعب .. هل أنا ..؟! لا .. لا. ومدّ يده المرتجفة في جيب سترته بعصبية وذعر. أخرج منديله مهلهل الأطراف. فرك صفحة خده اليمنى بقوة. الاحمرار يزداد .. !. كم أكرهك أيها الجمباز. أنت مؤذٍ لي في حياتك وبعد موتك! لماذا يلتصق بعض منك في جسمي؟! لماذا دمك لا يزال يتعلق في وجهي. ينشب مخالبه في خدي .. ؟. لست أتحمل أية مسؤولية ... ودلك صفحة وجهه بيد مرتجفة ... هذه البقعة الملعونة ..!!

بوق السيارة يصرخ بعصبية، وعجلاتها تسحق فوق أرضية الطريق الملساء محدثة صريرًا حادًا كصراخ امرأة ملتاعة .. الرجل صاحب السيارة يصيح في وجهه بعصبية. يقف جامدًا وسط الطريق. السيارات تمر عن جانبيه. عجلاتها تدور بسرعة هائلة محدثة خربشة على الطريق يزيد من هوان موقفه أمام نفسه .. أصحاب السيارات يلوحون بوجهه في سخرية. عباراتهم النابية. تبصق في أذنيه .. قال متضايقًا : كلهم زكي الجمباز .. فما العمل !!



ليون تولستوي

ترجمة: هاشم حمادي

دمشق ـ سورية

كانت جانّا، زوجة صياد السمك، تجلس قرب النار في الكوخ، وهي منكبة على ترقيع الشراع العتيق. وفي الخارج كان الظلام دامسًا، والطقس باردًا، والريح تعوي وتزمجر، والبحر يرغي ويزبد.

كان الزوج قد خرج منذ الصباح الباكر في قاربه إلى عرض البحر، ولم يعد حتى الآن.

راحت جانا تصغي بخوف وفزع إلى الأمواج، وهي تصطخب، وإلى الرياح، وهي تزمجر.

دقت الساعة الخشبية العاشرة، ثم الحادية عشرة، دون أن يؤوب الزوج. وغرقت جانا في أفكارها. فالزوج لا يشفق على نفسه، يذهب إلى صيد السمك في البرد والعاصفة، وهي لا تكف عن العمل من الصباح حتى المساء، ومع ذلك فالأكل لا يكفي، ولا أحذية لدى الأطفال، فهم يجرون حفاة صيفًا وشتاءً. بيد أن جانّا لا تشكو، ولا تتذمر، وتقول فيما بينها وبين نفسها:

«الحمد لله أن الأطفال بصحة وعافية». ثم لا تلبث أن تتذكر زوجها، فتتساءل: «ترى أين هو الآن؟ احفظه يا ربي».

لا يزال الوقت مبكرًا على النوم، فتنهض جانّا، وتلقي على رأسها منديلاً دافئًا، وتشعل المصباح، ثم تغادر الكوخ إلى الخارج، لترى ما إذا كان البحر قد هدأ ومصباح المنارة مضاء، وما إذا كان قارب زوجها قد ظهر. لكنها لم تر شيئًا في البحر.

وهنا تذكرت جانّا عزمها منذ المساء على زيارة جارتهم المريضة، فقالت في نفسها: «إن جارتنا أرملة، ولديها طفلان، ولا تكاد تقوم بأودهما، وها هي ذي تصاب بالمرض، لسوف أذهب إليها».

اقتربت جانّا من منزل الجارة، وقرعت الباب، لكنها لم تسمع جوابًا.

دفعت الباب، الذي انفتح على مصراعيه، ودخلت، كان البيت الصغير رطبًا باردًا. رفعت جانّا المصباح، بحثًا عن المريضة، فرأتها ترقد في السرير، مقابل الباب مباشرة. إنها ترقد على ظهرها بهدوء وسكينة كما يرقد الموتى. قربت جانّا المصباح أكثر، فرأت أن رأس الجارة ملقى إلى الخلف، وأن يدها الشاحبة الميتة تتدلى من على السرير.

وهناك، غير بعيد عن الأم الميتة، ينام طفلان صغيران، وقد بدا شعراهما المجعدان ووجهاهما المكتنزان. من الواضح أن الأم لحقت، وهي تحتضر، أن تلف أقدامهما بمنديل عتيق، وتغطيهما بفستانها. إن تنفسهما منتظم وهادئ، وهما مستغرقان في نوم عذب وعميق.

أخذت جانّا الطفلين، ولفتهما بمنديلها، ثم حملتهما إلى البيت، وفي البيت وضعت الصغيرين، الغافيين على السرير إلى جانب أبنائها، ثم سحبت الحجاب.

كانت جانّا شاحبة مضطربة، وراحت تتساءل: «ماذا سيقول زوجي؟ فلدينا خمسة أطفال، كم يكلفوننا من



عناية فلماذا جلبتهما!؟.

انصـرفت جـانًا إلى أفكارها. ولفـتـرة طويلة ظلت تجلس عند السرير بصمت.

توقف المطر. وبدأت طلائع الفـجـر. لكن الرياح مـا زالت تصفر. والبحر ما زال يزمجر. وفجأة انفتح الباب على مصـراعيه. فاندفعت إلى الداخل هبّة من الهـواء المنعش. ودخل الصياد الطويل. الأسمر. الغرفة وقال:

- هذا أنا يا جانًا.

- آه. هذا أنت؟! قالت جانًا. وتوقفت. لا تتجاسر على أن ترفع عينيها نحوه.

وتابع الزوج:

- كـان الطقس فظيـعًـا. فلم أصطد إلا القليل. لكن الشبـاك تمزقت. ولحسن الحظ إنني بقيت حيًا. وأنت ماذا فعلت في غيابي؟

- أنا؟ ... قالت جانًا. وشحب وجهها. بقيت جالسة أخيط. شعرت بالرهبة. وبالخوف عليك.

واستأنفت. بعد صمت قصير:

- اسمع. لقد ماتت جارتنا. كان يشق عليها أن تموت. ولا شك أن قلبها قد انفطر حزنًا على ولديها. فعندها طفلان صغيران.

لاذت جانًا بالصمت. فعبس الصياد. وأصبح وجهه جادًا مهمومًا. ومن ثم قال:

- لا بد من أخذهما. ولسوف نتدبر أمورنا بطريقة ما. هيا اذهبي. وهاتيهما بسرعة.

ولكن جانًا لم تحرك ساكنًا.

- لماذا لا تذهبين؟ ألا تريدين أن نأخـذهمـا؟ مـاذا بك يا جانًا؟

- ها هما. لقد جئت بهما. قالت جانًا. وأزاحت الحجاب.

ردود ...... وتعقيبات

خواطر وملاحظات حزينة على مقالة (القين)

اللغة والإعلام: علاقة الجوهر بالشكل والإطار

جددت هذه المقالة أحزاني لأسباب كثيرة. تعود في أصلها إلى سبب هو المحور، في رأيي، لكل ما ذكره الكاتب من تدهور أحوال اللغة العربية في أجهزة الإعلام، ثم في الجامعات، وفي المدارس، وفي كثير من مؤسساتنا. هذا السبب هو الاستهانة الشائعة بيننا، نحن العرب المعاصرين، بكل مقومات الحياة الكريمة على هذه الأرض على الأقل. فإذا كانت تصرفاتنا تجاهها حكامًا ومحكومين كبقية الأمم التي تحترم نفسها؛ فإن حياتنا اللغوية - من باب أولى - ستكون سليمة؛ من جهة علاقة النتيجة بالسبب. ولا أزيد على ذلك.

على أن الكاتب في غمرة حماسته اندفع كالإعصار يطيح بكل شيء، وفي اعتقادنا أن الحماسة لا تسوّغ الأخطاء التي وقع فيها، سواء كانت معلومات لغوية أو غير لغوية.

ص٢٠ «وأحدث مثال على إفساد اللغة فيلم (الكيف) الذي أخرجه صلاح أبو سيف، واعترف بنفسه أنه متهم بالإساءة إلى اللغة العربية فضلاً عن زيادة تعاطي المخدرات بعد عرض فيلمه هذا، الذي يناقش بصفة خاصة، لغة تجار المخدرات ومدى تأثير الجيل بها» أ هـ.

هذه الفقرة حوت أخطاء كثيرة. فأولاً: المخرج صلاح أبو سيف - رحمه الله - لم يخرج هذا الفلم (أفضّل كتابته بغير ياء) ولم يشارك فيه قط. فالمخرج هو علي عبدالخالق، وكاتب القصة والحوار محمود أبو زيد. وثانيًا: كيف يكون فلم من إنتاج عام ١٩٨٥م، (أحدث مثال !! على فساد اللغة)، وبالتأكيد لا أظن أبا سيف قد اعترف بنفسه ... إلخ. وثالثًا: كيف يؤثر فلم واحد في اتجاه شعب فيؤدي إلى زيادة تعاطي المخدرات بعد عرضه، وكأن المخدرات سلعة متاحة مباحة كالببسي مثلاً، فضلاً عن وجود أجهزة قياس تضبط العدد قبل عرض الفلم وبعد عرضه. ورابعًا: فلم الكيف لا يناقش لغة تجار المخدرات، بل يرى أن كلمات الأغاني الهابطة، ذات الألحان المسلوقة، والأصوات الحميرية، مثلها مثل المخدرات. وخامسًا: مدى تأثير الجيل بها، صوابها: مدى تأثر، مع بقاء كلمة الجيل غامضة الدلالة في قوله.

ص٢١ «..... علي القاسم وهو باحث من المغرب» صوابه: من العراق.

ص ٢٢ «هل يمكن لمعجم الأخطاء الشائعة للدكتور محمد عناتي (!) ....

أقول: هذا المعجم لمحمد العدناني - رحمه الله - صدرت طبعته الثانية في عام١٩٨٥م، عن مكتبة لبنان في بيروت، وفيه يعلن رجوعه عن أحكام صدرت منه في طبعة الكتاب الأولى، وأجود منه للمؤلف نفسه كتاب «معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة»، صدرت

طبعته الأولى عن الدار نفسها عام ١٩٨٤م، طبعًا بعد وفاة المؤلف عام ١٩٨١م !!

ص ٢٢ أيضًا «... وكتاب اللغة والاقتصاد للدكتور نبيل علي»

قلت: عنوان كتاب الدكتور نبيل علي «اللغة العربية والحاسوب» صادر في ١٩٨٨م. أما «اللغة والاقتصاد» فتأليف الكاتبة فلوريان كولماس. ترجمة أحمد عوض، الكويت (عالم المعرفة رقم ٢٦٣).

ص ٢٢ ن٢ يذكر أن المجامع اختلفت في الفاكس، فاقس وفاقوس ... إلخ.

قلت: لم تجتهد المجامع في تسمية هذا الجهاز. بل سمّاه مجمع عمّان «الناسوخ» وهذا اللفظ موجود في الفيصل أيضًا.

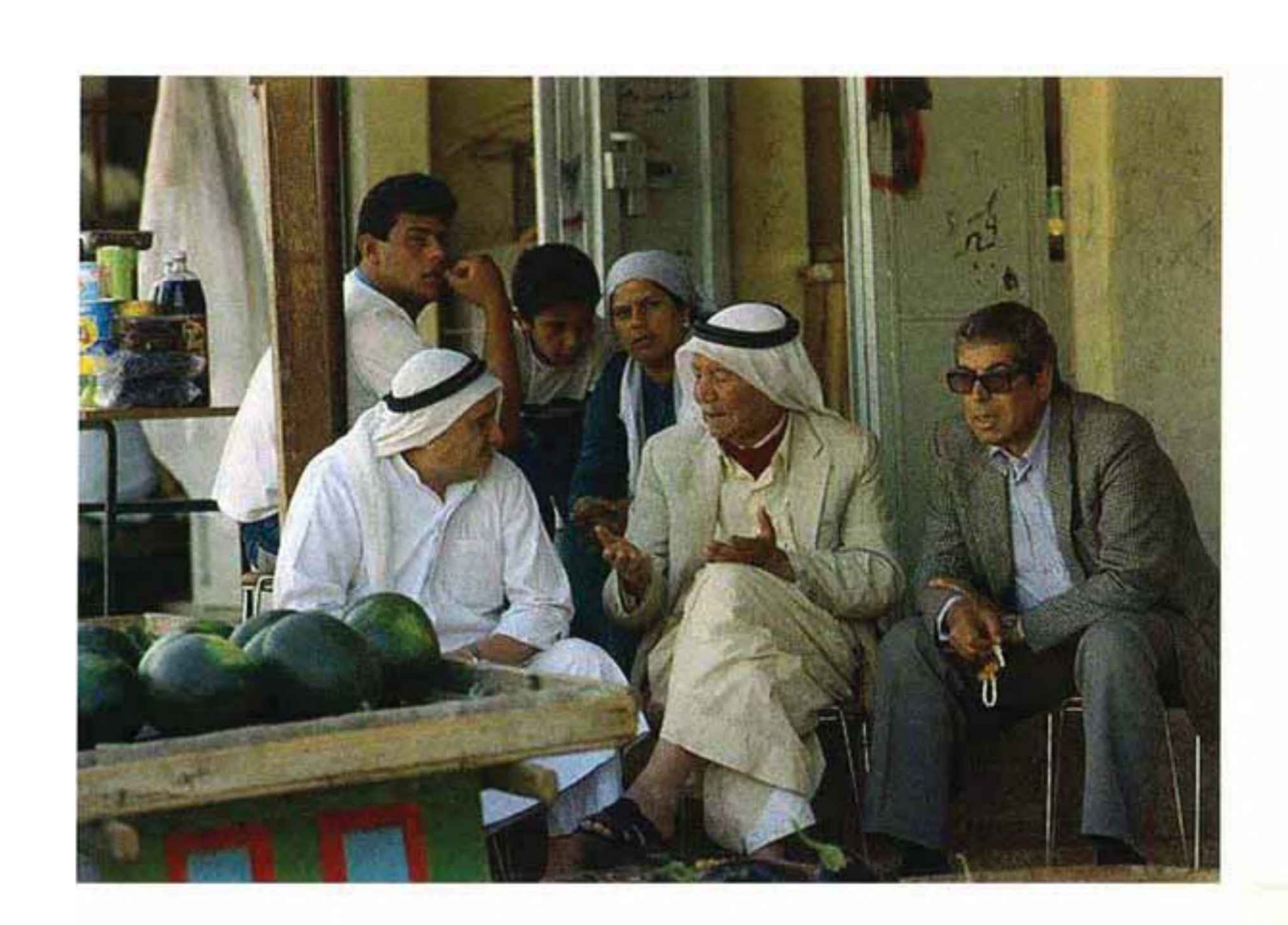
ص ٢٣ ن١ «بكفاءات لغوية كفؤة» ! لا تعليق عندنا.

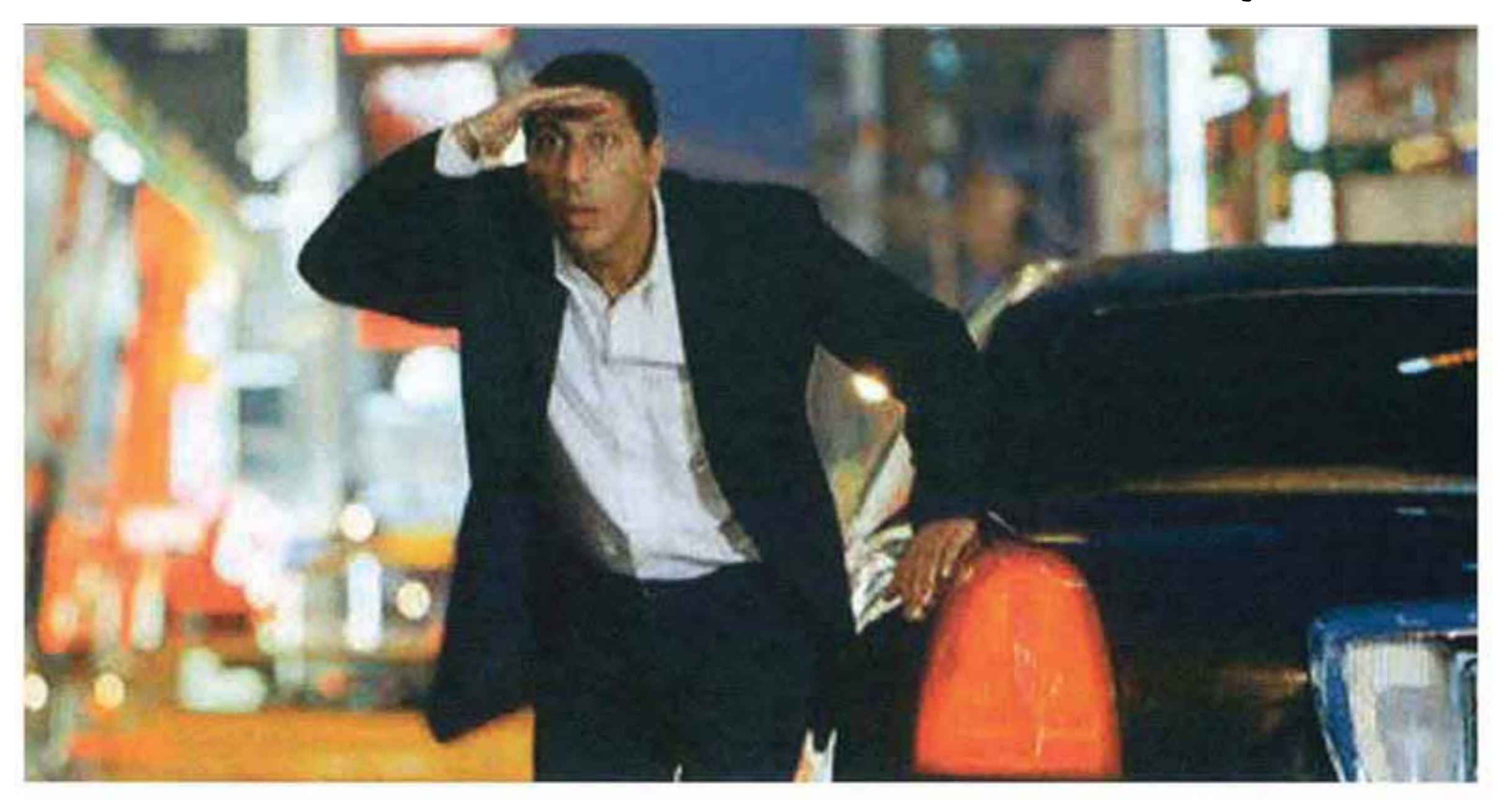
ص ٢٣ ن٢ التوت عليه العبارات بإدخاله استثناءات في قوله «مع عدم كتابة الألفاظ العربية بالحروف اللاتينية أو العكس إلا إذا كانت ماركة أجنبية لاختراع نزل الأسواق قبل اتخاذ قرار بشأنه من قبل المجمع اللغوي فأصبح من الصعب محوه من الأذهان. إلا إذا كان هناك بديل في العربية يكتب إلى جانبه سواء بسواء» ما رأيكم بـ (علامة أجنبية) بدلا من (ماركة)؟

في صفحتي ٢٣ ـ ٢٤ الطرفة التي أوردها لإعراب كلمة (وطني) هي سخرية من علم النحو أصلاً. فكيف يسوغ أن تُحسب على وادي تحبيب النحو؟

ص ٢٥ ن٢ «لم تستطع التقنية الغربية من الوصول إليها».

أقول: صوابه إما حذف (من). أو أن يستبدل بالعبارة «لم تتمكن .. من».





ص ٢٦ ن٢ «البحوث السسيولغوية». يقصد البحوث اللسانية الاجتماعية.

ص ٢٨ يزعم أن حرف الضاد (يقصد صوت الضاد) في الخطاب الديني والإعلامي ينطقه الجميع ضاداً؛ لأنهم يعودون إلى الفصحى (!)

ونحن نزعم أنه لا ينطقه كما ذكره سيبويه في كتابه أو المؤلفون في التجويد. غير قلة قليلة من حفظة كتاب الله الكريم، وإن ادّعى بعضهم غير ذلك.

أضف ـ بعد ذلك ـ أن كتاب ابن النجار ليس الوحيد في اهتمامه بصوت الضاد. انظر عناوين أخرى في غانم قدّوري الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، بغداد: وزارة الأوقاف عام ١٩٨٨م.

طبعاً لم يترك الكاتب الفاضل مؤسسة لها علاقة باللغة إلا ذكَرها، وكان من بينها المجامع اللغوية.

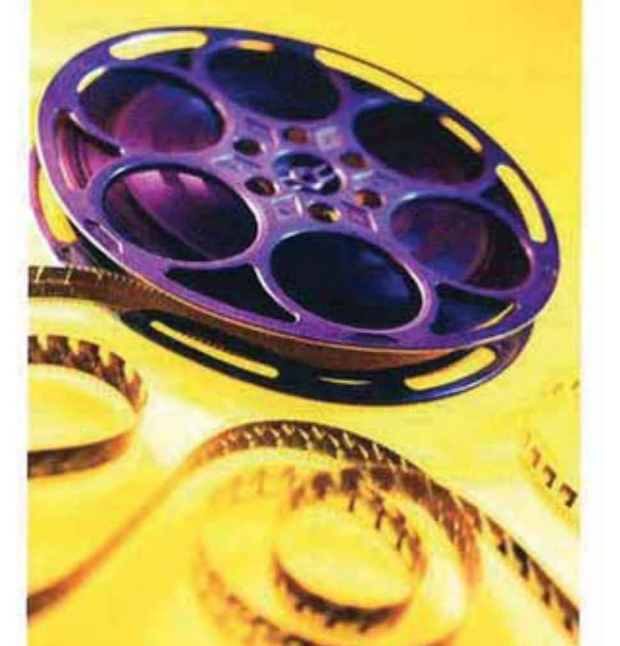
ولكاتب هذه الملاحظات ذكريات حزينة عن بعضها. فأكبرها: أعني مجمع القاهرة، يشكو من أن وزارة الإعلام بمؤسساتها، وكذا الصحافة لا تحترم قراراته.

وأقول: إن المجمع نفسه لا يحترمها أيضاً، فكم له من قرارات في تيسير الكتابة، وهو في مجلته ومطبوعاته يخالفها، بل إن موقعه على الشبكة العنكبوتية يحتوي على أخطاء كتابية لا ينبغي أن تصدر عن طالب. وبعد هذا فهو كغيره من هيئاتنا تهمه الشكليات، وأداؤه غاية في البطء، ولعل هذا يعود إلى أن أعضاءه غالباً لا يتم تعيينهم إلا بعد تجاوزهم الستين، وتكون أمراض الشيخوخة قد تمكنت منهم؟ ولا يظن القارئ أنه سيجد أعضاءه يتحدثون بالفصحى، فهذا وهمٌ ولقد حدث في يوم من أيام عام ١٩٨٧م وكنت أطالع في مكتبة المجمع أن اجتمعت فيها لجنة

الرياضيات لتدرس نقل مصطلحات إلى العربية، وسمعت العجب، وكان أهونها قول بعضهم: «نفتح بتوين براكتس» يقصدك نفتح بين قوسين !!

فضلاً عن أن المجلة ـ نصف السنوية ـ قد لا تصدر أربعة أعوام متتالية، ثم تأتي دفعة واحدة، وإذا بحثت عنها في الأسواق قيل إنها لا توجد في غير المجمع، فإذا ذهبت إلى المجمع تريد الشراء قيل لك: نحن لا نبيع بل نُهدي، فإذا قلت: أهدوني، قالوا: نحن نهدي للمؤسسات لا للأفراد. فبالله كيف يعرف المثقف غير اللغوي شيئًا عن نشاط المجمع ومطبوعاته تعرض (!!) بهذا الشكل.

أما الولائم والرحلات للأعضاء في المؤتمر السنوي، وما يحدث فيها من استعجال ـ في جوانب ـ للنظر في قرارات بأوقات قياسية، فقد كفانا تعب الحديث عنها، عضو المجمع، الدكتور أحمد مختار عمر ـ رحمه الله ـ في آخر كتبه «أنا واللغة والمجمع» القاهرة: عالم الكتب عام ٢٠٠٢م.



نعم استعجال حيث تنبغي الأناة، وبطء حيث يلزم التحرك السريع المستمر، كأن يُصدر المجمع أربعة أحرف من (المعجم الكبير) منذ عام ١٩٤٧م حتى تاريخه.

فلا حول ولا قوة إلا بالله! لسنا جادّين في تحرير فلسطين، ولا في محو الأمية ولا في التعليم، ولا في الاقتصاد. هل يذكر القارئ الكريم الحديث النبوي الشريف عن خصال المنافق؟ بالذمة كم خصلةً عندنا منها؟

لم تسلم التلفزة من هجوم كاتب المقالة، حتى في الإعلان الداعي إلى إقامة الصلاة، فقد خطّأ عمل mbc: (اقم صلاتك تصفو حياتك) زاعمًا أن الأصل الصحيح «أقم صلاتك تصفُ حياتك» لأن فعل الأمر يجزم مثل إن الشرطية: وهو يقصد أن يقول إن الفعل الثاني مجزوم في جواب الطلب. لكنه ـ سامحه الله ـ نسي تشكيل العبارة فلو شكّلها لصار مخطئًا كالمحطة. تأمل في العبارة كما في أم بي سي «أقِم صَلاتَك تصفو حياتُك» هكذا ينطقها المذيع المختفي، وهو خطأ من وجهة نظر الفصحى كما بيّن الكاتب، لكن الذي جعلها خطأ مؤلف العبارة الذي أرادها مسجوعة الطرفين: لاحظ: تَك ... تَك. أما إذا جارينا الأستاذ القين فستضيع السجعة. لاحظ الصواب المحض: «أقم صلاتَك تصفُ حياتُك» أي تَك ... تُك، لأن الكلمة الثانية فاعل مرفوع كما يعلم طلاب الابتدائية.

هذا ونسأل الله المغفرة من كل زلة، والسلام.

عباس علي السوسوة
أستاذ اللسانيات ـ جامعة تعز
ص ب ٤٢٣٢
تعز ـ اليمن



الكتاب في المجتمع العثماني

(من القرن الرابع عشر الى القرن السادس عشر الميلاديين)

علي إحسان قره طاش

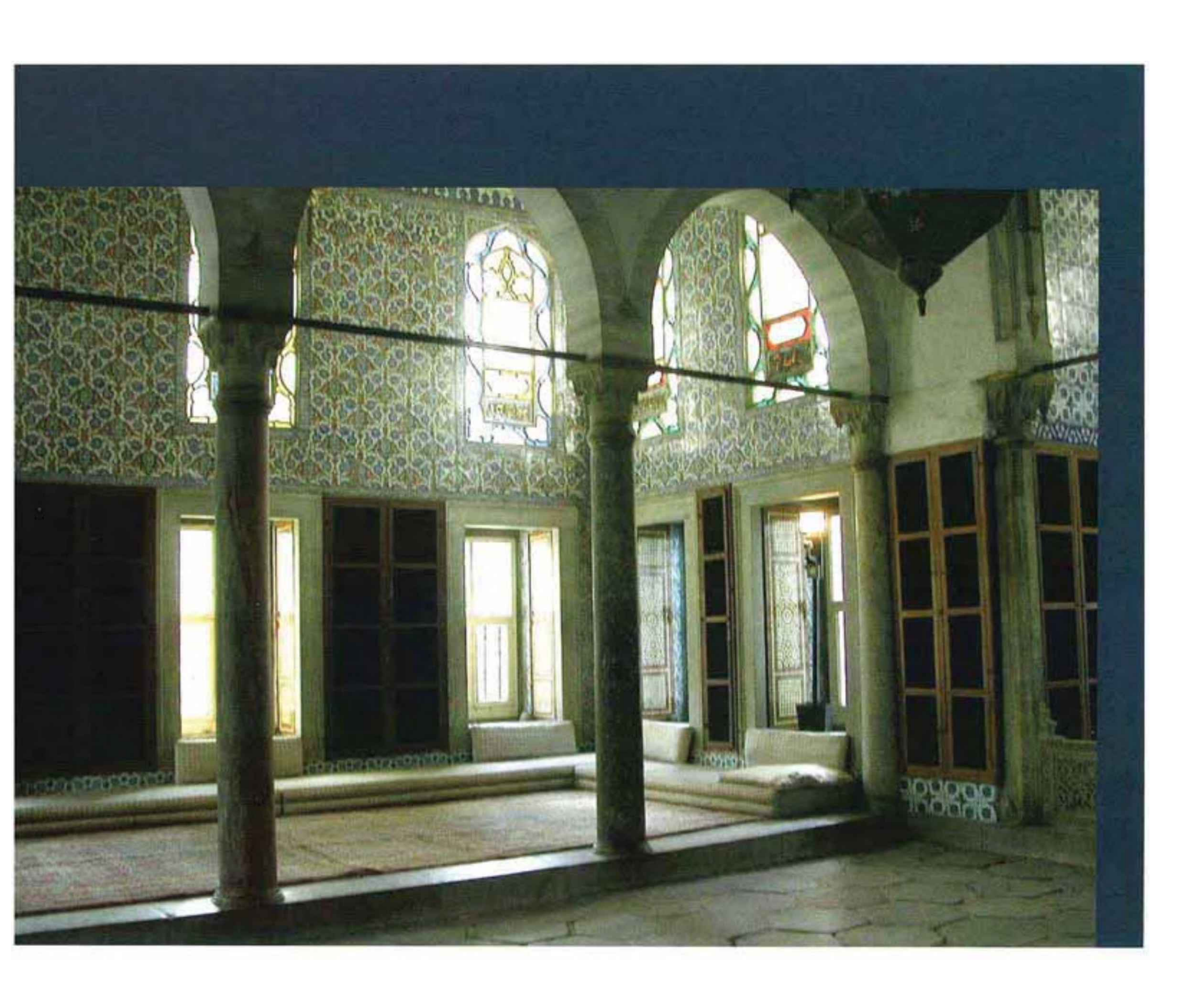
ترجمة سهيل صابان

الرياض ـ السعودية

يقوم كل مجتمع بتنشئة علمائه؛ لديمومة حياته الثقافية، وهؤلاء العلماء يضيفون إلى المعارف الموجودة معلومات جديدة، ويساهمون في التقدم العلمي والمعرفي. فيفتحون بذلك أبواباً جديدة للأجيال القادمة.

والكتاب أهم العناصر التي تعدّ من مصادر المعلومات. والكتب التي يؤلفها العلماء لا تكتفي بإنارة مجتمعهم فحسب؛ بل إنها من خلال الترجمة تصبح عالمية، فتنير الإنسانية جمعاء. ولذلك فلا ينظر في ديانة العلماء أو مذاهبهم؛ بل تجري المحاولة في الاستفادة من الآثار التي تركوها حسب اهميتها.

وبناءً على أن الإداريين العثمانيين في العصور الثلاثة الأولى كانوا على التفكير المذكور، فإنه بسبب الجو الإيجابي الذي أعدّوه للعلماء منذ نشأة الدولة العثمانية، فإنها أصبحت مركزاً مرموقاً في الجذب العلمي. وقد قام جواد إزكي بتصنيف العلماء الواردين في الكتاب الموسوم بـ «الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية» لمؤلفه طاش كبري زاده، حسب عهود السلاطين. وقد أشار إلى أن عددهم وصل ـ منذ نشأة الدولة حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادي ـ إلى خمسمئة وعشرين عالماً. وإذا تبين لنا أن العلماء الذين لم ترد أسماؤهم في هذا الكتاب كثيرون، فإن العدد سوف يرتفع دون شك. والحقيقة أن تشجيع السلاطين العثمانيين للعلماء على



التأليف والترجمة والشرح والتعليق، وغير ذلك من المجالات. قد هيأ أجواءً للمنافسة؛ ونتيجة لذلك فقد صدرت آلاف المؤلفات، سواء في العلوم العقلية أو العلوم النقلية. فدُرِّس بعضها في المدارس مقررات دراسية، ولقي بعضها الرواج في التكايا والزوايا، وبات بعضها الثالث منها كتباً تقرأ في المنازل لدى أفراد المجتمع.

وهذا البحث الذي يتناول الكتاب في المجتمع العثماني، يتكون من قسمين: الأول: يتناول، في نبذة موجزة، الكتب في داخل الحدود العثمانية منذ نشأتها حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادي.

أما في القسم الثاني فسوف يتم التركيز فيه في انعكاسات الكتب على المجتمع العثماني، دون النظر إلى طبائع المؤلفين، أو العهود التي عاشوا فيها، كما سيتم فيه عرض نوعية الكتب التي تناولتها أيدي الإنسان العثماني، وما كان يقرؤه أفراد هذا المجتمع. وسوف يتخذ البحث مدينة بورصا نموذجاً توضيحياً لوضع الكتاب في القرن السادس عشر الميلادي، التي هي من أهم المدن العثمانية المركزية.

الكتاب في المجتمع العثماني منذ نشوئه حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادي

البحوث والدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع منذ نشأة الدولة العثمانية حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادي، تقسم الفترة إلى ثلاثة أقسام، هي: عهد ما قبل السلطان محمد الفاتح، وعهد السلطان محمد الفاتح، وعهد ما بعد السلطان محمد الفاتح. ومع الحديث عن الكتاب، فإن تلك الدراسات تقدم نبذة من المؤلفين أيضاً. وسنتحدث هنا عن بعض الكتب المؤلفة أو المترجمة لمدة ثلاثمئة سنة، دون التطرق إلى حياة المؤلفين.

أ . العلوم الدينية والاجتماعية

من الحقائق المعلومة عن الإنسان العثماني اهتمامه بالعلوم الدينية، ويأتي التفسير على رأس هذه العلوم الدينية. وفي دراسة عن التفاسير التي ألفت في العصر العثماني، ذكرت أسماء أربعمئة وثلاثة مفسرين، مع إيراد أسماء التفاسير.

وأول المفسرين العثمانيين شهاب الدين أحمد بن محمود السيواسي (ت ١٣٧٨م)، مؤلف تفسير «عيون التفاسير لفضلاء السماسير». وبدر الدين سيماوي (١٤٢٠م) الذي عاش في القرن الرابع عشر الميلادي، كتب تفسيراً يسمى «نور القلوب». كما ألف شمس الدين محمد بن حمزة الفناري - من علماء القرن الخامس عشر الميلادي - تفسيرين: الأول «عين الأعيان» في عام (١٤٣٤م)، والثاني «تعليقات على تفسير الكشاف».

وقد قام أبو السعود أفندي (١٥٧٤م) - من مفسري القرن السادس عشر الميلادي - بتأليف عدد من كتب التفسير، أهمها: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم». ومن علماء هذا العصر بايزيد خليفة بن عبد الله الرومي، المعروف ببايزيد خليفة، وتفسيره يسمى «سجنجل الأرواح».

أما في العهد العثماني التقليدي، فإن «الكشاف عن حقائق التنزيل» للزمخشري (١١٤٣م)، و«أنوار التنزيل» للقاضي البيضاوي (١٢٨٦م)، فقد كتب عليهما الكثير من الشروح والحواشي.

وفي الفقه، ألف جمال الدين محمد بن محمد الأقصرائي (١٣٨٨ـ ١٣٨٩م) - وهو من فقهاء القرن الرابع عشر الميلادي - «حاشية الملتقى» وكتاب «الرد على شرح مجمع البحرين». وألف عز الدين عبد اللطيف بن ملك، المعروف بابن ملك (١٣٩٥م) «شرح منار الأنوار» و«شرح الوقاية» و«شرح مجمع البحرين».

وفي الوقت الذي ألف فيه قطب الدين محمد الإزنيقي (١٤١٨م) المتوفى في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي كتاب «المقدمة» الذي كان مشهوراً جداً في المجتمع العثماني، قام معاصره بدر الدين سيماوي (١٤٢٠م) بتأليف «لطائف الإشارات» و«جامع الفصولين» و«جامع الفتاوى».

وفي القرن الخامس عشر الميلادي ألف عبد الرحمن بن يوسف الأقصرائي (١٤٥٠م) «عماد الإسلام». والشيخ علي بن محيي الدين بن مسعود (١٤٧٠م) «تحفة الملوك» و«كتاب الحدود والأحكام» و«شرح الهداية» و«شرح الوقاية». كما ألف محمد بن فرامُرْز بن علي الحنفي

تشجيع السلاطين العثمانيين للعلماء على التأليف والترجمة والشرح والتعليق، وغير ذلك من المجالات ــ قد هيأ أجواءً للمنافسة؛ ونتيجة لذلك فقد صدرت آلاف المؤلفات، سواء في العلوم العقلية أو العلوم النقلية

(١٤٨٠م) المعروف بالملا خُسْرو. ثالث شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية. «مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول»، و«درر الحكام في شرح غرر الأحكام». وهما من أهم كتب الفقه في هذا العهد.

ومن الكتب الفقهية التي ألفت في القرن السادس عشر الميلادي «المختصر من الفتاوى» لزمبللي علي أفندي (١٥٢٦م)، و«فتاوى أبي السعود ومعروضاته»، و«معين المفتي» لـ بير محمد. و«فصول البدائع في أصول الشرائع» في أصول الفقه لشمس الدين ملا فناري.

وكتب كمال الدين بن الهمام (١٤٥٦م). المعروف بابن الهمام. وهو من علماء القرن الخامس عشر الميلادي. «كتاب المسايرة» في علم الكلام. كما كتب خضر بك (١٤٥٩م). وهو من علماء هذا القرن أيضاً. كتابه «القصيدة النونية». وكتب الخيالي أحمد أفندي (١٤٧٠م) «حاشيته على شرح التفتازاني للعقائد النسفية» لعمر النسفي. كما «شرح القصيدة النونية» لخضر بك المذكور.

وفي الوقت الذي ألف فيه مصلح الدين بن مصطفى بن يوسف بن صالح البورصوي (١٤٨٧م). المعروف بخوجه زاده، وهو من علماء عهد السلطان محمد الفاتح. كتابه «تهافت الفلاسفة» بأمر من هذا السلطان. فقد كتب أيضاً حاشيته على «شرح المواقف» في علم الكلام. أما معاصره مصلح الدين مصطفى القسطلاني (١٤٩٥م) فقد كتب حاشية على شرح التفتازاني لعقائد عمر النسفي.

وفي القرن السادس عشر الميلادي. كتب كمال باشازاده (١٥٥٣م). من علماء هذا العصر. الكثير من المؤلفات في علم الكلام والفلسفة. منها: «رسالة في زيادات الوجود على الماهية»، و«رسالة في بيان العقل»، و«رسالة في القضاء والقدر»، و«رسالة في الواجب المجيب بالذات».

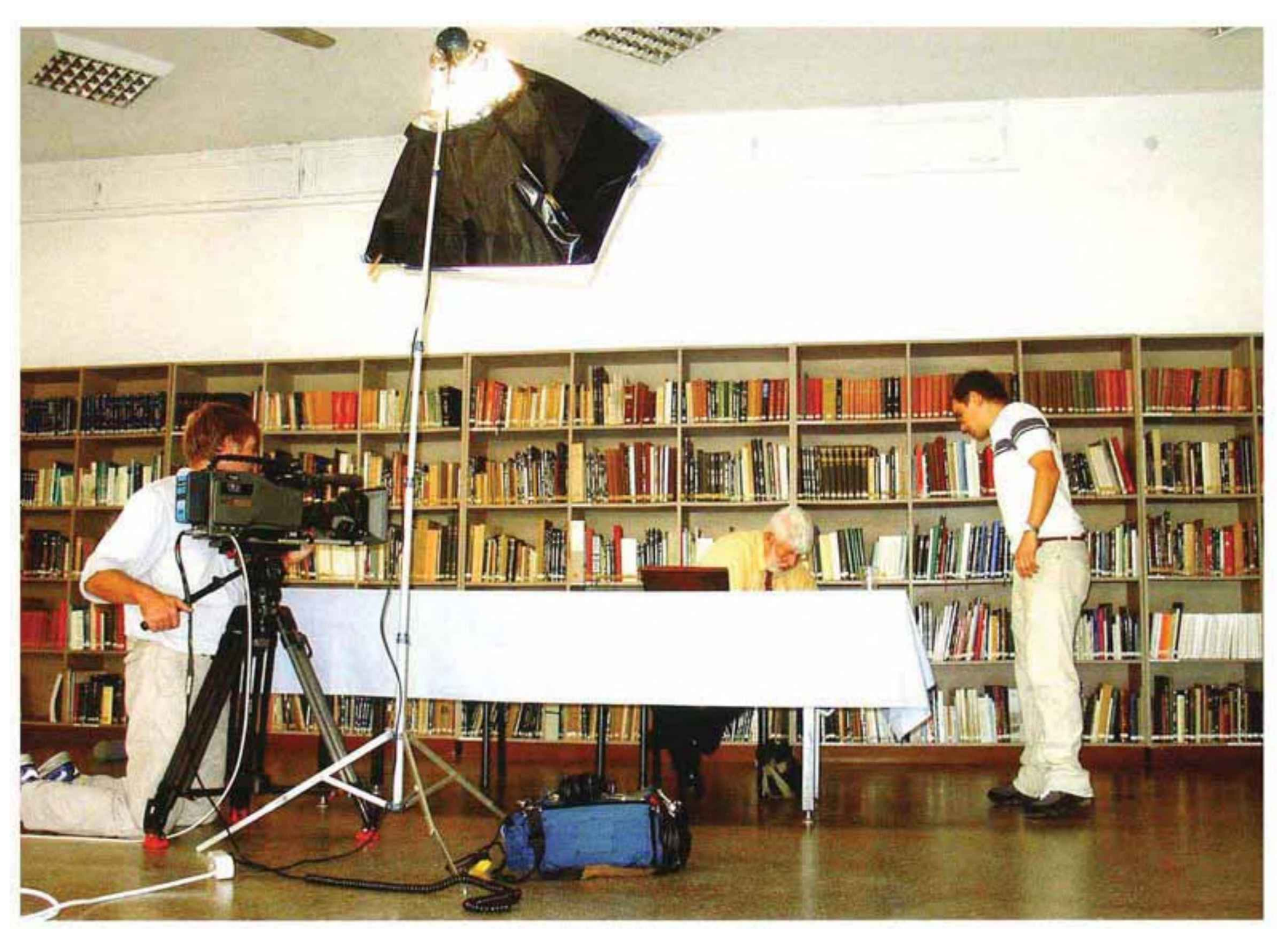
إن أكثر الكتب رواجاً في المجتمع العثماني خلال تاريخه بعد القرآن الكريم، كانت مؤلفات التصوف والأدب والأخلاق. ومن المعلوم أن السلاطين العثمانيين كانوا قد قرضوا الشعر بأسماء مستعارة، واشتغلوا بالأدب. وكل شخص من المشتغلين بهذه الموضوعات قد ألّف الكثير من المؤلفات في التصوف والأدب.

وكول شهري (١٣١٧م) الذي عاش في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلاديين. قد ألف عام ١٣٠١م «فلكنامه». وفي عام ١٣١٧م كتب «منطق الطير» مع إضافات جديدة على مؤلَّف فريد الدين عطار.

وألف عاشق باشا (١٣٣٢م). وهو من علماء القرن الرابع عشر الميلادي. «غريب نامه»، و«فقر نامه»، و«وصف الحال». كما كتب الأحمدي (١٤١٢-١٤١٣م). وهو من الشخصيات البارزة في هذا القرن. «إسكندر نامه»، و«ترويح الأرواح»، و«جمشيد وخورشيد».

وكتب أحمد داعي (١٤٢١م) «جنك نامه»، و«وصية أنوشروان»، وألف شيخي (١٤٣٤م) «الديوان»، و«هارنامه»، و«خُسْرو وشيرين»، وألف سليمان جلبي (١٤٢٢م) «المولد»، ويازجي أغلو محمد بيجان (١٤٥١م) «المحمدية»، وأشرف أغلو الرومي (١٤٦٩م) «مزكي

في حقل التاريخ، صدرت المؤلفات في الدولة العثمانية تحت مختلف المسميات، مثل: تواريخ آل عثمان، وشهنامات، والمؤلفات في السير والتراجم، وكتب المناقب، والرحلات، وتواريخ المدن



مكتبات تركيا جذبت الاهتمام لما تتمتع به من ثراء

النفوس». وسنان باشا (١٤٨٦م) «تضرّع نامه». و«معرفت نامه». و«تذكرة الأولياء». ويازجي أغلو أحمد بيجان (١٤٦٦م) «أنوار العاشقين». وآق شمس الدين (١٤٥٩م) «مقامات الأولياء». وهذه المؤلفات في الحقيقة هي بعض كتب القرن الخامس عشر الميلادي في التصوف.

وقد ترجم في هذا العصر الكثير من كتب التصوف أيضاً إلى اللغة التركية العثمانية. منها «مرشاد العباد» لنجم الدين الرازي: الذي ترجمه قاسم القره حصاري بعنوان «إرشاد المريد». و«عوارف المعارف» للسهروردي: الذي ترجمه الحاج أحمد بيغالي. و«لمعات» العراقي: الذي ترجمه بدر الدين قزلجه. و«بستان» سعدي: الذي ترجمه الخوجه مسعود بن أحمد. وتُرجم «كلستان» لسعدي أيضاً: وقد ترجمه محمود بن قاضي مانياس. كما ترجم «كلش رازي» لشبوستري: وقد ترجمه ألوان الشيرازي. والحقيقة أن هذه الكتب هي بعض ما ترجمت إلى اللغة التركية.

ومن علماء القرن السادس عشر الميلادي المعروفين طاش كبري زاده. فإلى جانب كتابه «الشقائق النعمانية» الذي عرف فيه بالشيوخ وعلماء الدين والشعراء. فقد خصص كتابه «تذكرة الشعراء» لسيرة الشعراء دون غيرهم.

ولكل واحد من علماء هذا العصر. مثل: سخي بك (١٥٤٨م). ولطيفي (١٥٨٢م). وعاشق جلبي (١٥٧١م).

وحسن جلبي (١٦٠٤م) مذكرة.

كما أن للامعي جلبي (١٥٣٢م). وهو من الشخصيات المهمة لهذا العصر. عدة كتب في التصوف. مثل: «حسن دل». و«شرف الإنسان». و«شواهد النبوة». و«فرهاد نامه». وكوي وجوكان».

وكان كتاب قنالي زاده علي أفندي (١٥٧٢م) الموسوم بـ «الأخلاق العلائية» من المقررات الدراسية التي درست في المدارس عصوراً متعددة.

أما في حقل التاريخ. فقد صدرت المؤلفات فيه في الدولة العثمانية تحت مختلف المسميات. مثل: تواريخ آل عثمان. وشهنامات. والمؤلفات في السير والتراجم. وكتب المناقب. والرحلات. وتواريخ المدن..إلخ أوائل المؤلفات التي ظهرت في التاريخ العثماني «مناقب نامه» لياحشي الفقيه. و«داستان تواريخ ملوك آل عثمان» الذي أضافه الأحمدي إلى كتابه «إسكندرنامه».

وقد كتب شكر الله بن شهاب الدين أحمد (١٤٨٨م). وهو من مؤرخي عهد السلطان محمد الفاتح. «بهجة التواريخ» باللغة الفارسية(٤٥). أما نشانجي محمد باشا القره ماني (١٤٨١م) فقد كتب كتابه «تاريخ السلاطين العثمانيين» باللغة العربية. وألّف الأنوري «دستورنامه». وتورسون بك «تاريخ أبي الفتح». فهذه بعض مؤلفات هذا العصر.

من الحقائق المعلومة عن الإنسان العثماني اهتمامه بالعلوم الدينية. ويأتي التفسير على رأس هذه العلوم الدينية. وفي دراسة عن التفاسير التي ألفت في العصر العثماني. ذكرت أسماء أربعمئة وثلاثة مفسرين

ومن مؤرخي القرن الخامس عشر الميلادي عاشق باشازاده (١٤٨٩م). ونشري محمد أفندي (١٥٢٠م). وعروج بن عادل: حيث كتب كل واحد منهم «تواريخ آل عثمان». يضاف إلى ذلك أن لنشري المذكور كتاباً مهماً: يعدّه أول تاريخ للعالم باللغة التركية العثمانية. هو «جهاننما». وكتب إدريس البدليسي (١٥٢١م). الذي عاش في عهد بايزيد الثاني. «هشت بهشت». وألف كمال باشازاده «تواريخ آل عثمان».

وكتب لطفي باشا (١٥٦٢م). الذي عاش في القرن السادس عشر الميلادي. «تواريخ آل عثمان». وجلال زاده مصطفى جلبي (١٥٦٧م) «طبقات الممالك ودرجات المسالك» و«سليم نامه». وسلانيكي مصطفى أفندي (١٥٩٩م) «تاريخ سلانيكي». وخوجه سعد الدين أفندي (١٥٩٩م) «تاج التواريخ». ومصطفى علي كليبولولي (١٦٠٠م) «كنه الأخبار». فهذه الكتب تعدّ من أهم كتب تاريخ هذا العصر.

لقد كلف السلطان محمد الفاتح العالِمَ الرومي في علم الجغرافيا جورجيو أميروتوس (١٤٧٤م) وابنه بترجمة كتاب بطليموس في الجغرافيا إلى اللغة العربية.

وقد ألف بيري رئيس (١٥٥٣م). وهو من كبار بحارة القرن السادس عشر الميلادي. «كتاب البحرية». وسيدي علي رئيس (١٥٦٣م) «كتاب المحيط في علم الأفلاك والأبحر» في علم الجغرافيا. كما كتب في هذا العصر أيضاً مطرقجي نصوح (١٥٦٤م) «بيان منازل سفر العراقين». والأمير محمد السودي (١٥٩١م) «تاريخ الهند الغربي». ومحمد بن عمر بن بايزيد بن عاشق «مناظير العوالم» في الجغرافيا أيضاً. ومحمود الخطيب الرومي ترجم «خريدة العجائب وجريدة الغرائب» إلى اللغة التركية.

ومن الكتب الجغرافية التي كتبت في هذا العصر

أيضاً لعبد اللطيف القسطموني. وهو من علماء القرن السادس عشر الميلادي. «أوصاف إستانبول». ومحمد بن علي سباهي زاده البورصوي (١٥٩٨م) «أسماء البلدان» و«معجم البلدان».

ب. العلوم البحتة

الفت كتب كثيرة في الدولة العثمانية في علم الفلك والرياضيات والطب. ويذكر أن الكتب التي ألفت في علم الفلك وحده منذ عهد بايزيد الثاني حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادي. وصل إلى ثلاثمئة واثنين وعشرين كتاباً. وأول اسم يتصدر قائمة الكتب في علم الفلك هو صلاح الدين موسى بن القاضي محمود البورصوي (١٤٣٤م) المعروف بقاضي زاده الرومي. فقد ترك كثيراً من المؤلفات في هذا العلم. وأهمها الشرح الذي كتبه على «المحلّى في الهيئة» لمحمود بن عمر الجغميني الخوارزمي.

وألف عبد الوهاب بن جمال الدين بن يوسف المردني. وهو من علماء عهد جلبي (الأمير) محمد. «منظومة في سلك النجوم» و«أرزوجة في منازل القمر وأوقات طلوعها في كل عصر». وترجم الشاعر أحمد الداعي «سي فصل ومختصر در معرفت تقويم» لناصر الدين الطوسي. (من اللغة الفارسية) إلى اللغة التركية (العثمانية).

أما علي قوشجو (١٤٧٤م). وهو من أهم علماء الفلك والرياضيات في عهد السلطان محمد الفاتح الذي قدم إلى البلاد العثمانية. ولقي اهتماماً بالغاً. فقد كتب شرحاً على «زيج أولوغ بك» و«التحفة» لقطب الدين الشيرازي. كما أنه زاد على كتابه «الفتحية في علم الهيئة» وقدم نسخة موسعة منه إلى السلطان محمد الفاتح بعنوان «رسالة درّ علم الهيئة».

وألف عبد الواجد بن محمد المشهدي (١٤١٥م). من علماء القرن الخامس عشر الميلادي. «معالم الأوقات وشرحه». وكتب شرحاً على «الملخص في الهيئة» للجغميني. كما أن سنان باشا قام في هذا العهد أيضاً بكتابة شرح على رسالة الفلك للجغميني. وحاشية على كل من «شرح الملخص في الهيئة» للقاضي زاده. و«نهاية الإدراك في دراية الأفلاك» لقطب الدين الشيرازي.

ومن علماء هذا العصر أيضاً قام نالباندزاده حسام الدين التوقادي (١٤٥٥م) بتأليف رسالة خاصة بقوس القزح سماها «رسالة في قوس القزح». وألف مصطفى بن أحمد الصدري القونوي المعروف بالشيخ وفا (١٤٩٠م) «روزنامه شيخ وفا». وكتب محيي الدين محمد بن قاسم (١٤٩٨م) «الإشكالات في علم الهيئة». وترجم علي بن حسين الكاتبي المعروف بسيدي علي رئيس كتاب علي قوشجو الموسوم بـ «الفتحة» إلى اللغة التركية (العثمانية) سماها «خلاصة الهيئة».

ألف محمد بن كاتب سنان القونوي (١٥٢٣م). وهو من علماء القرن السادس عشر الميلادي. في علم الفلك ثلاثة عشر كتاباً. كما ألف محمود بن محمد بن موسى قاضي زاده (١٥٢٤م) المعروف بـ ميرم جلبي خمسة عشر كتاباً في هذا العلم. ومن أهم مؤلفات سنان القونوي «كتاب الأصل المعدّل» و«ميزان الكواكب». أما ميرم جلبي فإن شرحه على «زيج» أولوغ بك الذي سماه «دستور

ألفت كتب كثيرة في الدولة العثمانية في علم الفلك والرياضيات والطب. ويذكر أن الكتب التي ألفت في علم الفلك وحده منذ عهد بايزيد الثاني حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادي. وصل إلى ثلاثمئة واثنين وعشرين كتاباً

العمل في تصحيح الجدول». وكذلك شرحه على «الفتحية» لعلي قوشجو من أهم الكتب في علم الفلك.

وتقي الدين راصد - من أبرز علماء القرن السادس عشر الميلادي - من المؤلفين الموسوعيين. وله من المؤلفات في علم الفلك «سدرة المنتهى لأفكار في ملكوت فلك الدوار». و«الآلات الرصدية لزيج شهنشاهية». و«الدستور الراجح لقواعد التسطيح».

وكما كان الأمر في علم الفلك، فإن علم الرياضيات أيضاً أول عالم يتبادر إلى الذهن هو قاضي زاده الرومي. فمن مؤلفاته المتعلقة بهذا العلم «مختصر في الحساب». و«شرح الرسالة الحسينية». و«رسالة في المساحة». وعلى الرغم من أهمية تلك الكتب إلا أن كتابه الموسوم «رسالة في استخراج جيب درجة واحدة» يعد أهم مؤلفاته في علم الرياضيات.

ومن علماء عهد يلدرم بايزيد في الرياضيات علي بن هبة الله، الذي ألف كتاباً سماه «خلاصة المنهاج في علم الحساب». وعلي قوشجو - وهو من علماء عهد محمد الفاتح المشهورين - وكتابه «رسالة در علم حساب» و«الرسالة المحمدية في الحساب». وسنان الدين يوسف بن خضر بك ابن جلال الدين عارف (١٤٨٦م) وكتابه «رسالة في بيان مسألة هندسية». ومن علماء هذا العصر أيضاً حمزة بالي بن أصلان (١٤٩٣م)، الذي ألف كتاباً سماه «مصابيح الكنوز». ومحيي الدين محمد بن الحاج أطمه جه الكاتب وكتابه «مجمع القواعد في بيان منتخبات الفوائد». ولطف الله التُوْقاتي (الملا لطفي) (١٤٩٨م) ومؤلفه «تضعيف المذباه»؟.

ومن ألف في علم الرياضيات من علماء القرن السادس عشر الميلادي مطرقجي نصوح (١٥٦٤م) الذي كتب «جمالات الكتاب وكمالات الحُسّاب». و«عمدة الحساب». والشاعر الأدرنوي امر الله بن أحمد بن محمود الأدرنوي (١٥٧٤م) وكتابه «مجمع الغرائب في المساحة». وتقي الدين «بغية الطلاب من علم الحساب». وكتاب «النسب المتسالكة في الجبر والمقابلة». أما في علم الطب فإن الشيخ جمال الدين الأقصرائي (١٣٧٨م) - الذي عاش في القرن الرابع عشر الميلادي - قد شرح «معجز القانون» لابن النفيس، سمّاه «حلّ المعجز». والطبيب الشهير في القرن الخامس عشر الميلادي الحاج باشا (١٤١٣م) الذي ألف عدة كتب في هذا العلم. منها «شفاء الأسقام ودواء الأعلام». و«كتاب التعاليم في الطب». و«كتاب الفريدة». و«كتاب السعادة والإقبال». و«كتاب التسهيل في الطب». و«منتخبات شفاء».

ومن أطباء القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين إسحاق بن مراد، الذي ألف كتباً، منها «الأدوية المفردة». و«خواص الأدوية». وتاج الدين إبراهيم بن خضر الأحمدي (١٤١٢م) وكتاباه «ترويح الأرواح». و«رسالة في جسد الإنسان». ومقبل زاده مؤمن السينوبي، وكتاباه «الظاهرة المرادية». و«مفتاح النور في خزائن السرور». وشرف الدين صابونجي أغلو (١٤٦٨م) وكتابه «مجرب نامه». ومحمد بن حمزة المشهور بآق شمس الدين (١٤٥٤م) وكتابه «مائدة الحياة».

ومن أطباء هذا العصر المشهورين أحمد جلبي الأخي (١٥٢٤م) الذي ألف عدة كتب في الطب، منها «رسالة

تبين وجود ثمان وعشرين نسخة من كتاب "المختصر" للقدوري في سجلات التركة المذكورة؛ لأنها كانت تتناول معلومات فقهية مبسطة؛ ولهذا فإنه كان أكثر الكتب رواجاً لدى أفراد المجتمع

حصاة الكلية والمثانة». و«الفوائد السلطانية في القواعد الطبية». و«رسالة في الطب». و«المثنوي في الطب».

أما أحمد بن سليمان بن كمال باشا (١٥٣٣م). من علماء القرن السادس عشر الميلادي الذي ألف في الكثير من التخصصات العلمية .. فقد كتب في الطب كتاب «راحة الأرواح في دفع آفة الأشباح». كما كتب محمود بن محمد قيسوني زاده (١٥٦٧م) «الأدوية المفردة» و«جوهر الطب». و«الدر المكنون». و«نصيحت نامه في الطب». وألف داود بن عمر الأنطاكي (١٥٩٩م) «تذكرة أولي الألباب والجامع للعجائب العجاب». و«النزهة في التشريح». و«مجرّبات في الطب».

وفي علم الفيزياء كتب علاء الدين الكرماني «بداية العمل في صنائع الحيل» وقد قدمه إلى السلطان محمد الفاتح. وألف حسن الدهلوي الذي عاش في عهد بايزيد الثاني «رسالة مرآتية». ومصلح الدين بن سنان «الرسالة الأفلاطونية».

وكتب تقي الدين . وهو من العلماء الموسوعيين . الكثير من الكتب في تخصص علم الفيزياء. منها «نوْر حديقة الأبصار ونور حقائق الأنظار». وفي علم الميكنة «الكواكب الدرية في وضع البنكمات الدورية» و«الطرق السنية في الآلات الروحانية» كما كتب ميرم جلبي «رسالة دَر رؤية أشياء». وابن كمال باشا «رسالة في بحث الحركة» في علم الفيزياء.

أما في علم الكيمياء فقد ألف علي باشا بن إلياس (١٣٣٢م) «رسالة عاشق باشا». وكتب أشرف زاده الإزنيقي (١٤٦٩م). وهو من علماء عهد السلطان محمد الفاتح . «مجموعة المجربات في الكيمياء».

ومن علماء القرن السادس عشر الميلادي ألف مصطفى بن بير محمد الأيدني (١٥٦٩م) «نجاة الأحباب وتحفة ذوي الألباب». وعلي جلبي بن خُسْرو الإزنيقي (١٦٠٩م) «جواهر الأسرار في معارف الأحجار». و«ديوان الحكمة». و«كتاب المصباح». و«في أسرار علم المفتاح». كما كتب حبيش بن غبراهيم التفليسي «بيان الصناعات» (١١١).

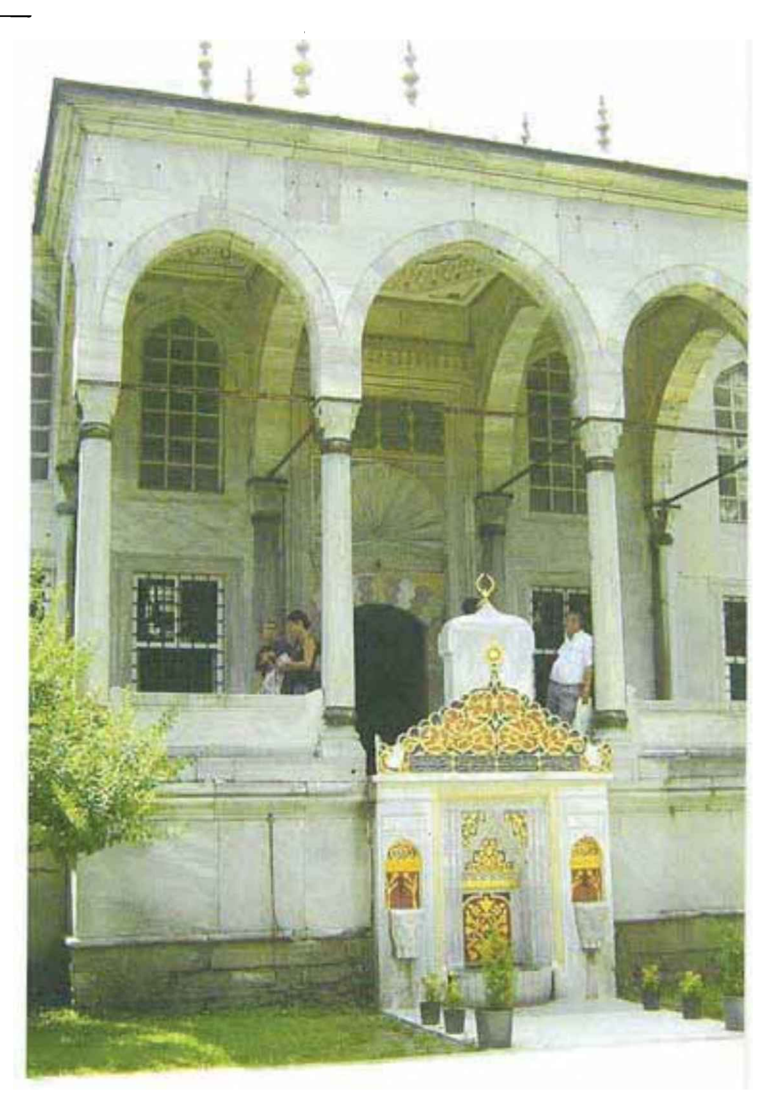
انعكاسات الكتب على المجتمع العثماني

سوف تتم هنا دراسة أوضاع القاطنين في بورصا. بعدّها مدينة نموذجية في القرن السادس عشر الميلادي. وقيودات التركة لمدينة بورصا في القرن السادس عشر الميلادي. تشكل المصدر الأساسي لهذه الدراسة. والتركة هي ما تركه الشخص المتوفَّى. ويطلق عليها أيضا المخلَّفات. وأصل هذا المصطلح الذي يستخدم بلفظ «ترِكَة». هو «التَّرِكة». وهناك اسم آخر للتركة أو المخلفات هو «المتروكات».

ودفاتر التركة. هي سجلات القضاة التي دونت فيها تركات الموتى بموجب تقسيمها من لدن «القسام» حسب الفقه الإسلامي. وكان يكتب في تلك السجلات الكتب التي كان يملكها المتوفى.

وعناوين الكتب كانت تكتب في الغالب. وفي بعض الأحيان مع أسماء مؤلفيها. وفي أحيان أخرى كانت تذكر ضمن التركة «الكتاب». و«المجموعة». و«الرسالة» دون ذكر العناوين. وأسماء المؤلفين. وكان يشار إليها في بعض

تستخدم في سجلات التركة بعض الألقاب أمام أسماء بعض الأشخاص، منها: مدرس، مولانا، شيخ، إمام..إلخ. وبعض هؤلاء كانوا مدرسين، ويتبين ذلك من خلال إيراد أسماء المدارس التي كانوا يعملون فيها



احدى مكتبات تركيا العثمانية

الأحيان «كتاب من الحساب»، أو «كتاب من الفقه»، ومن خلال البحث في سجلات التركة الخاصة بهذا القرن، تبين أن منتين وثمانية وأربعين شخصاً قد تركوا في متروكاتهم أكثر من ألفي كتاب، والكتب التي يتم عرضها هنا سوف تعرض تحت العناوين الموضوعية،وسوف تُعرف اعدادُ الكتب التي يتم عرضها فيما يأتي، من خلال الوثائق المشار اليها في هامش كل كتاب.

. القران الكريم

يوجد القرآن الكريم في الغالبية العظمى من سجلات التركة، ومع القرآن الكريم الذي يشار إليه أيضا بالكلام القديم، والكلام الشريف، والعزة، والمصحف الشريف، كان يوجد من الكتب: «خواص القرآن الكريم» المتعلقة بقراءة القرآن الكريم، و«قواعد القران»، و«القراءات»، و«وقوف سجاوندي»، و«ذلة القارئ»، وغير ذلك من الكتب.

. التفسير

ومن التفسير «كشاف الزمخشري»، وتفسير البيضاوي للقاضي البيضاوي، وتفسير أبي الليث السمرقندي لأبي الليث، والتفسير الكبير للفخر الرازي، وتفسير نجم الدين الدايه، وكشفا البيان لابراهيم الثعلبي، وظهر تفسير لم يتبين اسمه، كما ظهر تفسير فارسي، وما أطلق عليه تفسير الشيخ، وإلى جانب ذلك وجد هناك بعض الشروح والحواشي التي كتبت على الكشاف، ولا سيما شروح وحواشي الجرجاني والتفتازاني.

. الحديث / السنة

وفيما يتعلق بعلم الحديث ظهرت من الكتب المسجلة في سجلات التركة «مشارق الأنوار» للصاغاني، وشرحه، و«مصابيح السنة» للبغوي الفراء، وشرحه، و«شرعة الإسلام» لإمام زاده، وشرحه، وصحيح البخاري بنسخ متعددة، يضاف إلى ذلك وجود الكتب المدونة تحت مسمى الأحاديث، وترجمة الأحاديث، وأسماء الرجال، والحديث الأربعين، وكتاب في بيان النبي، ومن الكتب السنة، ومن كتب الحديث.

. الفقه

إن كتب الفقه تأتي في الدرجة الثالثة من حيث العدد بعد القرآن الكريم، وكتب التصوف، ومن كتب

الفقه المتنوعة (التي ظهرت في سجلات التركة) «الدرر والغرر» للملا خُسْرو، و«فتاوى قاضي خان» للقاضي خان، و«الفقه الأكبر» لأبي حنيفة، و«فصول العمادي» لابن عماد الدين، و«خزانة الفقه» لأبي الليث السمرقندي، و«المقدمة»، و«الكفاية» لكُرْلاني، و«كتاب الأنواع» ليوسف بن إبراهيم، و«المنار» لحفيظ الدين النسفي، و«المختار» لعبد الله الموصلي، و«المقدمة الغزنوية» لأحمد بن محمد الغزنوي، و«مقدمة قطب الدين» لقطب الدين الإزنيقي، و«منية المفتي» لأحمد السجستاني، و«منية المصلّي» للقشغري، و«التوضيح» لصدر الشريعة، و«التلويح» للتفتازاني، و«حاشية التلويح» لحسن جلبي، و«تحفة الفقهاء» لمحمد بن أحمد. فتلك الكتب من حيث العدد (مما ظهرت في سجلات التركة) كانت أقل من عشر نسخ.

أما الكتب الفقهية التي لم يشر فيها إلى أسماء مؤلفيها فكانت «خزانة الفتاوى»، و«كتاب الفروع»، و«مجمع الفتاوى»، و«تلخيص المنار»، و«رسالة الفتاوى»، و«الفقه» باللغة الفارسية، و«شرح العضد»، و«شرح الفقه الأكبر»، و«شرح قطب الدين»، و«شرح الاختيار»، و«شرح المختار»، و«شرح المنار»، و«شرح القدوري»، و«شرح كنز»، و«شرح النكاية»، و«شرح المجمع».

وقد تبين وجود ثمان وعشرين نسخة من كتاب «المختصر» للقدوري في سجلات التركة المذكورة؛ لأنها كانت تتناول معلومات فقهية مبسطة؛ ولهذا فإنه كان أكثر الكتب رواجاً لدى أفراد المجتمع. وبناءً على أن الكتب الآتية كانت مقررات دراسية فقد وجد من «المجمع» للساعاتي أربع وعشرون نسخة، و«الكنز» لحفيظ الدين النسفي تسع عشرة نسخة، و«شرح الفرائض» للجرجاني ست عشرة نسخة، و«الفرائض» للسجاوندي خمس عشرة نسخة، و«الوقاية» لبرهان الشريعة أربع عشرة نسخة، و«الهداية» للمرغيناني ثلاث عشرة نسخة، و«صدر الشريعة» لصدر الشريعة عشر نسخ.

- العقائد، الكلام، الفلسفة

(ظهرت في سجلات التركة المذكورة) من كتب العقائد والكلام «عقائد النسفي» للنسفي، و«الأصفهاني» للأصفهاني، و«المواقف» لعضد الدين الإيجي، و«حاشية التجريد» للجرجاني، و«شرح التجريد»، و«شرح المواقف»، و«شرح العقائد» للتفتازاني، وله أيضاً «المقاصد»، و«حاشية شرح المواقف» للخوجه زاده. وظهر في الفلسفة كتابان، هما «التهافت» للخوجه زاده، و«إخوان الصفا».

- القواعد وفي كتب القواعد

ظهرت في الصرف «عزي» لإبراهيم الزنجاني، و«المقصود» لأبي حنيفة، و«المراح» لأحمد بن علي بن مسعود، و«الشافية» لابن الحاجب، ومعها «الأمثلة»، و«ترجمة العزي»، و«شرح العزي»، و«شرح المقصود»، و«الصرف»، و«شرح الصرف»، و«شرح الشافية».

أما في النحو فقد ظهرت «قواعد الإعراب» لابن هشام، و«الكافية» لابن الحاجب، و«المصباح» لابن المطرزي، و«عوامل» البيركوي والجرجانين، و«ترجمة العوامل»، و«معرب العوامل»، و«شرح العوامل»، و«معرب

السجلات التي درسناها، أوردت عدداً كبيراً من النساء من صاحبات الكتب، وقد ظهر أن معظم النساء كن يمتلكن القرآن الكريم، وبعضهن كن يمتلكن المحمدية، وتذكرة الأولياء، والحمايل، والمولد، والمثنوي

الكافية». و«شرح الكافية». و«كتاب علم النحو». و«شرح المصباح». و«شرح ديباجة المصباح» و«شرح الديباجة». و«المتوسط».

. البلاغة

والكتب المتعلقة بالبلاغة هي «مفتاح العلوم» للسكاكي. و«حاشية المفتاح» للمؤذني. و«شرح المفتاح» للتفتازاني والجرجاني. و«المختصر» للتفتازاني. و«المطول». و«تلخيص المفتاح». و«المفصل». و«حاشية المطول».

. كتب التصوف والآداب والأخلاق

يصعب فصل كتب التصوف والآداب والأخلاق بعضها عن بعض؛ ولذلك فإننا نرى سردها هنا (تحت عنوان موحد).

والكتب الواردة في هذا التخصص من حيث العدد، تتصدر قائمة الكتب الأخرى (التي ظهرت في سجلات التركة). وقد تبين أن هذه الكتب المؤلفة باللغة العربية والفارسية والتركية، كانت موجودة بأيدي العوام، كما كانت موجودة بأيدي الخواص.

وإذا أوردناها بـ (العناوين فـ) أسماء المؤلفين، فهي: «روضة المريدين» لمحمد بن حسين بن احمد بن يزد الانباري. و«فوز النجاة» لأبي علي ابن مسكويه. و«قصيدة البردة» للبوصيري. و«هوسنامه» جعفر لجعفر جلبي. و«بهارستان» للجامي. و«نفحات الأنس».

كان مجتمع بورصا في القرن السادس عشر الميلادي، ولا سيما أصحاب المهن، يستخدمون العبيد والجواري في أعمالهم، ويتضح ذلك من وجود عدد كبير من العبيد والجواري من بين تركة التجار

و«وامق وعزراء». و«شواهد النبوة». و«منشآت جامي». و«ديوان جامي». و«بستان العارفين» لأبي الليث السمرقندي. و«لمعات» فخر الدين العراقي. و«منطق الطير» لفريد الدين عطار. و«تذكرة الأولياء». و«مصيبت نامه». و«إحياء علوم الدين» للغزالي. و«كيمياء سعادت» (له أيضاً). و«بداية الهداية». و«مقالات» للحاج بكتاش ولي. و«مقامات الحريري» للحريري. و«حفت بيكر» للخاطفي. و«فصوص الحكم» لابن عربي. و«إنشاء الدوائر». و«فرهاد نامه» للامعي. و«حسن ودل». و«كوي جوكان». و«منشآت لامعي». و«ترجمة نفحات». و«ويس ورامين». و«يوسف وزليخا». و«مثنوي مولانا». و«فيه ما فيه». و«الفتاوى الصوفية» لمحمد بن أيوب. و«مفتاح الغيب» لمحمد بن اسحاق القونوي. و«رسالة العارف» لمحمد القلبادي. و«مرشد العباد» لنجم الدين الدايه. «خمسة نظامي» لنظامي. و«مخزن الأسرار». وخُسرو وشرين». و«كليات سعدي» لسعدي. و«كلستان». و«كليات سالمان» لسالمان. و«كليات ثنائي» لثنائي. و«القصيدة العينية» لسهيلي. و«اللمعة» لسراج الطوسي. و«كلشن راز» لشبستري. و«ظاهرة الملوك» لشهاب الدين الهمداني. و«اسرار العارفين» للشيخ حسام الدين. و«معرفت نامه» لسنان باشا. و«عوارف المعارف» للسهروردي. و«المولد» لسليمان جلبي. و«معارف سلطان ولد». و«المحمدية» ليازجي أغلو محمد. و«الرسالة القدسية» لزين الدين الخافي. فهذه الكتب تشكل اهم كتب التصوف والآداب والأخلاق لذلك العهد.

وهناك كتب أخرى، لم نستطع أن نتأكد من أسماء مؤلفيها. وهي: «فتوت نامه». و«غنية الأولياء». و« شرح الفصوص». و«شرح كلستان». و«شرح لمعات». و«شرح مثنوي». و«شرح قصيدة البردة». و«شرح


مخطوطة في احدى المكتبات التركية

القصيدة»، و«كفايت نامه»، و«التصوف»، و«نجاة الذاكرين»، إضافة إلى هذه المؤلفات هناك كتب تحدثت عن قصص الأنبياء، والبطولات والحب العذري والمناقب، وهي كثيرة، مثل: «ليلى ومجنون»، و«القصص»، و«قصة سمك»، و«قصة يوسف»، و«حكاية»، و«جونك»، و«بطال غازي»، و«دستان»، و«مناقب بهاء الدين»، و«مناقب أبي حنيفة»، و«مناقب الأئمة»، و«مناقب حسين»، و«الموعظة».

يضاف إلى ذلك وجود الكثير من الدواوين التي تدل على قراءتها من لدن إنسان القرن السادس عشر الميلادي، مثل: «ديوان أحمد باشا»، و«ديوان عاشق باشا»، و«ديوان جلال»، و«ديوان دهلوي»، و«ديوان أنوري»، و«ديوان أوحدي»، و«ديوان فارسي»، و«ديوان حافظ»، و«ديوان كمال»، و«ديوان خُسرو»، و«ديوان قانع»، و«ديوان قاسم»، و«ديوان كمال»، و«ديوان لامعي»، و«ديوان نجاتي»، و«ديوان نظامي»، و«ديوان سالمان»، و«ديوان شيحي».

.التاريخ

إن كتب التاريخ المتداولة في المجتمع البورصوي في القرن السادس عشر الميلادي كانت تتشكل من: «سيرة النبي» لابن هشام، و«تاريخ الطبري» للطبري، و«سير الملوك» لنظام الملك، و«إسكندرنامه الأحمدي»، و«دستورنامه أنوري»، و«قوزيدة أحمد بن أبي بكر»، و«تواريخ آل عثمان» لعاشق باشازاده، وهناك بعض الكتب لم يتمكن الباحث من معرفة أسماء مؤلفيها، وهي: «فتح إستانبول»، و«فتوح مصر»، و«كتاب تاريخات»، و«تواريخ تيمور»، و«سيرت نامه»، و«السير الصغير»، و«وقائق الأخبار».

.اللغة

وظهرت في سجلات التركة في تخصص اللغة كتب: «لغة أختري» للأختري، و«لغة حليمي» للحليمي، و«لغة الصحاح للجوهري»، و«لغة الشاهدي» للشاهدي، و«تعريفات الجرجاني» للجرجاني، و«لغة ترجمة الصحاح»، و«القاموس»، و«قانون اللغات»، و«اللغات»، و«لغة الأفعال»، و«لغة الأسماء والأفعال»، و«لغة الفارسي»، و«لغة الفقه»، و«لغة عزي»، و«لغة المنجد»، و«لغة صبيان».

.الطب

وفي تخصص الطب ظهرت في سجلات التركة الكتب الآتية: «القانون» لابن سينا، «وحياة الحيوان»

التخصص العلمي	عدد الكتب	النسبة المئوية
القرآن وقراءته	٢٦٨	١٨٫٣
التفسير	٤٠	٢٫٧١
الحديث . السنة	٦٤	٤٫٣٤
الفقه	٢٤١	١٦٫٣٧
العقائد . الكلام	٤٦	٣٫١٢
الفلسفة	١١	٠٫٧٤
القواعد	١٢٤	٨٫٤٩
البلاغة	٣٩	٢٫٦٤
التصوف-الاحلاق-الآداب	٣٦٣	٢٤٫٦٦
التاريخ	٣٩	٢٫٦٤
اللغة	٦٢	٤٫٢١
الطب	٥٨	٣٫٩٤
المنطق	٥٠	٣٫٣٩
علم الفلك والرياضيات	٢٧	١٫٨٣
المجموع	١٤٧٢	٩٩٫٩٣

عدد الكتب بموجب التخصصات العلمية ونسبتها المئوية

للدميري. و«منهاج البيان» ليحيى بن عيسى. و«المعجز» لابن النفيس. و«مفردات ابن البيطار» لابن البيطار. و«الشفاء» لحاجي باشا. و«التسهيل». و«تقويم الأبدان» لحسن علي بن عيسى. و«تقويم الصحة في الطب» لابن بطلان. و«الظاهرة المرادية» لمؤمن بن مقبل. يضاف إلى ذلك كتب أخرى لم تتبين أسماء مؤلفيها. وهي: «بيطرنامه». و«أدوية الأدعية». و«من علم الطب». و«اختيارات من الطب». و«كتاب الطب». و«من الطب». و«منهاج الطب». و«المنهاج». و«شرح المعجز». و«رسالة علم الطب». و«الطب النبوي».

. المنطق

وفي المنطق «المقدمة البرهانية» للنسفي. و«مطالع الأنوار» لسراج الدين محمود. و«حسام قاتي» للحسام القاتي. و«الشمسة» لنجم الدين عمر. و«حاشية كوجوك» للجرجاني. و«حاشية المطالع» له أيضا. وإضافة إلى هذه المؤلفات ظهرت بعض الكتب لم يستطع الباحث التأكد

من أسماء مؤلفيها، وهي: «حاشية تصديقات»، و«إساغوجي»، و«المنطق»، و«شرح المطالع»، و«شرح الشمسية»، و«شرح المنطق»، و«تصور تصديقات»، و«تلخيص المطالع»، و«الكتاب العالي من المنطق».

. **علم الفلك والرياضيات**

ومن الكتب التي ظهرت في هذين التخصصين: «زيج ألغ بك»، و«عجائب المخلوقات» لزكريا القزويني، و«ملخص الجغميني»، و«حاشية علي قوشجو»، و«علم الهيئة»، و«ملحمة صلاح الدين يازجي أغلو»، و«رسالة علم الحساب» بالفارسي، و«رسالة من الهيئة»، و«رسالة في علم النجوم»، و«كتاب (في علم الحساب)»، و«كتاب متن الهيئة»، و«مواقب النجوم»، و«مجلد علم الحساب»، و«رسالة الهيئة»، و«التبصرة في علم الهيئة».

وإذا اردنا توضيح الكتب المذكورة آنفا في صورة بيانية، تظهر لنا القائمة الموضوعية على النحو الآتي:

وكان عدد (المتوفين من) أصحاب الكتب ٢٤٨ شخصاً، ١٩٩ منهم رجال، و٤٩ منهم نساء، ومن الرجال الـ ١٩٩ كان أربعة منهم عبيداً أطلقت حريتهم، ومن النساء الـ ٤٩ كانت ثماني جوار أطلقت حرياتهن. ومن مجموع ٢٤٨ شخصا المذكورين، كان سبعة عشر شخصاً منهم من منسوبي العلمية، ومئة وثلاثة أشخاص منهم من التجار، ومئة وثمانية عشر شخصاً منهم من الفئات الأخرى.

منسوبو العلمية

تستخدم في سجلات التركة بعض الألقاب أمام أسماء بعض الأشخاص، منها: مدرس، مولانا، شيخ، إمام..إلخ، وبعض هؤلاء كانوا مدرسين، ويتبين ذلك من خلال إيراد أسماء المدارس التي كانوا يعملون فيها. وهناك بعض الأشخاص لم تذكر مناصبهم أمام أسمائهم، إلا أنه بالنظر إلى كثرة الكتب التي أورثوها، وبناء على تنوع تلك الكتب وخصائصها العلمية، فيمكننا القول: إنهم من العلماء.

وغالبية الكتب التي تأكد لنا أنها في بورصا في القرن السادس عشر الميلادي، كانت لشخصيات تابعة للعلمية، وحتى نطلع عن كثب على خصائص تلك الكتب التي وجدت في التركة، فمن الأهمية بمكان تقديم قائمة بعناوين كتب شخصية من تلك الشخصيات العلمية التي عاشت في هذا القرن.

وجدت الكتب الآتية في تركة مولانا مصطفى جلبي بن محمد، الذي كان مدرسا في مدرسة المفتي، ومقيما في حي سلطان مراد، ووافته المنية عام ٩٣٩هـ:

تفسير القاضي (مجلدان)، المصابيح، الهداية (مجلدان)، صحاح الجوهري، شرح الفرائض للسيد، المفتاح للسيد، شرح مجمع المصنف، شرح المفتاح لسعد الدين، شرح المجمع، صدر الشريعة، شرح الوقاية، يعقوب باشا، توفيق وقاية، القدوري، درر الغرر، القدوري نسخة أخرى، حاشية المطول لحسن جلبي، شرح المواقف، شرح المنار، مختصر التلخيص، شرح اللباب، يوسف وزليخة لابن كمال باشا، شرح المطالع، تصورات سعد الدين، كليات سلمان، شرح أبيات إيضاح، شرح المقاصد، حاشية صدر الشريعة، كلستان، ديوان جلال، خسرو وشرين، شرح الاختيار، صدر الشريعة، حاشية المطالع، المعجز، شرح المفتاح، منشآت خوجه،

وجود الكتب بين تركات التجار وأصحاب المهن والنساء والعبيد والجواري، وليس بين تركات منسوبي العلمية وحدهم، كان دليلاً واضحا على أن الكتاب كانت له قيمة بارزة

حاشية جلبي لمتوسط. حاشية كوجوك لسعد الدين. حاشية مطول. خطيب زاده. شافية في شرح الكافية. السيد عبد الله. حاشية شرح المواقف لحسن. متن المفتاح. معين الحكام. كتاب الأنوار للمذهب الشافعي. علي قوشي. المطول. المتوسط. حاشية التجريد. شرح المفتاح للعلامة. البداية. شرح المواقف. الكافية. الأنعام مع أوراد. الزيج. شرح المصابيح. تعبير نامه. ترّسل. متن المجمع. متن المقاصد. شرح التجريد. تلخيص المفتاح. حاشية شرح المفتاح للمؤذني. التلخيص. التلويح. شرح العقائد. المفصل. حاشية الأنوار على مذهب الشافعي. السيد عبد الله أصفهاني. هوسنامه جعفر. ديوان أحمد باشا. إسكندرنامه. ديوان نجاتي. صحاح عجم. تذكرة الأولياء لسنان باشا. ديوان حافظ. شرح ديباجة شرح المطالع. التبصرة في علم الهيئة. زيادات قاضي خان. غزليات الشعراء. شرح المواقف. شرح متن ابن الحاجب. خسرو وشرين. حسام قطعي. حاشية شرح المواقف لخوجه زاده. رسالة في الهيئة. الكتاب المنظوم. باره، صحاح جوهري. الكنز. أوراق حاشية الكشاف للسيد. مواعظ باللغة الفارسية. باره، شرح الجامع الكبير. متن المواقف لعضد الدين. ديوان كمال. رسالة علي قوشجي في علم الهيئة. حاشية المطالع. شرح قطب الدين. مع حاشية كوجوك. المصباح مع شرح ديباجه. كتاب في الهيئة. شرح عزي للزنجاني. كتاب الأخلاق. رسالة في التصوف. حاشية شرح المطالع لمولانا أحمد. طالع المولد. المصابيح مع معرب الكافية. الرسائل. ديوان جامي. مصابيح سنان باشا. المقصود.

وكما اتضح من كتب المدرس المذكور تلك. وتبين من القائمة التي سردت قبل ذلك. فإن عالم دين في ذلك الزمان إضافة إلى اطلاعه الكامل على المؤلفات الدينية. فإنه كان يقرأ أيضاً كتب الأدب والتاريخ والفلسفة. والفلك والرياضيات والطب. وغير ذلك من العلوم العقلية والبحتة. وفي مختلف التخصصات العلمية. وإذا قسمنا الكتب إلى قسمين. قسم يقرؤها عوام الناس. والقسم الثاني خواصهم. فقد اتضح أن القسمين كانا مقروءين من لدن العلماء.

> لم تكن المطبعة قد دخلت في القرن السادس عشر الميلادي إلى الدولة العثمانية؛ ولذلك كانت أسعار الكتب غالية. وعلى الرغم من ذلك فقد تأكد لنا أن كل فئات المجتمع في بورصا ــ تقريباً ــ كانت تقرأ الكتاب

أصحاب المهن

من الحقائق المعلومة عن مجتمع بورصا في القرن السادس عشر الميلادي. أن قسماً كبيراً منه كان يعمل في صناعة النسيج. وفي التجارة. ووجود ألف ورشة للحرير في بورصا في ذلك العهد دليل واضح على ذلك. وهذا الوضع انعكس على سجلات التركة أيضاً.

وعلى الرغم من تسجيل مهن أصحاب التركة بين الفترة والأخرى في سجلات التركة. فإن مهن معظمهم لم تذكر. إلا أنه بالنظر إلى خصائص التركة التي أورثها أصحابها المتوفون عرف عنهم أنهم كانوا تجاراً؛ وذلك من خلال تلك التركات: التي يوجد فيها كمية كبيرة من الأقمشة. وامتلاكهم الكثير من العبيد والجواري.

وقد ذكر أيضاً في سجلات التركة لفظ «خوجه» كثيراً. ومعلوم أن هذا اللفظ يطلق على المنتسبين إلى إحدى الفئات الدينية. وفي العهد العثماني الأول كان

هذا اللفظ يطلق على التاجر الكبير، والمشرف العام، وأصحاب الأعمال. وانطلاقاً من الأسماء التي استخدمت معها لفظ الخوجه، وبالنظر إلى خصائص التركة التي أورثها الشخص، يمكن القول إن ١٠٣ أشخاص من أصحاب الكتب الـ ٢٤٨ في القرن السادس عشر الميلادي، كانوا من أصحاب المهن.

والكتب التي امتلكها أصحاب المهن، كانت تتكون من: القرآن الكريم، والمحمدية، والمولد، والقدوري، والأنعام، والأوراد، وغيرها من الكتب التي كان يتداولها (عوام) الناس، والتي كانت ترمي إلى تهذيب أخلاقياتهم، وتخاطب نفوسهم وحياتهم الداخلية. ومع ذلك فقد وجد بعض من كان يملك مؤلفات في مختلف التخصصات العلمية.

والحقيقة ان علاقات أصحاب المهن مع تلك الكتب، تعطينا فكرة إيجابية عنهم في تجاراتهم. ومن المعلوم أن جمعيات الأخية (الفتوة) كانت حتى ذلك الوقت موجودة، وكان هؤلاء الأخيون يهتمون بالتربية الأخلاقية كثيراً.

النساء

السجلات التي درسناها، أوردت عدداً كبيراً من النساء من صاحبات الكتب. وقد ظهر أن معظم النساء كن يمتلكن القرآن الكريم، وبعضهن كن يمتلكن المحمدية، وتذكرة الأولياء، والحمايل، والمولد، والمثنوي، ومنهن من ظهر أمام اسمها أنها صاحبة كتاب فقط.

ويمكننا القول: إن المرأة في بورصا في القرن السادس عشر الميلادي كانت تمتلك - على أقل تقدير - القرآن الكريم، وبعض الكتب الدينية والأخلاقية، التي كانت تحتاج إليها في حياتها اليومية.

العبيد المعتقون والجواري المعتقات

كان مجتمع بورصا في القرن السادس عشر الميلادي، ولا سيما أصحاب المهن، يستخدمون العبيد والجواري في أعمالهم. ويتضح ذلك من وجود عدد كبير من العبيد والجواري من بين تركة التجار. وكان العبيد والجواري المعتقون يحصلون على حرياتهم من خلال مكاتبة بينهم وبين أسيادهم بعد العمل معهم مدة من الزمن، فيصبحون بعد فترة أصحاب العمل، ووجود إشارة «معتق» و«عبد معتق، ومعتقة» و«جارية معتقة» يدل على ذلك. ويمكننا القول: إن من كان اسم ابيه عبد الله، كان إما «معتقاً» أو «معتقة».

وقد أعتقت رقاب الآلاف من العبيد في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، وفي الوقت الذي أسلم ٩٠٪ من هؤلاء العبيد المعتقين، فقد بقي ١٠٪ منهم على دينهم القديم.

والكتاب الوحيد الذي كان يملكه العبد المعتق أو الجارية هو المصحف الشريف، ومع ذلك فقد وجدت نسخ من المحمدية والحمايل من بين تركة هؤلاء، مما يدل على أنهم كانوا يقرؤونها.

وقد تبين لنا ان فترة الدراسة قد اشتملت على كتب بعض المؤلفين، وكانت تقرأ أكثر من غيرها، وبناء على أن قسماً من تلك الكتب كانت تتعلق بالمقررات الدراسية.

ولم تكن المطبعة قد دخلت في القرن السادس عشر الميلادي إلى الدولة العثمانية؛ ولذلك كانت أسعار الكتب غالية، وعلى الرغم من ذلك فقد تأكد لنا أن كل فئات المجتمع في بورصا - تقريباً - كانت تقرأ الكتاب

وقسماً مهما اخر منها كانت تستجيب لمطالب الناس، وتخاطب حياتهم الداخلية. فيمكن القول إنها كانت تقرأ كثيرا. والمؤلفون الذين كانت كتبهم تقرأ بكثرة، هم الموجهون للمجتمع بأفكارهم. ويساهمون كثيراً في تشكيل الاعتقاد والفكر والأفعال لهؤلاء الناس.

ولم تكن المطبعة قد دخلت في القرن السادس عشر الميلادي إلى الدولة العثمانية؛ ولذلك كانت أسعار الكتب غالية. وعلى الرغم من ذلك فقد تأكد لنا أن كل فئات المجتمع في بورصا - تقريباً - كانت تقرأ الكتاب. ووجود الكتب بين تركات التجار وأصحاب المهن والنساء والعبيد والجواري، وليس بين تركات منسوبي العلمية وحدهم، كان دليلاً واضحاً على أن الكتاب كانت له قيمة بارزة في حياة المجتمع البورصوي في القرن السادس عشر الميلادي. وهذه النقطة بالذات لافتة للنظر.



فيلبي وبنات سبأ

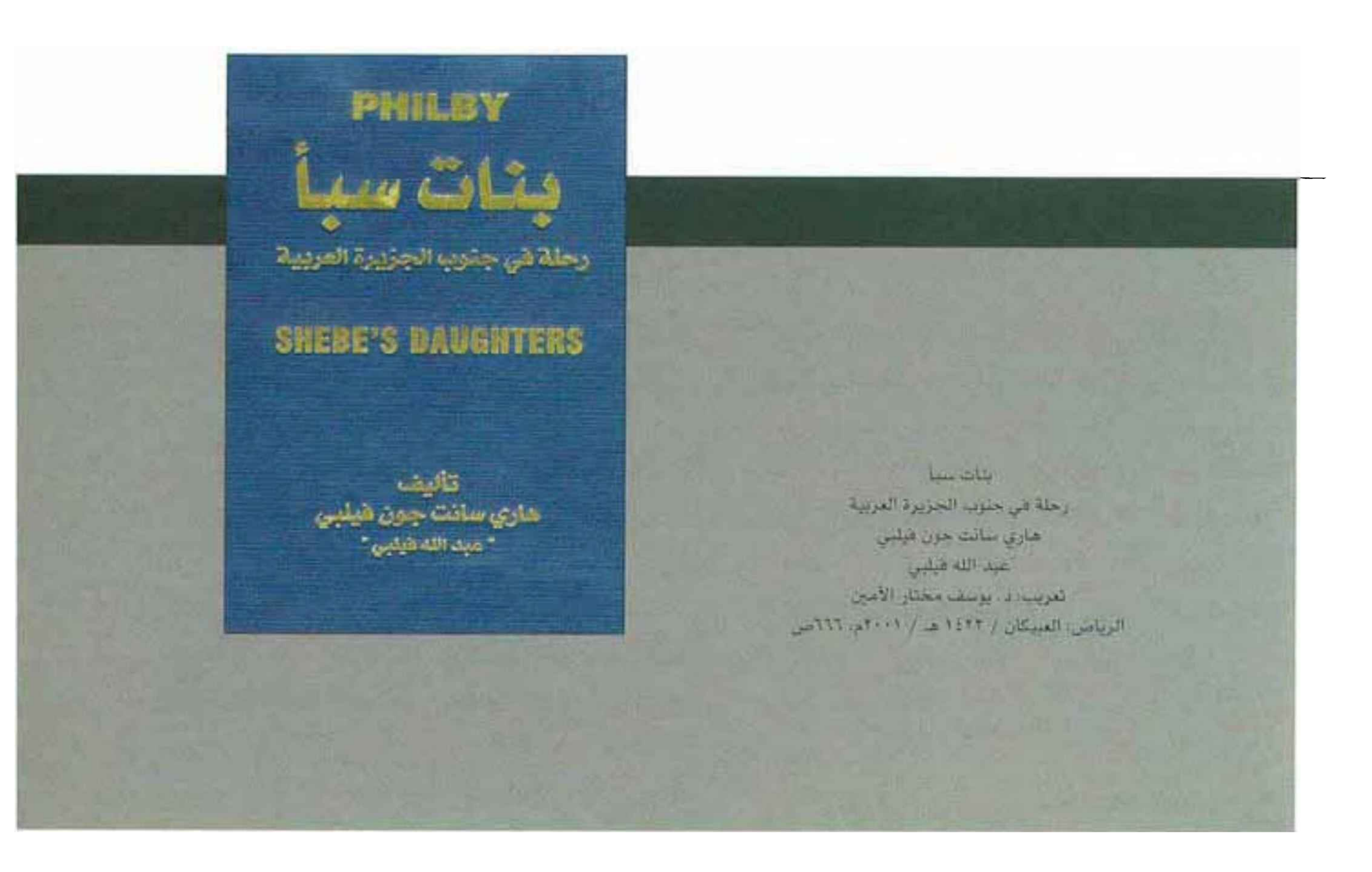
يوسف بن عبدالرحمن الذكير

الرياض ـ السعودية

يقينًا، ما جال مستكشف، ولا كتب مستشرق، قدر ما جال، هاري سانت جون فيلْبي (الحاج عبدالله فيلْبي) في جزيرة العرب، وكتب عنها، تلك حقيقة يعترف، ويشهد بها كبار المؤرخين الغربيين المهتمين بتاريخ الجزيرة العربية، من أمثال، الدكتور يعقوب جولد بيرج في دراسة بعنوان: «فيلْبي مصدرًا لتاريخ المملكة العربية السعودية في أوائل القرن العشرين: دراسة نقدية»[١]، والمؤرخ الأمريكي جورج رنتز في بحث بعنوان: «فيلْبي مؤرخًا للمملكة العربية السعودية»[٢]، والدكتور روبن بدْول في فصل من كتابه عن الرحالة الغربيين في جزيرة العرب خصصه له[٣]، والدكتور نورتون المحاضر في جامعة درهام البريطانية في عرض لكتاب[٤]، بعنوان: «فيلْبي: رجل الجزيرة العربية»، كما جاء في عرض موجز رائع للدكتور عبدالله الصالح العثيمين، خصصه لحياة فيلْبي ومؤلفاته، في مقدمة ترجمته لكتاب «بعثة إلى نجد»[٥].

فيلْبي: مؤلفاته ومقالاته

أما ما كتب عنه من مؤلفات ومقالات، فهي قد لا تجارى: فإن كان كتاب «فيلْبي جزيرة العرب» لمؤلفته أليزابث مونرو[٦]، الذي أشاد به الدكتور العثيمين، واعتمد عليه في مقدمته أعلاه، عادًا إياه، أعظم دراسة علمية نشرت عن فيلْبي اللغة الإنجليزية، فإن ما ناله من تأليف وإشادة وبحث باللغة العربية لا يقل قيمة وغزارة كُتُب، قد يكون من أهمها: «عبدالله فيلْبي: قطعة من تاريخ العرب الحديث»[٧]، الذي يكتسب أهميته لا من خلال ما بذل فيه مؤلفه خيري حماد من جهد في تتبع مراحل حياته، وأوجه نشاطه، محللاً ومعلقًا فحسب، ولا في عرض آراء المعجبين والمشككين بأنشطته وأهدافه على حد سواء، بل بالمقابلة التي أجراها معه قبيل وفاته عام ١٩٦٠م في بيروت، والتي أجاب فيها بصراحة عن أسئلة المؤلف الصريحة، بكل مأثير عنه، سواء في حقيقة اعتناقه وتمسكه بالإسلام، أو في مواقفه وأدواره



السياسية في عدد من القضايا الحساسة !

قضايا حساسة. قد يكون من أهمها دوره في قضية فلسطين. وحقيقة علاقته بالملك عبدالعزيز (رحمه الله) طوال ما يقرب من ٤٠ عاما. تلك القضايا. التي لم تغب عن مؤلفات ثقافي المؤرخين السعوديين. ممن عاصروا وعايشوا. بل وكانوا من المقربين ممن خدموا واطّلعوا عن قرب على سيرة الملك الخالد عبدالعزيز آل سعود وسياسته. مؤسس المملكة العربية السعودية وموحدها من امثال الأستاذ خير الدين الزركلي. والشيخ محمد المانع.

فإن اتسم رأي الأخير بالسلبية تجاهه إلى حد التشكيك لا في دوافع إسلامه. بل في احتمال كونه عميلاً مزدوجًا كابنه الشهير (كيم). وإن لم يشكك بإخلاصه للملك عبدالعزيز. أو طمعه بالإثراء عن طريق علاقاته وموقعه. كما جاء في مؤلفه المترجم «...». سلبية لم تكن وليدة لقائهما الاول   سب. الذي لم يتسم بالنجاح. بعدما حاول فيلبي اختبار مدى تمكن المانع من اللغة الإنجليزية. فافترقا أبعد ما يكونان عن صديقين. على حدّ تعبير الشيخ المانع. ثم زاده نفورًا امتناع فيلبي باعتذاره عن تزويده بما طلبه منه من كتب إنجليزية. وربما تحوّل إلى نوع من الكراهية. نتيجة ما لمسه منه من استعلاء وتعجرف. أشار إليها عدد من المؤرخين الغربيين. لعل أفضل ما يعكسه ما روى عنه. حين سأله عن رأيه في كتاب أرسله له أخاه. بعنوان «الكون الغامض». فما كان من فيلبي إلا أن ردّ بازدراء وتكبّر لا يخفى. بقوله: «لا تهتم به. فإنك بالتأكيد لن تفهمه !...». فلا عجب إن شكك بنواياه وأهدافه ودوافعه.

أما الزركلي فربما كان أكثر موضوعية وحيادية. سواء عن مدى تورط فيلبي في قضية فلسطين. بعد اجتماعه مع زعيم الصهيونية العالمية حاييم وايزمن بلندن في ٢٨ سبتمبر/أيلول ١٩٣٩م. وغضب الملك عبدالعزيز الشديد. حين نقل إليه فيلبي عرضه بمنحه (٢٠ مليون جنيه إسترليني) مقابل موافقته على إعطاء فلسطين

لليهود (٩). أما مدى علاقة فيلبي بالملك عبدالعزيز وموقعه منه فيحددها بدقة وتفصيل بأنه كان صديقًا من حاشية الملك عبدالعزيز ولم يتمتع قط بصفة مستشار رسمي له. فمع أن الدولة تكفلت بإيجار بيته مصروفاته إلاّ أنه لم يكن له أبدًا مرتب أو حتى مكافأة سنوية (الشرهات). بل ونشرت الصحف الإنجليزية بيانًا سعوديًا رسميًا ينفي أن يكون فيلبي متحدثًا باسم الحكومة السعودية أو معبرًا عن آرائها. وحتى ان اسمه لم يرد ضمن الوفد الرسمي المرافق للملك عبدالعزيز في زيارته لمصر. على الرغم من وجوده ضمن الوفد. في حين موقعه صديقًا ومستشارًا. لم يكن يتعدى ما يختار الملك استشارته من أمور. ولعل خير ما يوضح ذلك قوله: «لاحظت أكثر من مرة في مجالس الملك عبدالعزيز ان الملك يكون مسترسلاً في الكلام. ويلمح عن بعد «غترة» فيلبي داخلاً. فلا يلبث أن يحول موضوع الحديث بلباقة. من دون تردد أو تلعثم أو صمت. إلى موضوع أخر مما يجوز أن يستمع إليه فيلبي» (١٠).

رحالة ومستكشف

إلا أن ما ذكر عن علاقته بالملك عبدالعزيز من حساسية وتحجيم. وما أحاط بأدوارد السياسية من غموض وتشكيك. لا يحط مطلقًا. أو يقلل من دورد بوصفه رحالة ومستكشفًا للجزيرة العربية. قد لا يجانبها صواب عبارة كتبها ابنه الجاسوس الشهير (كيم فيلبي) على شاهدة قبره في بيروت تقول: «هذا قبر أعظم مكتشفي جزيرة العرب» (١١).

فهو لم يتجسم الترحال في أقسى الظروف. جوّابًا لجبال ووديان. قفارًا ونجود. وصحارى مأهولة وخالية. بكل ما فيها من معاناة جوع. وقسوة عواطف. وتعرض لمخاطر سلب وقتل وطرد فقط. بل كان من أغزر من كتب عن رحلاته ومكتشفاته. فإضافة إلى ما اشتهر عنه من كتابه ملاحظات في دفتر لا يفارقه. يسجل فيه يومياته أولاً بأول. فبلغ ما تركه من كتابات آلاف الصفحات. فقد ألّف عشرات الكتب. بلغ ما نشر منها عن الجريرة العربية فقط خمسة عشر كتابًا (١٢). تعد من أوفى المصادر. على الرغم مما اكتنفها من هنات وأخطاء. ربما كان من أواخر من أشار إليها واستعرضها علاّمة الجزيرة الراحل الشيخ



آثار احمر الرحم في وادي العصاعص

حمد الجاسر في ثلاث مقالات (١٣). وربما كان اخر من كتب عن بداياته مراسلاً صحفيًا. الكاتب السعودي د. عبدالرحمن الشبيلي في بحث نشر له مؤخرًا (١٤). ويكفي فيلبي شهادة بدوره وفضله ما ذكره علاّمة الجزيرة عنه بقوله: «الحقيقة التي يجب أن تقال هي أن فيلبي اسدى للجزيرة العربية يدًا قصر عن مدها إليها من سواه». وقد



الملك عبدالعزيز - رحمه الله

لا يضاهيه وسام تقدير وثناء. ما أضافة بقوله عنه: «إن القارئ ينظر إلى الرجل من خلال ذلك. نظرة إكبار وتقدير، حين يحس ويدرك ما تكبده من الصعاب، في محاولة التغلغل لكي يقدم وصفاً صادقاً أو مطابقاً - ما امكن - للحقيقة في شدّة تقصّيه وتعمقه في البحث، مستهيناً بكل ما يعترضه من مصاعب»...

بنات سبأ وجوانب تميز

تلك الجوانب المتباينة من الآراء في تقديم شخصيه الشيخ عبدالله فيلبي (هاري سانت جون فيلبي) وانجازاته قد لا يجلّيها مؤلّف آخر من مؤلفاته المتعدده مثلما بيّنها كتابه «بنات سبأ». فالكتاب لا يبرز فقط ما يحيط أهدافه السياسية من غموض، ويلقي الضوء على نوعية العلاقة مع الملك عبدالعزيز من خلال نوعية ما يكلفه به من مهام، أو حتى مدى ما يتكبده من صعاب، وما يتحمله من معاناة في رحلاته الاستكشافية فحسب، وإنما يميط اللثام عن جوانب أخرى لا تقل أهمية. جوانب لا تعكس القيمة الحقيقية لكتاباته ومؤلفاته ومدى ما تتميز به من دقّة وتفصيل، سواء كانت معلومات تاريخية أو بيئية أو جغرافيه فقط، بل وتبرز جوانب من شخصيته، إضافة إلى ما تتمتع به كتاباته من جزالة في الأسلوب، وبلاغة في التعبير !..

الميزة الأولى للكتاب، قد تنبع من كونه قد جاء كواسطة العقد للفترة الزمنية الطويلة، التي قضاها فيلبي في الجزيرة العربية، فقد قام برحلته، موضوع الكتاب، في منتصف عام ١٩٣٦م، لتستغرق ٩ أشهر متخطية الخمسة الأشهر المخطط لها أصلاً، وبذلك تكون قد انتهت عام ١٩٣٧م، وهي تمثل بالضبط منتصف الفترة الزمنية الممتدة



قصر قديم في وادي حضرموت

(٤٠) سنة ما بين عامي (١٩١٧م و١٩٥٧م). وبذلك تأتي في ذروة توقّده وعطائه: توقد وعطاء بيديه ما يزخر به الكتاب من معلومات واكتشافات. وخاصة فيما يتعلق بالجوانب الجغرافية والتاريخية والبيئية والتركيبة السكانية. شعبا وحكاما. وقبائل وصراعات !...

الجانب الجغرافي. هو . بلا شك . الأكثر استئثارا بصفحات الكتاب. فإضافة إلى استحواذه على العنوان «بنات سبأ». الذي يعني به مدن حضرموت وقراها. كما صرح بقوله: «بالإضافة إلى شبوه. ستكون أرضي سبأ قمة موضوع هذا الكتاب. فسوف أرى في الحقيقة بنات سبأ وأمهم مدينة مأرب نفسها». فقد اكتظّ الكتاب بأسماء ما لا يعَدّ ولا يُحصى من المعالم الجغرافية ... لم يدع بئرا أو جبلا. تلاّ أو هضبة بل حتى صخرة. إلا وحددها اسما ووقعها رسما على خريطة مفصلة (ملحقة بالكتاب). تبين خط سيره. وتعدّ من أولى الخرائط التفصيلية الحديثة الموثقة للمنطقة. فلا عجب إن إستولى ملحق كشاف الأماكن على (٥١) صفحة (١٧) !! .. إلا أن ذلك التفصيل والإسهاب. الذي قد يصل إلى حدّ الإملال في بعض فصول الكتاب. يغطيه ويتفوق عليه ما يغلب على الكتاب من صفحات تلو صفحات ملؤة بالإثاره وجديره بالإعجاب! ..

لم يتجسم الترحال في أقسى الظروف. جوّابا لجبال ووديان. قفارًا ونجود. وصحارى مأهولة وخالية. بكل ما فيها من معاناة جوع. وقسوة عواطف. وتعرض لمخاطر سلب وقتل وطرد فقط. بل كان من أغزر من كتب عن رحلاته ومكتشفاته

شبوة .. بلدة الأطلال والأساطير ! ..

إن كان لكل مدينة أو بلدة، طابع وسمة تتباين ما بين التجاري والإداري والبحري فلمدينة (شبوة)، أو ما بقي منها، سمة فريدة، ومذاق خاص ! .. فلقد تربعت (شبوة) دون غيرها على عرش المخيال الأوربي .. عرش تباينت أطياف مقعده ومسانده، ما بين أساطير توراتيه عن الملكة بلقيس، ومسميات إغريقية ورومانية، وخيال رحالين ومستكشفين ! .. فلا عجب إن تسابق الرحالون إلى زيارتها، وإكتشاف معالمها، بل وتنافسوا إلى حدّ وضع العراقيل بعضهم في وجه بعض، كي لا يسبقوهم لها، كما يحكي لنا فيلبي بأسلوبه الشائق. ولا غرابة في أن تكون هدفه الأول ومبتغاه، أو أن يخصص لها فصل كامل: زادت صفحاته على (٥٥ صفحة).

صال وجال فيلْبي في أصل اسمها، فقال: أنه وجد في سفر التكوين مسميين لها هما سبأ Seba وشبأ She-ba، ولعل في ذلك دليلاً على ما نال التوراة من تحريف.

أما قدامى المؤرخين من الرومان والإغريق، فقد اختلفوا في تسميتها ما بين سابوتا Sabota وساباتا Saba-ta وساباثا Sabatha، في حين هو يرجع اسمها (وربما كان هو الأصوب والأقرب إلى المنطق إلى اشتقاق من الكلمة العربية شب Shabb، التي تعني الشب أو الملح، الذي

"بنات سبأ"، الكتاب لا يبرز فقط ما يحيط أهدافه السياسية من غموض، وإنما يميط اللثام عن جوانب أخرى لا تقل أهمية، جوانب من شخصيته، إضافة إلى ما تتمتع به كتاباته من جزالة في الأسلوب، وبلاغة في التعبير

اشتهرت المنطقة بمناجمه، واعتمد اقتصادها منذ القدم على استخراجه، والمتاجرة به وتصديره، فعرفت المنطقة، وسميت حاضرتها به.

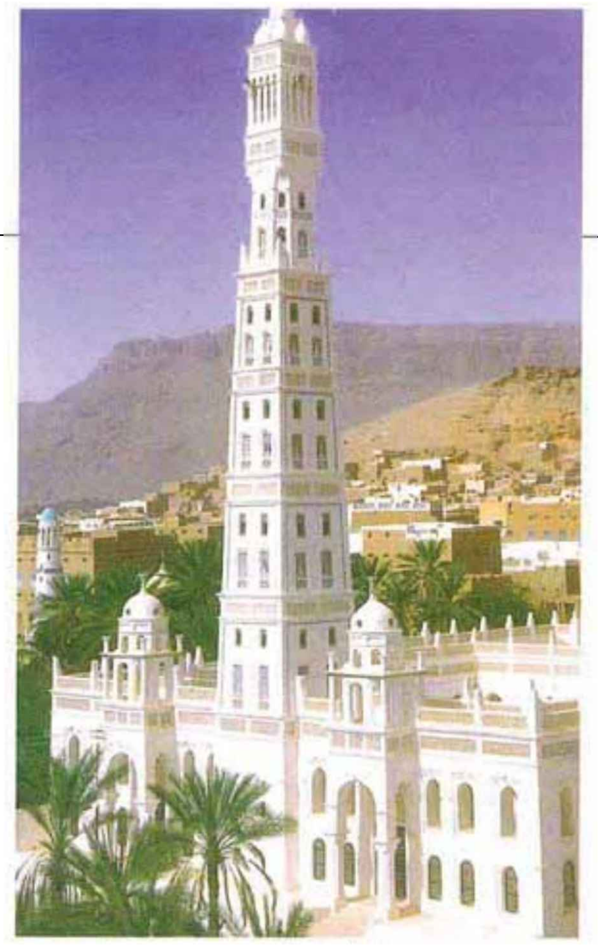
أما ما شاع عنها في الغرب كعاصمة للحميريين بمعابدها الستين، ومخاطر الوصول إليها، حين كتب الرحالة البافاري (مقاطعة ألمانية)، أدولف فون ريد، بعدما زارها عام ١٨٤٣م بقوله: إنه رمى بقلة من نحاس وزنها نصف كيلو لأبعد مسافة فيما يحيطها من رمال، فلم تمض خمس دقائق، حتى ابتلعتها مع طرف الحبل الذي تربط به الجله لرميها ..! فقد فنّد فيلْبي كل تلك الإشاعات والادّعاءات بأسلوبه العلمي الرصين، فذكر أنه سار على تلك الرمال بسيارتين محملتين بأحمال وأثقال دون أن يتعرض حتى للتغريز. أما المعابد الستون، فلم يجد سوى بقايا أطلال لمعبد واحد، سماه (معبد عشتارت) ...!

لا يكتفي فيلْبي بالحديث عن تاريخ (شبوة) وماضيها، بل ويمضي في وصف حاضرها بأسلوب جذاب مثير. فيصف ما لقيه من ترحاب وحرارة استقبال، وكيف وقف الأهالي في صف طويل، وكل واحد منهم يسلم عليه وعلى مرافقيه بطريقة مثيرة، حيث يضع راحة اليد على الراحة والأصابع محنية باستدارة، بدلاً من قبضة التسليم، ويقبلون الهواء بين الشخصين باستنشاق مسموع الزفير وكل تلك المراسم تجري في صمت مهيب، بعكس ما يسبقه عادة من ضوضاء، وضجيج في استقبال الضيوف بإطلاق رصاص كثيف، بعدما أرسل مسبقًا طالبًا إعفاء من ذلك الاستقبال، خشية رصاصة طائشة تصيبه ..! كما يتحدث عن عادتهم الغريبة في تفضيل الإشارات على الكلمات في حديثهم، فحين دعوه إلى وليمة لم ينطق الداعي سوى بكلمة «لحم» مشيرًا إلى القرية، ثم يسحب إصبعه على حنجرته، ليعني بذلك أن الأغنام ستذبح في القرية، على شرف وليمة عشاء

استضافته. أما حين سئل عن المسافة إلى حضرموت، فقد رفع أحدهم أربع أصابع منتصبة والخامسة منثنية، مما يعني أنها على مسيرة أربعة أيام ونصف اليوم ..! ولكن قد يكون تفسير ذلك اعتقاد أهل القرية، أن فيلبي قد يصعب فهمه للكلمات العربية لملامحه وسحنته الأوربية، فلجؤوا للإشارات تفاديًا لإحراجه.

النساء أيضًا لم يغبن عن نظر فيلبي ووصفه، فتراه يصف ما يرتدين، وما يتحملن من أعباء ومسؤوليات وخاصة من التقى منهن، وهن يسقين الإبل في عدد من الآبار، وهو في طريقه أو في ربوع منطقة شبوة فيشيده ويعجب بجرأتهن وجمالهن الأخاذ، فقد كن كاشفات الوجوه كمعظم البدو الرحل في أرض الجزيرة العربية، ويحكي عن إبائهن واعتزازهن حكاية معبرة، فقد عرض أحد مرافقيه على إحدى جميلاتهن، مبلغ ٤٠٠ ريال مهرا لها، فرفضت بإباء، على الرغم من ضخامته، مقارنة بأجره مرافقيه من الأدلاء التي لا تتعدى ريالاً واحدا في اليوم كحد أقصى، بل إن أكثرهم كان يتقاضى نصف ريال فقط ..!

أما ما يسود المنطقة من فوضى وصراعات، فقد وصفه أبلغ وصف، في أن التقاتل لا يحدث تكرارا ومرارا ما بين عشيرتين تنتميان إلى قبيلة واحدة، بل وصلت العداوات حتى بين أبناء العمومة من قرية واحدة، وفي حين أن السكان يرفضون الانصياع، بل ويقاومون هيمنة الأجانب الإنجليز، حين وضعوا أكواما من الحجارة وسط سهل سبق أن هبطت عليه طائرات إنجليزية من قيادتهم في عدن، فقد تقاطر على زيارته رؤساء عشائر وحكام قرى، لعله يقنع (ابن سعود) للقدوم إلى بلادهم وفرض الأمن والسلام، كما فرضه كما سمعوا في كل المناطق الخاضعة لنفوذه من الجزيرة العربية، فكان رده الدائم بأن (ابن سعود) ليست أطماع بفرض نفوذه عنوة على بلادهم، ولكنه مستعد لنقل رسالة أو إرسال موفد منهم



جامع المحضار تريم حضرموت

لمقابلة الملك، وهو ما يضفي ظلالا سياسية على رحلته، يفضل تأجيل بحثها إلى حين استعراض الأهداف السياسية (إن وجدت) لرحلته إلى حضرموت ..!

حضرموت .. ونزاعات الموانئ والبساتين !

حضرموت، كانت، وفي الغالب، لا تزال، بلادا يغمرها

لا يكتفي فيلبي بالحديث عن تاريخ (شبوة) وماضيها، بل ويمضي في وصف حاضرها بأسلوب جذاب مثير، فيصف ما لقيه من ترحاب وحرارة استقبال، وكيف وقف الأهالي في صف طويل، وكل واحد منهم يسلم عليه وعلى مرافقيه بطريقة مثيرة

الغموض. ويلفّها الضباب. لا بالنسبة إلى الأوربيين فحسب. بل إلى الغالبية العظمى من العرب. ذلك ما يسبغ على كتاب «بنات سبأ» أهميته الكبرى. فهو سياحة شائقة بين قلاع التاريخ. وحصون الجغرافيا. وقصور الحاضر المعاصر بكل ما تخبئه من مفاجآت..!

أولى المفاجآت أتت من قوله وهو يجتاز (قمران وكثر) التي يطلق عليها اسم «بوابات حضرموت»: «ها نحن قد عدنا إلى الحضارة ثانية. بعد ثلاثة أسابيع منذ أن تركنا الراحة والأمان في نجران». ولكن سرعان ما يكتشف القارئ أن فيلْبي لم يكن مغاليًا ولا مبالغًا في قوله! .. فالمزارع تسقى بالمضخات. والمنازل منارة بالكهرباء. ومجهزة بأحواض السباحة. بل حتى القلعة الكالحة المظهر. الحضرمية الطراز. التي يستضيفه بها الحاكم القعيطي. الشيخ مبارك النهدي. الكئيبة المظهر. تثير إعجابه من الداخل. الغرف والممرات أرضيتها من الأسمنت. والحمامات نظيفة جدا. وبنات الشيخ



استقبال محسنة - في المخيم في وادي الحاسر

الصغيرات بملابسهن الزاهية المجرجرة الذيول. وشعرهن المصفف. وضيوفه من عامة الناس بملابس جميلة تتباين بين إزار ملون وصديرية بأزرار لامعة. وبدلات وأثاث من الهند وجاوة وسنغافورة ... ولكن ما إن يغادر قلعة مضيفه حتى يحاصره ضباب كثيف .. حقيقة وكناية !...

ضباب حقيقي سرعان ما ينجلي. أما الثاني منه. فانقشاعه متعة يسديها إلى القارئ. الضياء الكشاف للرحالة المستكشف فيلْبي ..! فالضباب المحيط بالمعالم الجغرافية. والجذور التاريخية لأفول وبزوغ نفوذ رجال وسلاطين حضرموت. يسلط عليها فيلبي شعاعًا اضافيًا بأسلوب شائق. ترسم للقارئ صورة واضحة الخطوط. جليّة التفاصيل. فهو لا يسرد أسماء القبائل والعشائر والأفخاذ والبطون لكل قرية يمر بها. بل يحدد للقارئ وهو يتنقل به ما بين «شبام». و«تريم». و«سينون» من مدن الداخل و«الشحر». و«المكلا» من مرافئ الساحل. أهمية كل منها تجاريًا وتاريخيًا ودينيًا وإداريًا. ومَنْ تعاقب على حكمها ولمن آل حاضرها. ويفصل تاريخ السلاطين من الحكم البرتغالي. إلى أفول آل الكسادي وبزوغ سلطنات آل القعيطي والكثيري والعوالق. محددا الخلافات. ومفصلاً المعاهدات التي تمت باتفاق أو بإكراه من الإمبراطورية البريطانية المهيمنة على عدن آنذاك.

تفاصيل يخفف من جفافها السياسي. ما ينثره من وصف جميل لفخامة القصور. وبديع الحدائق. التي يقول عن إحداها: إنها من أروع ما شهده في كل أرجاء الجزيرة العربية لما يحتويه من أشجار فاكهة متنوعة بين تين وموز وباباي وسفرجل هندي وجوافة وكروم ورمان وأنواع لم يستطع معرفتها وأشجار زينة متباينة ما بين جوز الهند والنيم والقطن والتمر هندي. باتت ملاذًا وجنة لطيور مختلفة من الحمام والبلابل وطيور ماء وأخرى مغردة حمراء. وما بينها من محاصيل ألوان



يوسف سيد عبد الرحمن آل كاف مع أعضاء البعثة العلمية المصرية

الخضراوات مسبغا جوا من عبق الأصالة من خلال ما يسرده عن اخلاص واصالهم رجالها لا في قيام الأثرياء منهم برصف الطرق بين المدن على نفقتهم الخاصة فحسب، بل وقيامهم بجلب بعثات علمية عالية التخصص في علوم الأنثروبولجيا (تاريخ سلالات الإنسان) و الآثار والنباتات والجيولوجيا، اضافة الى المختصين والمهندسين للنهوض ببلادهم، بل يفصل انسابهم بدقة بلغت، تحديد وتعداد (٣٥) جيلا لاحدهم، وصولا الى علي بن ابي طالب، رضي الله عنه) !

الجوانب السياسية والاقتصادية

الغموض لا يلف طبيعة بلاد حضرموت فحسب، بل وينساب ليحيط بطبيعة الأهداف السياسية لرحلة فيلْبي إلى جنوب الجزيرة العربية. ففي بدايتها يذكر ان الملك عبدالعزيز فاتحه للقيام برحلة الى نجران. وفي اليوم التالي لوصوله إلى الرياض قادما من لندن بصحبة زوجته بعد رحلة بالسيارة عبر ثلاث قارات .زار بعد عبوره أوربا، ليبيا في افريقية وبلاد الانضول في اسيا، ثم دمشق والجوف وحائل وبريدة وصولا الى الرياض.. وكان هدف الملك هو ان يلتقي بعثة مصرية موجودة باليمن لتحديد الحدود الجديدة التي لم يتم وضعها على الخرائط بعد. ولكنه يقول: انه عرض برنامج الرحلة الذي تمت دراسته من المستشارين والموافقة عليه. وقد قرر الملك تمويل الرحلة بالكامل، وحددت اهداف الرحلة رسميا، برسم خريطة الحدود والصيد والاستكشاف!.. وتزداد حلكة الغموض، فيما يذكره عن تمويل الرحلة فتارة يقول: انه رفض أخذ ما يحتاج من نقود خشية توريط الحكومة السعودية في أي مسؤولية محددة عن بعثته، التي يصرح بأن الوصول إلى شبوة واستكشاف بلاد حضرموت كانا مما جال بخاطره سرا. وتارة يقول: ان وزير المالية قدم عرضا سخيا، ليعود قائلا: ان بعد نظري في رفض ما عرضه الملك عليّ من نقود. كان محل مباركة وزارة الخارجية البريطانية !! ليضيف ملمحا ان موافقة الملك على دعمي ماديا كان بمنزلة ملاك يحرسني طوال مغامرة لا يمكن التنبؤ بمجراها! لكن اصراره على ذكر تشوق غالبية من لقيهم من رؤساء عشائر وقبائل على اقبال الملك عبدالعزيز الى بلادهم لفرض الأمن والاستقرار من جهة، ونقده الشديد لاهمال السلطات البريطانية لبلاد حضرموت ، حتى في اغفال استكشافها فضلا عن اقامة ما تحتاج البلاد من خدمات تعليمية وصحية وبنية تحتية من طرق مواصلات، ومراكز اتصالات، إضافة الى ما لقيه من رفض لوجوده في تلك البلاد دون أخذ موافقة السلطات البريطانية، وصل الى حد الطرد، يترك الاجابة عن سؤال الأهداف السياسية للقارئ الذي ان عجز عن قراءتها بين السطور، فلن يعجز عن قراءة ما تعمد فيلْبي من وضعه كعنوان للفصل الأول يقول: «فيلْبي (الحاج عبدالله فيلْبي) خبير الصحراء، ومراقب بريطانيا العظمى قام بزيارة هذه المنطقة بغرض معين، وهو جس نبض الشخصيات المحلية !»..

أما الجانب الاقتصادي، فإضافه الى ما اسهب



فيه من وصف مسهب وتفصيلي لمناجم الملح والفحم واحتمالات وجود النفط. وما ذكر من تقديرات لإيراداتها. وامكانات المنطقة الزراعية الحالية والمستقبلية. فإن أكثر ما نال اهتمامه من تركيز كان إمكانية انشاء طريق بري للسيارات. لا يزيد من عدد الحجاج من مئات إلى آلاف سنويا فحسب. بل ويربط قلب الجزيرة العربية بأطرافها الجنوبية!..

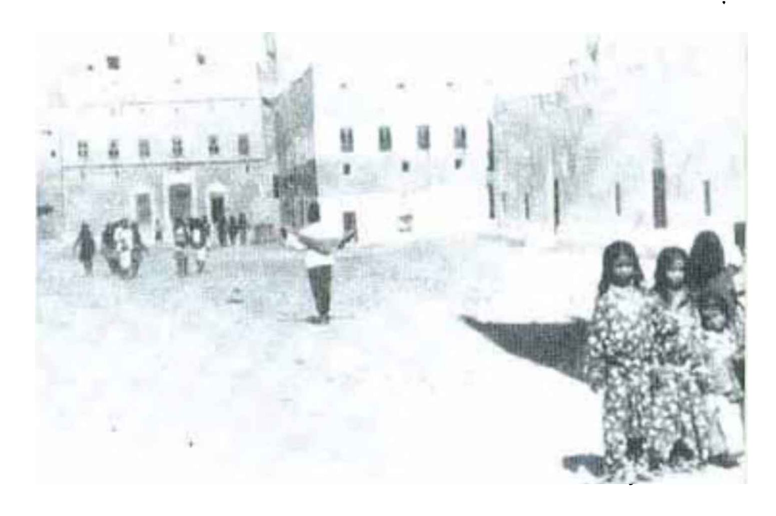
بنات سبأ ... وفيلبي

إن ساد الغموض الأهداف السياسية لرحلة فيلبي. وإن شاب الشك نوايا فيلبي طوال اقامته الطويلة في الجزيرة العربية. فمن دون شك أن كتاب «بنات سبأ» قد ألقى الضوء على مواهبه وشخصيته. بقدر ما ألقى هو الضوء على ملامح بلاد حضرموت وطبيعتها.

فإن أكد ما كان معروفا عنه من دقة ملاحظة واهتمام بالتفاصيل لم تصل إلى حد تعداد وتصنيف كل ما شهده من المعالم البيئية من أنواع الطيور واسمائها والاشجار وفصائلها ورسم للنقوش والكتابات «وإن اخطأ في تحديد بعضها ما بين سبئي ومُسند «...». ومن خلال ما اكتشفه من رسوم ونقوش. وما أرسله من عينات لبعض الطيور المتحف البريطاني والمختصين من علماء الآثار واللغات. ورسخ ما اشتهر عنه من معرفة بعلوم الفلك ومهارة في استخدام أجهزة الرصد من خلال تحديد خطوط الطول والعرض اعتمادا على النجوم في كل مرحلة من مراحل الرحلة. وحرص على التفاصيل لا من خلال تسجيل ملاحظاته أولا بأول فقط. بل وبما حفل به الكتاب من صور فوتوغرافية (٦٣) صورة. ملأت (٤٧) صفحة «...» فإن الكتاب قد أبرز ملامح من مواهبه وشخصيته. قد لا تكون معروفة من قبل!...

اللغة الألمانية. التي تحدث بها. وتفاهم مع المهندس التركي. لم يسبق لأحد من المؤرخين أن ضمها إلى ما يتقنه من لغات فارسية وهندوستانية وبنجابية وأوردية إلى جانب العربية ولغته الإنجليزية الام. أما مدى تمكنه من لغته الإنجليزية الأم. فربما لم يكشف مؤلف سابق له. قدر ما كشف «بنات سبأ» من بلاغة ادبية. كما في تشبيهه لاندماج واديين. كحبيبين التقيا بعد طول فراق. أو وصفه لنهاية واد وسط الرمال. كشيخ أتعبه المسير. فألقى عصا الترحال. أو توقعه لهبوب عاصفة بقوله: هناك عاصفة تختبئ في مكان ما. أمثله من تعابير أدبية لا تحصى. ترصع صفحات «بنات سبأ» ربما كان لتمكن من عربه «...». وللنخبة المختارة من المراجعين والمدققين «...». اليد الطولى في ابراز جمال تلك الصور البلاغية الجميلة.

أما سعة اطلاعه على التاريخ العربي وعمق غوصه في



بنات السلطان علي بن صالح في القطن



مسجد القطن، وادي حضرموت

آدابه. فقد لا يعكسه كتاب أخرله. قدر ما يعكسه «بنات سبأ». حين استشهد في غمار بحثه عن أصل مسمى ميناء «المكلا» لا ببيت شعر لقس بن ساعدة يقول:

وعلى الذي كانت (بموكل) داره

يهب القيان وكل أجرد شاحي

بل وأصل مرفأ (الشحر) إضافة إلى (المُكلاّ) ببيت شعر لشاعر شبه مغمور اسمه (العجاج) من القرن السابع يقول فيه:

رحلت من أقصى بلاد الرحل

من قلل (الشحر) فجنبي (موكل)

فيما يكشف عن جوانب متوارية من شخصيته. ربما حجبها ما اشتهر عنه من إحتمال للصعاب ومجابهته للمخاطر. حين يكشف الكتاب من خلال مواقف متعددة من أنه يتفادى كل مخاطرة غير محسوبة العواقب. كطلبه عدم إطلاق الرصاص تعبيراً عن الترحيب خشية اصابته برصاصة طائشة. أو تعرضه للاغتيال. أو حين ترجل من

سيارته، تاركًا سائقه ليقودها في منحدر حاد مفضلاً النزول على الأقدام خوفًا من تعرضها لحادث انقلاب. كما يبرز مدى شغفه بالجنس الآخر، حين لا يتأخر عن وصف جمال كل من رأى من نساء وطباعهن. ولا يفوّت فرصة التحدث إليهن في أثناء توقفه في عدد من الآبار أو عند خيام في القفار، بل لم يتوان عن دعوة بعضهن للعشاء !.. أما ما يتصف به من حرص على المال، فيصل إلى حد البخل والتقتير، فلا أوضح من اعترافه بأنه حرم رفاقه من وجبة عشاء، وفضل أن ينام على الطوى، لاختلافه مع رعاة غنم على ثمن شاة لم يزد على ريال واحد بين ما طلبوه ما عرض عليهم من ثمن !!..

وختامًا، قد لا يغالى في القول، إن كان قد عدّ كتاب تشارلز داوتي «رحلات في الصحراء العربية» Travels in Arabia Deserta من كلاسيكيات أدب الرحلات، فإن كتاب «بنات سبأ» Shebes Daughters لا يقل عنه بلاغة أو فائدة أومنفعة، لا للمختصين بتاريخ الجزيرة العربية فحسب، بل لكل مشغوف بالتاريخ والأدب يطمح إلى أثراء مكتبته، وتوسيع أفق معرفته.

المراجع

١. مجلة دراسات شرق أوسطية Middle Eastern Studies مجلد ٢١، رقم ٢ ص ص ٢٢٣، ٢٤٣، ١٩٨٥م.
٢. ندوة تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الملك سعود، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، المجلد٢، ص ص٢٥، ٣٥.
٣. الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية . Travelers in Arabia، ص ص ٨٦، ١١٥، تأليف روبن بدول Robir Bidwell، لندن ١٩٧٦م، ترجمة د. عبدالله آدم نصيف، الرياض، ١٤٠٩هـ.
٤. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، العدد الثالث، جمادى الآخرة، ١٣٩٥هـ ص ص ١٥١، ١٥٩
٥. بعثة إلى نجد، ص ص ٤٦، ٦٩، تأليف سانت جون فيلبي، تقرير نشر بغداد عام ١٩١٨م، قدم له وترجمه وعلق عليه د. عبدالله العثيمين، بتوجيه من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٨هـ.
٦. فيلبي جزيرة العرب Philby of Arabia تأليف اليزابث مونرو by: Elizabeth Monroe، لندن، ١٩٧٣م، London 1973.
٧. عبدالله فيلبيك قطعة من تاريخ العرب، تأليف خيري حماد ، بيروت، ١٩٦١م.
٨. توحيد المملكة العربية السعودية، الفصل الثاني عشر، سانت جون فيلبي، والفصل الثالث عشر قصة الزيت، ص ص٢٦٧، ٣٠٩، تأليف محمد المانع عمل
٩ سنوات مترجما في ديوان الملك عبدالعزيز بدءا من شهر مايو ١٩٢٦م، ١٣٤٤هـ، وكتب كتابه أعلاه باللغة الانجليزية، ترجمه د. عبدالله الصالح العثيمين، بتاريخ ٣ رجب ١٤٠١هـ، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
٩. شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، الجزء الثالث، ص ص ١١٣٤، ١١٤٦، تأليف خير الدين الزركلي، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، بيروت.
١٠. المصدر نفسه، ص ص ١٣٥٨، ١٣٦٤، ويفصل فيه الزركلي، إضافة إلى موقعه من الملك عبدالعزيز، انشطته الصحفية، والدوائر التجارية وعمولاته عن بعض المشتريات الحكومية، ويؤكد ماذكره المانع في كتابه عن دوره في اتفاقيات التنقيب عن الزيت.
١١. فيلبي جزيرة العرب ، ص٢٩٥، تأليف اليزابث مونرو ، لندن ١٩٧٣م.
١٢. فيلبي وكتاباته التاريخية عن المملكة العربية السعودية، ص ٤٦، مقدمة كتاب بعثة إلى نجد من تأليف سان جون فيلبي، وترجمة وتقديم وتعليق الدكتور عبدالله الصالح العثيمين.
١٣. ثلاث حلقات للعلامة الشيخ حمد الجاسر صحيفة الحياة بتاريخ ٢٠، ٢٥، ٢٧/١٢/١٩٩٦م
١٤. بحث عن المستشرق الانجليزي الحاج عبدالله فيلبي، للكاتب السعودي عبدالرحمن الشبيلي، نشر في العدد ١٣٧١٩ من صحيفة الحياة بتاريخ ٣/١٠/٢٠٠١م
١٥. فيلبي وكتاباته التاريخية عن المملكة العربية، ص ٤٨.
١٦. الفصل الأول، ص ٣١، من كتاب «بنات سبأ» موضوع المقال.
١٧. ملحق كشاف الأماكن، ص ص ٦١٥، ٦٦٦، بمعدل ١٧ اسما لكل صفحة يتكرر معظمها في أكثر من مرة، بل ويصل تكرار بعضها إلى عشرات المرات.
١٨. ملحق عن النقوش التي اكتشفها السيد فيلبي، ص ص ٥٠٧ ، ٥٢٧.
١٩. ملاحق الصور ص ص ٥٣٣، ٥٨٠.
٢٠. كتاب «بنات سبأ» من تعريب الدكتور يوسف مختار الأمين.
٢١. ومن مراجعة وتدقيق وتعليق كل من أ.د. فهد بن عبدالله السماري، ود. عمر العمري، والأستاذ عبدالله المنيف، والأستاذ عبدالرحمن الشقير

معجم السلطان الرسولي السداسي اللغة

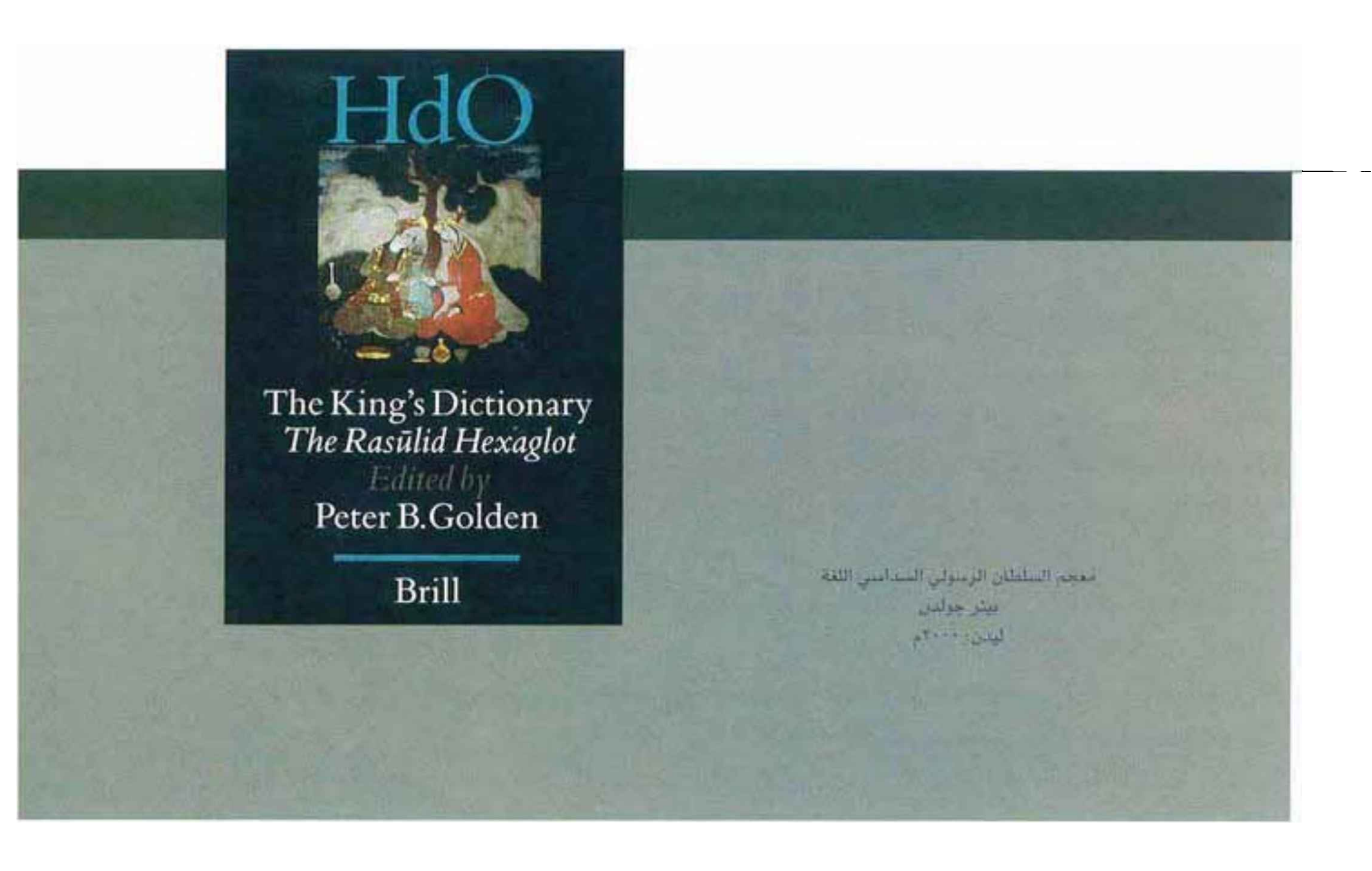
عبدالرحمن بن عبدالله الأحمري

الرياض - السعودية

يشتمل هذا المعجم على مفردات من القرن الرابع عشر الميلادي باللغات العربية والفارسية والتركية واليونانية والأرمينية والمغولية للسلطان الأفضل عباس بن علي بن داوود الرسولي (ت ٧٨٨هـ/١٣٧٧م)

وقد أوردت صحيفة نيويورك تايمز (٥ فبراير ١٩٨١م)، خبرا أثار انتباه المتابعين والمهتمين بالتراث الإسلامي، وكان ذلك الخبر بعنوان: «معجم قديم يفتح نافذة على الماضي الإسلامي» (Ancient Dictionary Opens Window on Islamic Past) لكاتبه جون نوبل ولفرد. وفي العام التالي نشرت مجلة عالم أرامكو (عدد مارس/ أبريل ١٩٨٢م) مقالاً موسعا بعنوان: «معجم السلطان» (The King's Dictionary) لبيري هوبرمان (١)، وكلاهما يتحدث عن معجم صنعه السلطان (٢) الرسولي الأفضل العباس بن علي سادس حكام الدولة الرسولية في اليمن (٣)، وهذا المعجم يحوي ما يزيد على ١٢٠٠ مفردة باللغة العربية في علوم شتى - سوف نأتي على ذكر طرف منها - وما يقابلها باللغات العالمية المزدهرة في ذلك العصر، وهي خمس لغات: (الفارسية، والتركية، واليونانية، والأرمينية، والمغولية).

وتعود قصة ظهور مخطوطة هذا المعجم إلى أواخر الستينيات من القرن الماضي عندما قدم الدكتور محمود الغول - عالم الآثار المعروف - نسخة مصورة من هذا المعجم إلى الدكتور بيور هيلاسي كون (١٩١٤ - ١٩٩١م) وهو مستل من مخطوطة أوسع، هي مجموع لعدة معارف من تأليف السلطان الرسولي الأفضل، وكان بيور كون عالما في الدراسات التركية في جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة، وقد عرف القيمة التاريخية لهذا المعجم، فقام بتشكيل فريق علمي يضم خمسة علماء من الولايات المتحدة والمجر، وهم، بالإضافة إلى كون نفسه، الذي تولى ترجمة القسم التركي من المعجم ودراسته، وتلميذه بيتر ب.



جولدن استاذ التاريخ في جامعة نيوارك رجيستر صاحب كتاب «دراسات عن الخزر» في مجلدين (١٩٨٠م)، و«مقدمة في تاريخ الشعوب التركية» (١٩٩٢م) . وقد تولى ترجمة ودراسة القسم اليوناني. والثالث هو لاخوس ليجيتي (١٩١٤ - ١٩٨٧م)، وهو رئيس قسم اللغات الأسيوية في جامعة بودابست في المجر. وله عدد من الدراسات عن اللغات المغولية والتركية، والتاريخ التركي في أوربا. وقد تولى ترجمة ودراسة القسم المغولي من المعجم. أما القسم الأرميني فقد تولى دراسته ادموند شوتس (١٩١٦ - ١٩٩٩م)، وهو استاذ باحث في أكاديمية العلوم المجرية. وله عدد من الدراسات عن التاريخ والثقافة الأرمينية والتركية. وانضم إلى الفريق لاحقًا توماس ت. السون، وهو أستاذ التاريخ في كلية نيوجرسي. وله كتاب «الامبريالية المغولية» (١٩٨٧م).

ويذكر جولدن المراحل التي مرّ بها المشروع، إذ تبنى المجلس الأمريكي لجمعيات العلماء دعم المشروع، وعقدت عدة اجتماعات للجانبين الأمريكي والمجري طوال السبعينيات. كما عقد كون وجولدن اجتماعات أسبوعية لمقارنة نتائج الدراسة، وللمراجعة والمناقشة حول مفردات المعجم. وبعد ان كشفت الصحافة عن المشروع في أوائل الثمانينيات، تعثر إخراج المعجم، ثم توقف العمل فيه خلال هذا العقد، ما عدا القسم اليوناني الذي نشره جولدن عام ١٩٨٥م، حيث توفي ليجيتي عام ١٩٨٧م ثم تبعه البروفسور كون، الذي عاني سلسلة من الأمراض إلى وفاته عام ١٩٩١م. وفي الوقت ذاته كان فريق أمريكي بريطاني اخر يعمل على نشر المجموع الكامل لمخطوطة السلطان الافضل ، الذي يحوي ضمن مادته العلمية المعجم الذي نتحدث عنه . ففي عام ١٩٨٧م تسلم البروفسور برترام سارجنت (ت ١٩٩٣م) ، من جامعة كمبردج ، صورة كاملة للمخطوطة الفريدة من

المجموع والتي سلمها بدوره لدانيال فارسكو عالم الأنثربولوجيا الأمريكي. المتخصص في تاريخ اليمن الاجتماعي (خاصة العهد الرسولي). وركس سمث. وهو أيضاً متخصص في تاريخ اليمن وحضارته. وقد قاما بنشر المخطوطة في صورة شمسية عام ١٩٩٨م بعنوان «مخطوطة الملك الأفضل العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول مقتطفات عربية وسيطة مختارة من اليمن».

وفي عام ١٩٩٢م اجتمع الفريق الأمريكي المجري بدانيال فارسكو. الذي عُرف عنه مدى اهتمامه بهذه المخطوطة. فنقل مشروع المعجم إلى المركز الأمريكي للدراسات اليمنية في صنعاء. ووُضع له برنامج حاسوبي خاص ليخرج الكتاب إلى النور في ٤١٨ صفحة من القطع المتوسط. فقد خدم هذا النص خدمة رائعة بالدراسات والتعليقات والشروح والفهارس التفصيلية. خاصة إذا عرفنا أن أصل مخطوطة هذا المعجم لا تتجاوز ٢٢ صفحة. بمقدمة ضافية وموسعة من جولدن وتوماس ت. إلسون.

الوصف التفصيلي للكتاب

بدأ جولدن الكتاب بتقديم. أورد فيه المراحل التي مرّ بها مشروع هذا الكتاب. ثم أتبعها بدراسة قيمة عن أوضاع العالم الإسلامي العامة في تلك الفترة بعنوان: «عالم المعجم الرسولي». يتحدث فيها عن التغير الإثنوغرافي. الذي حدث في منطقة الشرق الأوسط الحالية منذ أوائل القرن الثالث عشر الميلادي. ودخول عناصر غير عربية اللسان إلى تلك المنطقة. وأثره في دخول مفردات جديدة غير عربية في اللغة العربية. وغيرها من المؤثرات الحضارية. خصوصاً أن السيادة السياسية أصبحت بيدها مثل المماليك في مصر. والسلاجقة الروم في التخوم الشمالية من المنطقة. كما يتحدث عن الإلخانيين في فارس بعد تقسيم الإمبراطورية المغولية إلى أربع دول بعد موت جنكيز خان. وأثر هذه الدول في نشر اللغة المغولية. وتغلغلها في العالم الإسلامي في تلك الفترة من خلال التجارة وغيرها من وسائل الاتصال الحضاري. كما يتحدث عن «الدولة البيزنطية والسكان اليونانيين في الأنضول». ثم دولة المماليك في مصر. وكيف كانت العلاقة المتداخلة حضارياً بين شعوب هذه الدول. ثم يفرد عنواناً عن «مصادر معجم السلطان الرسولي». حيث فيتحدث عن المصادر المحتملة التي اعتمد عليها السلطان الأفضل في صناعة معجمه. فمن اللغة اليونانية. واللغة الأرمينية يتوقع جولدن أنها أخذت من أفراد كانوا يعيشون في بلاط السلطان الرسولي. ممن تسميهم المصادر اليمنية المحلية «الروم». ويحتمل أن كثيراً منهم من الرقيق الذي يرد عادة الى أسواق اليمن. وينتهي بهم المطاف في القصور السلطانية. أو ضمن «هدايا» من سلاطين المماليك في مصر. كما يذكر مصادر أخرى للغة اليونانية عن طريق قبرص تلك الجزيرة في البحر المتوسط التي أصبحت نقطة اتصال تجاري بين مصر وما يليها من البلدان جنوباً. ومع الأنضول والأرمن شمالاً. وعن مصادر اللغة التركية واللغة المغولية. بالإضافة إلى كون الرسوليين من أصول تركية. ويوجد في بلاطهم الكثير من الأتراك والأكراد. فهناك عدد من المعاجم والكتب عن اللغة التركية منذ فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي. منها كتاب محمود الكاشغري (٤٦٦هـ/١٠٧٣م) «ديوان لغات الترك». وأبي القاسم جارالله محمود الزمخشري (٤٦٧ . ٥٣٨هـ / ١٠٧٥ . ١١٤٤م) مؤلف كتاب «مقدمات الأدب» وهو قد تعلم عدة لغات. منها:

العربية، والتركية الخوارزمية، والخوارزمية، (وهي لغات إيرانية محلية)، والفارسية، والمغولية والقوجاقية التركية، والتركية العثمانية، وغيرها من الكتب التي ذكرها عن اللغة التركية والمغولية. وأورد معلومات عن المخطوط منها والمنشور. كما أفرد كل لغة من لغات المعجم بتحليل دقيق للكثير من المفردات، وذلك تحت عنوان «لغات معجم السلطان الرسولي». ثم بدأ بدراسة مختصرة ومركزة للرسوليين في اليمن عن أصولهم، وكيفية توليهم الحكم في اليمن، وأبرز حكامهم، ثم أفرد مؤلف المعجم (السلطان الأفضل) فتحدث عن اهتماماته العلمية. ثم يختم الحديث ببيان أهمية اليمن بصفة عامة، وميناء عدن بصفة خاصة في التجارة العالمية في تلك الفترة لكونها على المحيط الهندي للاتصال بين الشرق والغرب، وأورد ما قاله الرحالون المسلمون والغربيون عن عدن وأهميتها في ذلك العصر.

ثم اعقب ذلك دراسة قيمة لتوماس ت. السن :(T.P) (49 -25 بعنوان «المعجم الرسولي في سياق الثقافة الاوراسية». تحدث فيها عن الإمبراطورية المغولية وامتدادها السريع من الشرق إلى الغرب التي وصلت في فترة من فترات قوتها ومساحة أرضها من بولندا غربا إلى فيتنام شرقا، وأثر ذلك في الاتصال الحضاري والثقافي، وانتقال التجارة بين هذه الأقطار المتباينة. وقد حاول أن يجعل القارئ في محيط القرن الرابع عشر. وليوحي إليه بأن تأليف مثل هذا المعجم كان بفعل التداخل الثقافي والاتصال الحضاري بين الشعوب في اوربا واسيا.

طبيعة المادة العلمية في المعجم الرسولي

لقد اتبع السلطان الأفضل المنهج الموضوعي في تناول المفردات، إذ يورد مثلاً أسماء أنواع الحيوانات باللغة العربية، وما يقابلها باللغات الأخرى، ثم الحشرات وهكذا. أما المادة العلمية فهي شاملة لمختلف العلوم والمعارف المعروفة في ذلك العصر، وما يتعلق بشؤون الحياة اليومية، ومنها العملات، والأمراض، وأدوات الرماية، والخيل وتجهيزاتها، وأنواع الأشجار، والحيوانات، وتشريح جسم الإنسان، ووظائف الأعضاء، وأنواع الأسلحة، والأواني المنزلية، وأجزاء الأيام والشهور، والمعادن الثمينة، والمآكل والمشارب، وغيرها الكثير (٤).

بقيت كلمة أخيرة حول المصطلح الذي نحته جولدن ورفاقه عنوانا لهذا الكتاب وهو Hexaglot، ويتكون من مقطعين، وهما Hexa، وتعني سداسيا أو ستة، والقسم الأخير من كلمة Polyglot، وتعني الكتاب الذي يتشكل من عدة لغات، والواقع أن الكتاب بعد خروجه في هذه الحلة القشيبة، وترجمة كل مفرداته إلى اللغة الإنجليزية، بجانب اللغات الأخرى، أصبح في سبع لغات عالمية.

الهـــوامش

The King's Dictionary The Rasulid Hexaglot Fourteenth Century Vocabularies in Arabic, Persian Turkic, Greek Armenian and Mongol Translated by Tibor Halasikun Peter B. Golden, Louis Ligeti and Edmund Schutz. Edited by Peter B. Golden (Brill, Leiden. 2000).

١. ترجم د. محمد عبود المقال الأخير ونشر في مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس في عدد ٣٢ : ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، كما نشر في مجلة دراسات يمنية بعد ذلك.

٢. السلطان: هو ارفع لقب اتخذه أغلب حكام الدولة الرسولية.

٣. الدولة الرسولية حكمت أجزاء واسعة من اليمن خلال الفترة من ٦٢٨-٨٥٨هـ.

٤. أشار جولدن إلى وجود مفردات ضمن المخطوط باللغة الاثيوبية (الحبشية) لم تدرس في هذا المعجم. ولعل في نشر المخطوطة كاملة فرصة للباحثين في إكمال تحقيق هذه المخطوطة الفريدة.



سيزان: جد التكعيبيين

فاضل كمال الدين

بابل ــ العراق

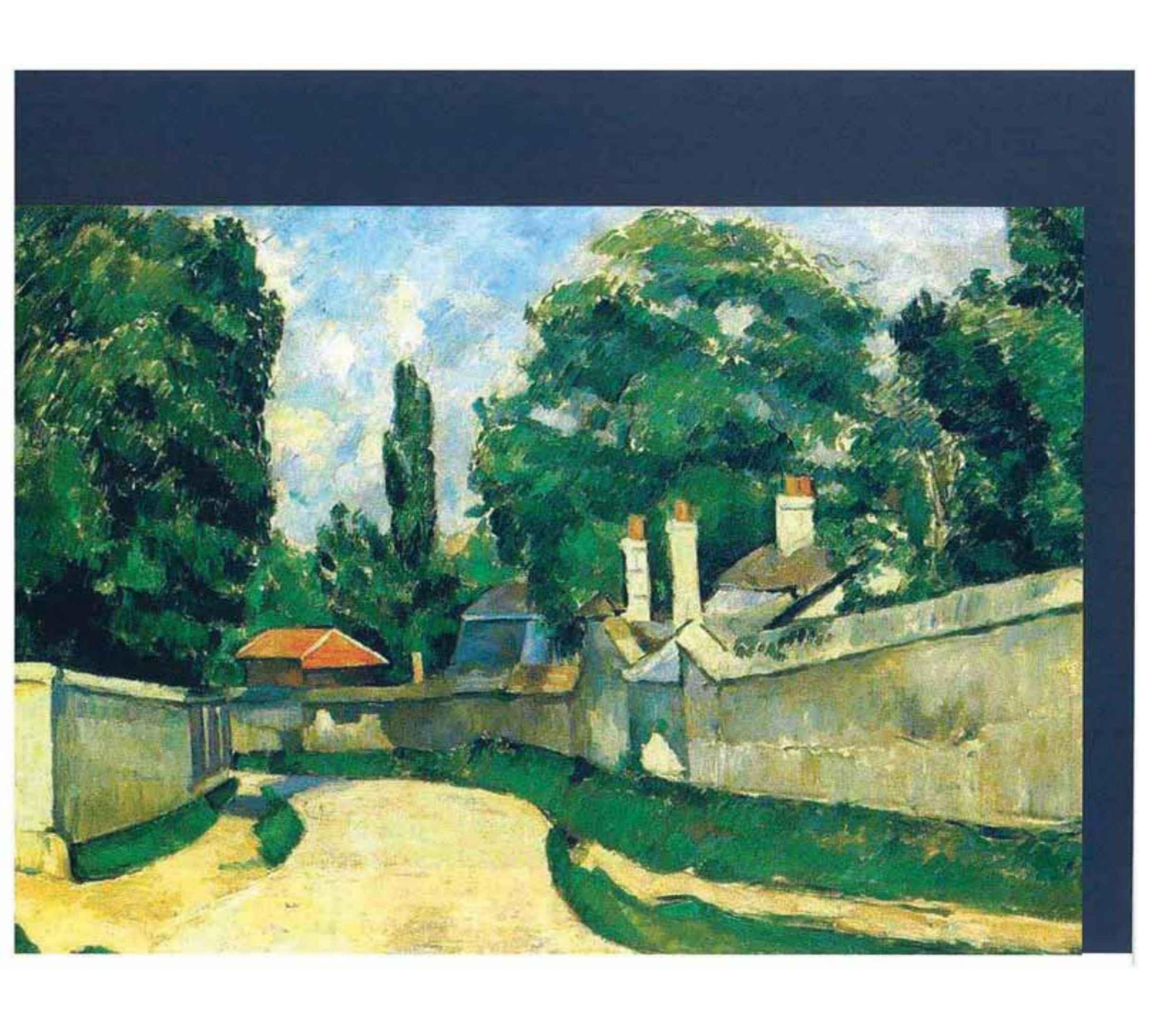
كان سيزان أستاذًا في فنّ رسم الحياة الصامتة، والمشهد الطبيعي، وصُوَر الأشخاص. لكنّه لم يُفْهَم في زمانه إلا أقل الفهم. وقد هزَّ فنُّه عالم الفنّ الرسمي آنذاك، وأثار سخطه، وادّعى الناقدون أن التشويهات في رسومه هي دليل على أنه لا يعرف حتى أن يرسم. وبين حين وآخر كان طبعُهُ المزعج، وخجله وحبُّه للعزلة تؤدي إلى إبعاد أصدقائه ومؤيّديه عنه (١)

كان أميل زولا الكاتب الفرنسي المشهور أول من أبدى ملاحظاته، وهو صديق سيزان، عن شخصية سيزان عندما طلب من صديقهما الآخر بابست بيل أن يتغاضى عن الحالات المزاجية التي تنتاب سيزان مثل حالات الغضب المفاجئة والكآبة المفاجئة، فقد كتب له في رسالة: «عليك ألاّ تغضب منه حتى إذا أزعجك، بلْ اغضبْ على الشيطان الذي يخيم على عقله، له قلب من ذهب، وهو صديق قادر على فهمنا، وهو مجنون مثلنا، وحالمٍ مثلنا (٢).

والقليل جدًا هم الذين عرفوا سيزان معرفة جيدة، وأقل من هؤلاء هم الذين استطاعوا اختراق قوقعته الحصينة وهو لم يحقّق أبدًا خلال حياته الشهرة التي كان فنُّه يستحقها. ومع ذلك ففي عصرنا يُعدّ سيزان أستاذًا عظيمًا. وقد أدى فنُّه إلى إرساء أُسُس التكعيبية في فنّ الرسم(٣).

حياته

وُلد بول سيزان في التاسع عشر من ديسمبر/ كانون الثاني في عام ١٨٣٩ في المدينة الفرنسية الصغيرة «أيكس - أون بروفانس»، وكان هو الابن الوحيد للسيد لويس أوغست

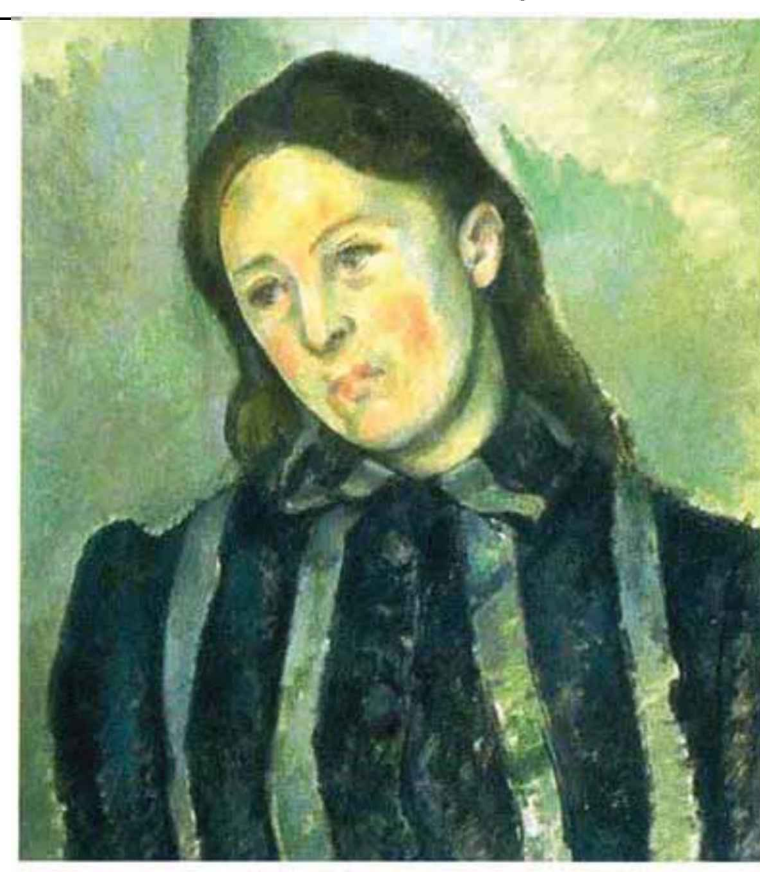


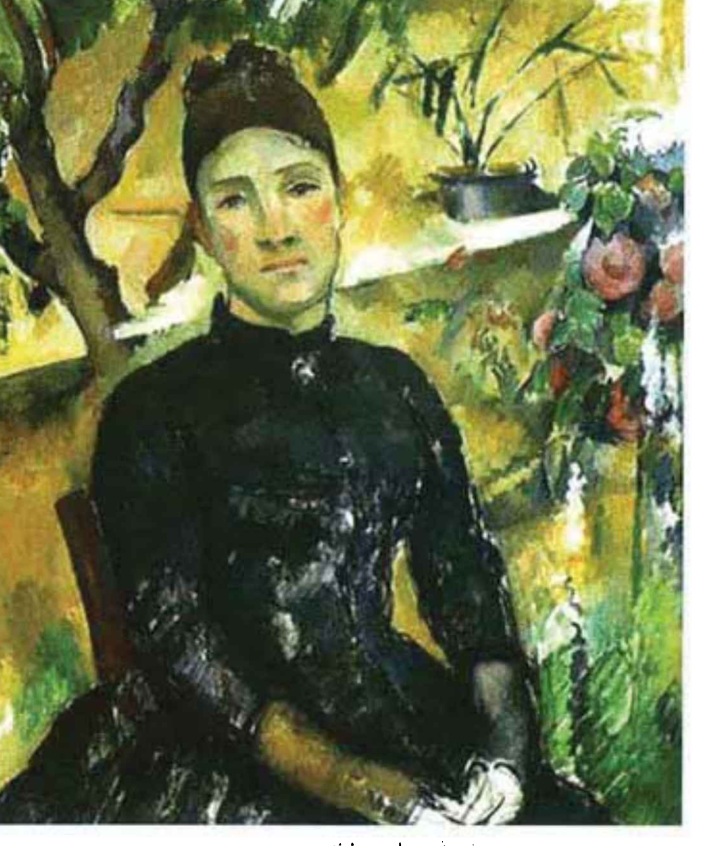
سـيـزان والسـيـدة أن ـ إليـزابيث ـ أنورين أُوبرت، وكـان أبوه رجلاً ذكيًا جدًا، وطموحًا، وبدأ متدربًا في صناعة القبعات النسائية، ثم أسس بعد ذلك مصرفًا خاصًا له. وأمه كانت سابقًا تعمل لدى سيزان الأب، وتم أخيرًا الزواج بينهما.

وترعـرع الطفل في عـزبة كبيـرة كـان أبوه قـد اشـتراها. وكـان سـيـزان كثيـرًا مـا يعـود، بعد أن أصبح رجلاً، إلى زيارة المنزل الذي كـان في تلك العـزبة، والمدينة الصـغيـرة نفسـهـا كانت في منطقة ريفية منعزلة وهادئة.

وفي طفولته كوّن سيزان علاقة صداقة مع أميل زولا ـ الكاتب المشهور فيما بعد ـ دامت عدة سنين، وأصبحت جزءًا مهمًا في حياته ومهنته، وعاش الاثنان حياة سعيدة في صباهما، وكانا يريان أنفسهما مفكرين، ويريدان أن يصبحا من الكتّاب.

وفي سنوات الدراسة كان سيزان تلميذًا نجيبًا، له موهبة طبيعية لتعلم اللغات، مثل: اللاتينية والإغريقية، وصار يأخذ دروسًـا في الرسم بالإضـافـة إلى الموضـوعـات الأكـاديميـة، وعلى الرغم من أنه كان قد أظهر ولعًا بالفن، إلا أنه لم يكن يمتلك مـقـدرة خـاصـة فـيـه في ذلك الوقت المبكر، وكـان


بورتريه امرأة


زوجة سيزان بوشته

صديقه أميلا زولا أقدر منه على الفن عندما كان صبيًا.

وحتى عندما كان سيزان طفلاً. كان متقلب المزاج ومعرّضًا لحالات انفعالية عنيفة تتتابه. وربما كانت شخصيته ناتجة من نمط الحياة في المنزل. فقد كان أبوه من النوع المسيطر. وأمُّه كانت ذات شخصية دفاعية بإفراط. ومهما كان السبب فقد كانت النتيجة هي امتلاك الطفل سيزان شخصية قلقة وغير سعيدة.

وفي عام ١٨٥٨م انتقل أميل زولا إلى باريس. وكان يتراسل مع صديقه سيزان. الذي كان يكشف له في رسائله عن مشاعره تجاه النساء، وكانت مشكلات سيزان حادة في هذا المجال. ولم تكن له علاقة حقيقية مع امرأة إلا بعد بلوغه الثلاثين.

أكمل سيزان دراسته الثانوية. واستمرّ في دروسه في موضوع الرسم. ثم دخل كلية القانون. ولكنّه لم يكن يرغب في دراسة القانون. وإنما أبوه هو الذي أجبره على ذلك.

وظلّ يكافح عدة سنوات في كلية القانون في جامعة «ايكس». وأخيرا قرّر أن يصبح رسّاما. وبمساعدة والدته حصل على موافقة أبيه على ترك كلية القانون.

وفي أوائل عام ١٨٦١م سمح له أبوه بالذهاب إلى باريس ليصبح رسّامًا. وأعطاه ما يكفي من مال.

وبسبب معرفته مسبقًا بعدم أهليته للقبول في أكاديمية الفنون الجميلة. حاول إعداد نفسه بحضور «الأستوديو السويسري». وكان يقضي أيضا وقتًا طويلاً في متحف «اللوفر» ويعمل بجد. ولكنه لم يكن يضاهي المعاصرين له

مقدرة. وبخلاف بعض الفنانين الكبار، لم يُولد سيزان وهو يمتلك أسلوبا متقنا أو موهبة ناضجة. ممّا استدعى قيامه بتنمية مهاراته. وبعد مرور أشهر قليلة على وصوله إلى باريس، عاد إلى إيكس وهو في حالة يأس. وكانت زيارته إلى متحف «اللوفر» هي الخبرة الإيجابية الوحيدة التي استفادها في أثناء مكوثه القصير في باريس.

ولمدة سنة تقريبا بقي سيزان في «إيكس» وهو يعمل في المصرف الذي يمتلكهُ والده كارها كل دقيقة من الدقائق التي قضاها في ذلك العمل. وفي الوقت نفسه استأنف دروسه في موضوع الرسم. وفي خريف عام ١٨٦٢م قرر العودة إلى باريس. ومن الواضح أن والده وافق على ذلك: لأنّ من المعروف انه اعطاه مبلغا من المال.

بورتريه للفنان بريشته



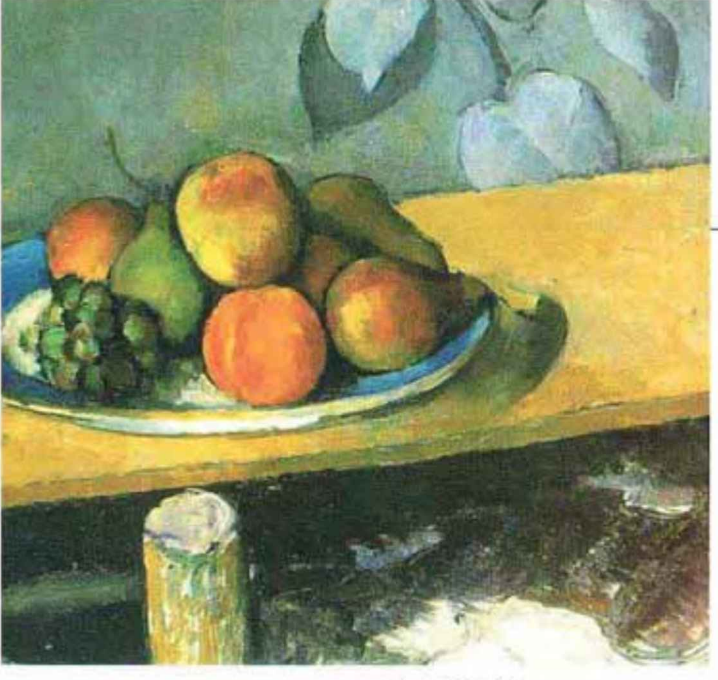
وعند بلوغ سيزان الثالثة والعشرين، عاد إلى باريس، وإلى المرسم «الأستوديو السويسري». وقدّم طلبا للدراسة في أكاديمية الفنون الجميلة. غير أن طلبه قد لقي الرفض. ومن الواضح أنّ عزمه على أن يصبح رسّاما كان من القوة أن جعله لم يتراجع أمام ذلك الرفض. ولم تضعف عزمه حالات رفض أخرى كثيرة أعقبته. ولم يعد أبدا إلى عمله في المصرف.

وفي معظم ما تبقى من ذلك العقد من السنين، بقي سيزان في باريس للعمل. واستمر في عادته على العودة إلى منزله في «إيكس» من حين إلى حين. وفي عام ١٨٦٣م عرض في «صالون المرفوضات». وتلك السنة كانت هي السنة نفسها التي عرض فيها مانيه لوحته المشهورة «غداء على الحشائش» التي خلقت ضجة كبيرة. ومن المشكوك فيه أن يكون هناك أحد قد انتبه إلى لوحات سيزان في المعرض: لأنه كان في ذلك الحين لا يزال ينتج أعمالاً رومانطيقية. وعلى أية حال، لم يكن من المعروف ماهية لوحاته التي عُرضت في «صالون المرفوضات» لعام ١٨٦٣م.

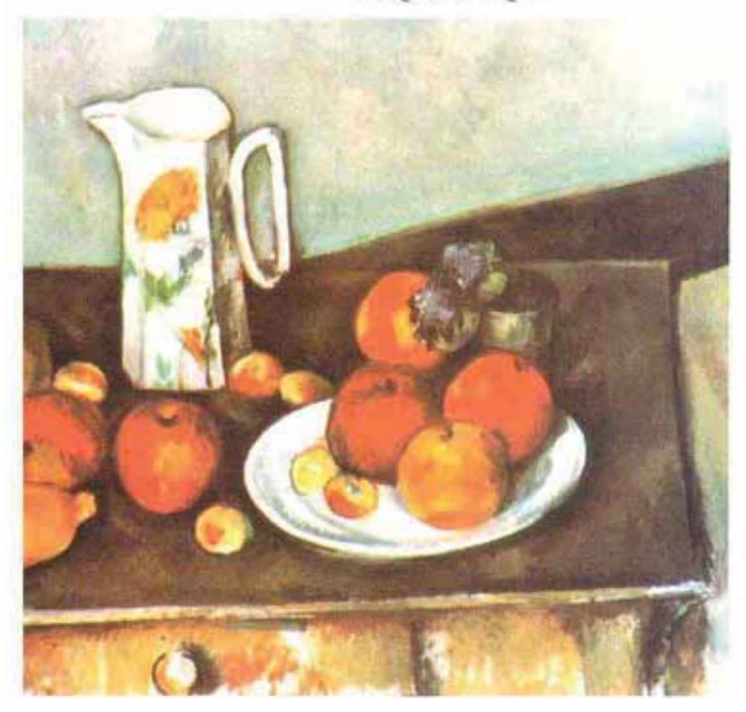
وعلى الرغم من أن سيزان كان على معرفة بعدد من اكبر الفنانين، غير أنه لم يكن في الواقع على صلة وثيقة بأي واحد منهم. ولم يكونوا هم يرحبون به تماما: لأنه كان خشن الملبس، وثقيل اللهجة، وفجّ اللغة، وريفي السلوك: ممّا أبعد الناس عنه. والاستثناء الوحيد من ذلك هو الفنان بيسارو الذي أصبح لاحقا شديد التأثير في فن سيزان

وفي عام ١٨٦٩م التقى سيزان «ماري . هورتنس فيكيه» التي كانت تصغره بأكثر من عشر سنوات. وكانت هي المرة الوحيدة التي أسس معها ارتباطا دائما، ثم تزوجها في عام ١٨٨٦م. وعلى الرغم من استمرارية العلاقة بينهما، غير أنها كانت علاقة زواج غريبة: لأنهما كانا ينفقان معظم الوقت وهما بعيدان بعضهما عن بعض بدلاً من أن يكونا معا.

وكان عام ١٨٧٢م مهمّا في حياة سيزان: ففيه ولد ابنه



تفاح وكمثرى وخوخ وعنب



آنية للحليب وتفاح وليمون

بول في يناير/ كانون الثاني. وفي العام نفسه ذهب سيزان وعائلته إلى «بونتواز» للسكن والعمل مع بيسارو الذي أصبح الأب والمعلم له. وساعده على فهم أهمية الألوان. وعلّمه كيف يستخدم عناصر الانطباعية. وقد انسجم سيزان مع طريقة الرسم في الهواء الطلق. ومع نمط الحياة في الريف. وبدأ أسلوبه الناضج يبرز نتيجة لتدريس بيسارو له.

وعلى الرغم من تأثر فنّ سيزان بفنّ بيسارو. غير أن فنه كان مُغايرا: لأنه كان يريد الجمع بين تأكيد اللون. الذي يهتم به الانطباعيون. والاهتمام بالشكل والصلابة الموجودين في فن الفنانين الكبار السابقين. وقد ساعده على تحقيق ذلك استخدامه للهندسة. وفي نهاية الامر. أخذ سيزان ينظرإلى الطبيعة في صيغة أشكال هندسية أساسية ثلاثة هي: الأسطوانة والمخروط والكُرة.

ولم تتحقق الشهرة للفنان سيزان إلا في عام ١٨٩٥م بعد أن عرض لوحاته أمبرواز فولار - تاجر الأعمال الفنية المعروفة. ومع أن الفنانين الآخرين بدؤوا يتفهمون أهمية فنّ سيزان إلا أنّ عموم الجمهور كان يرفض الاعتراف به.

استمر سيزان في العمل بالقرب من منزله قد رسم مجموعة كاملة من اللوحات لجبل يقع هناك هو «جبل سانت - فتوار».

توفي سيزان في الثاني والعشرين من تشرين الأول من عام (١٩٠٦م) بعد بلوغه السابعة والستين. وقد كان سيزان عبقرية فنية لم تحظ بالتقدير الكامل في زمانها (٤).

فنّــه

أكثر ما أثار الدهشة في عام ١٨٧٣م هو ظهور سيزان الذي ما إنْ أراه بيسارو الضوء، حتى انطلق من التعبيرية إلى الانطباعية المتفتحة. ومن الطريقة الميلودرامية في توزيع الضوء والظلّ إلى الألوان البراقة. وضربة الفرشاة المختزلة. وقد أسرّ سيزان إلى صديقه زولا في عام ١٨٦٦م بعزمه


أزهار في آنية أنيقة

على الرسم في الهواء الطلق، وإدامة الصلة بالمظهر الحق للطبيعة، لكن الأمر كان لا يزال مبكرًا في حينه، واستمر طبعه الثائر ينسل عنه بعيدًا، حتى واتته الفرصة بعد سنوات ليفجر العنف والانفعالات الحسيّة في نظامه. وكانت الخطوة الأولى على الطريق الصحيح هي التأثير الذي تركه مانيه فيه قبل عام ١٨٧٠م بقليل، ثم تعهّده بيسارو في بونتواز وأوفير، فغمره بفوائد جمّة من خبرته التقنية، ومن طبق ألوانه الغنيّ، ومن حسّه الحاذق في العمارة التصويرية، وتوجّهه الدؤوب نحو الطبيعة. وفي أقل من سنة استوعب سيزان ذلك كله، واستطاع تجديد أسلوبه تمامًا. وقد كانت ذروة ذلك كله لوحته «بيت الرجل المشنوق» المحفوظة في متحف «اللوفر» والتي تعدّ واحدة من أهم أعماله في تطوره الفني منذ عام ١٨٧٣م والتي هي لم تُدرك الانطباعية فحسب، وإنما تجاوزتها في الواقع، واحتوت في غصونها على عناصر القوة والجمال التي ميّزت فنّه فيما بعد.

وفي عام ١٨٧٢م، عمل سيزان عدة شهور في ضواحي باريس، والقرى المحيطة بها. وفي خريف العام المذكور انضم إلى بيسارو في بنتواز، وكان مستعدًا أخيرًا لإقحام نفسه في فن كان على النقيض من أسلوبه المبكر. ولكن سيزان لم يخطُ أية خطوة عبثًا. وربما يكون من المسلم به أنّ انقلابه الحاسم من الرومانسية الشخصية جدًا إلى الدراسة الموضوعية للطبيعة جاء اختيارًا موزونًا بدقة، وقرارًا حكيمًا ذا صلة بأهداف فنّه ومعانيه. وكان سيزان قد تعرف إلى بيسارو منذ الأيام الأولى في الأكاديمية السويسرية، وأُعجب به رسّامًا ورجلاً معًا. وقد أحسّ بالانسجام معه في الطبع والاستقامة ووسوسة الضمير. وظلّ سيزان يتحدث عن بيسارو بعد ثلاثين عامًا بعبارات مؤثرة: بسبب ما كان يضمر من امتنان له. وكان يقول عنه «كان متواضعًا وعظيمًا، وكان لي أبًا، وهو رجل يُعتمد عليه في إسداء النصيحة القيمة، وحكمته من حكمة الخالق».

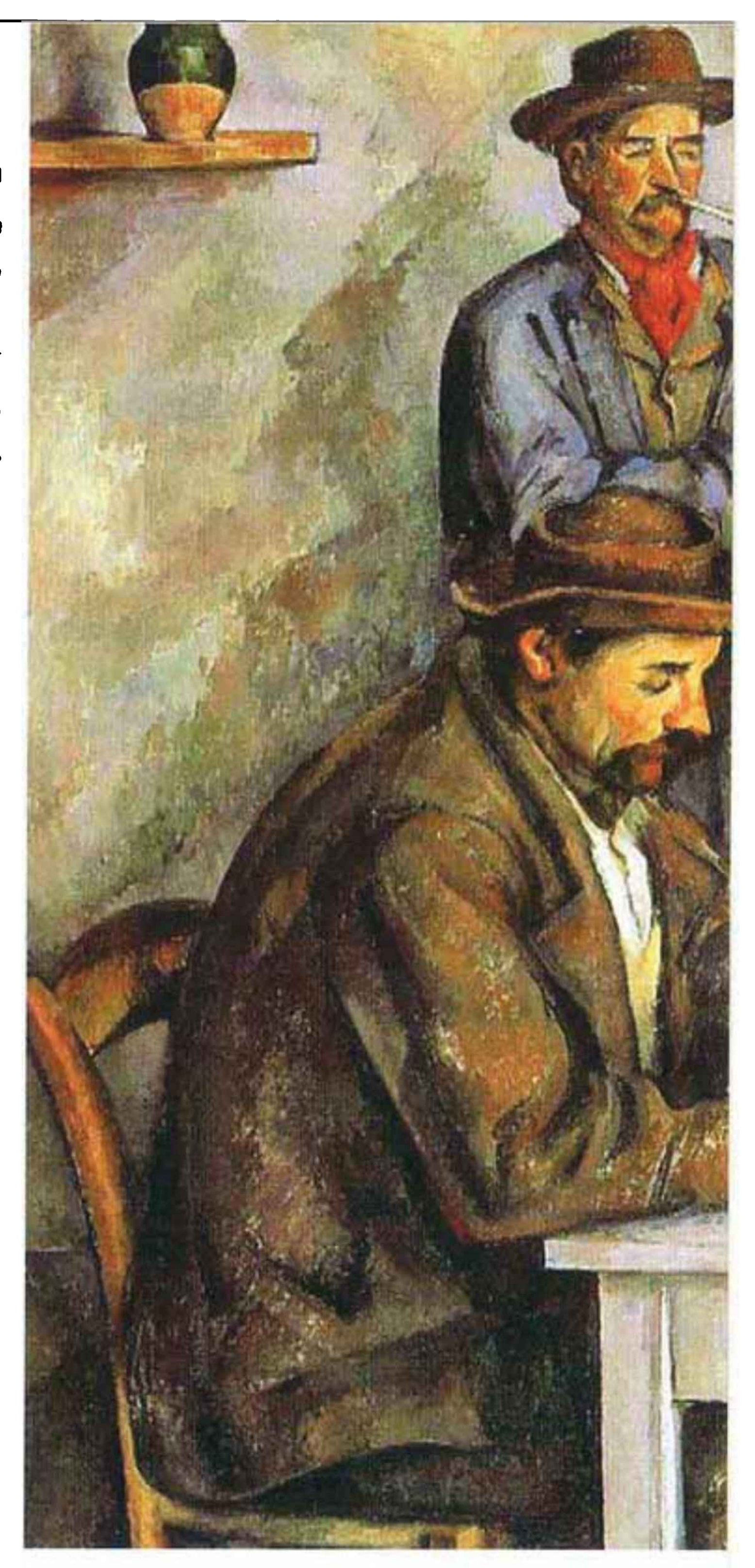
وقد بادله بيسارو ذلك التقدير. وفي الوقت الذي كان الكُلّ في شكٍ من قدرات سيزان بحيث إنّ «مانيه» رفض جهارًا «أن يُلزم نفسه بذلك الفتى»، كتب بيسارو إلى دوري قائلاً: إذا شئت أن ترى شيئًا خارجًا عن المألوف، فإن سيزان هو مبتغاك حيث له بعض الدراسات الغريبة حقًا وهي منفّذة بطريقة لم يحاولها أحد قطّ.

ومن أجل أن يُخرج سيزان أسلوبه الباكر من كيانه، ويلج الممارسة الجديدة للّون، قام متواضعًا باستنساخ إحدى لوحات بيسارو. وفي بداية عام ١٨٧٣م استقر على الضفة المقابلة لنهر «واز» في «أوفير» حيث عاش «دوبيني» ضيفًا على الدكتور غاشيه جامع اللوحات، والشخص الملهم والغريب الطباع في الوقت نفسه، والذي استضاف أيضًا «فنسنت فان كوخ» بعد عشرين عامًا.

وبقي سيزان على صلة وثيقة بالفنان بيسارو في بونتواز، وكانا غالبًا ما يرسمان معًا في الهواء الطلق، كما كان يفعل مونيه، ورينوار في أرجنتوي. وقد كتب بعد ذلك بيسارو إلى ابنه لوسيان قائلاً: «كنا معًا دائمًا، لكن الشيء الذي لايمكن إنكاره أنّ كلاً منّا احتفظ لنفسه بالشيء الوحيد المهم، وهو إحساسه الخاص».

وبقي سيزان طوال حياته متسمًا بهذا التفرُّد في الإحساس، وهو السمة المميزة للانطباعيين. لكنّه حين وجد



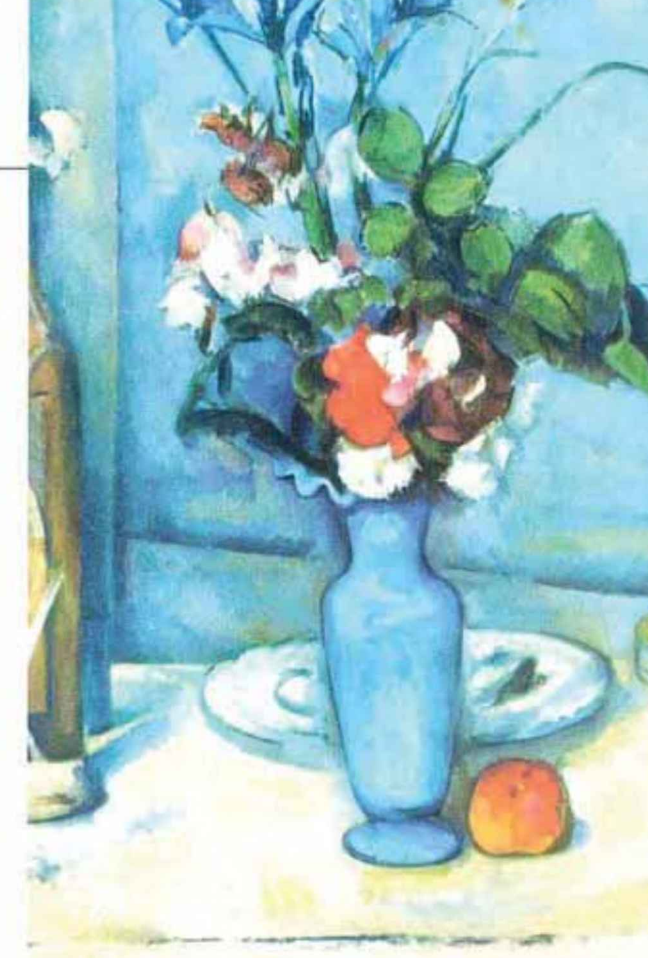


الطبيعة «معقدة جداً». ولا سبيل لإغفال شيء من تنوعها وإكمالها العضوي. أضحى إدراكه أشقّ عليه كثيراً. وسلك نظاماً جليلاً لا يشبه أي نظام آخر. ولا يشبه الطبيعة قطعاً.

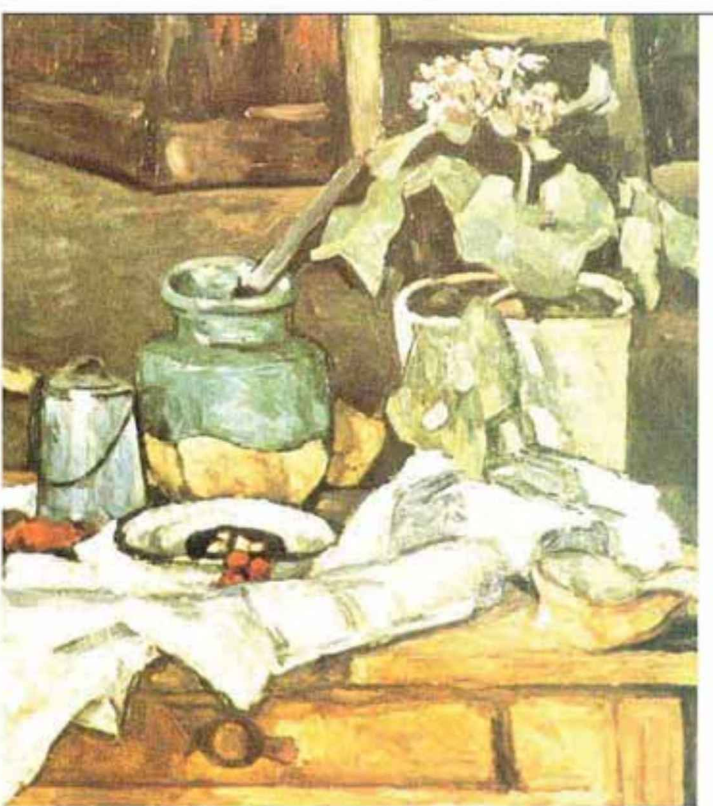
وحين كان بيسارو وسيزان يوماً يرسمان جنباً إلى جنب. كان هناك فلاّح يراقبهما عن كثب. وما لبث أنْ قال عن بيسارو: «إنّه ينخز!!». وعن سيزان قال: «إنه يصفع!!»وهذا هو بالضبط خير ما تُوصف به طريقة رسمهما: لأن سيزان الذي كان لا يزال مولعاً بالطلاء الكثيف. ومتحمساً للتضادات. ومهتماً بالحجوم اهتمامه بالضوء. قد استعمل لوحة الألوان بحرية في معالجة ألوانه. كما تشهد على ذلك لوحته «بيت الرجل المشنوق». وقد عالج «الموتيف» بطريقة هي أقرب إلى طريقة بيسارو. لكنّه وضع ثقلاً أكبر على الصلابة البنائية. ويتسم التنفيذ المادّي لأعماله بشدة باقية. وبما يشبه الصراحة الروحية التي تكاد تكون مُقحمة على تفاؤل الانطباعية وتساهلها. ولكنه راح الآن يتساهل مع لوحة الألوان في تصويره لمجموعة من صور الحياة الصامتة لأزهار رسمها لمدام «غاشية». وهي تشبه سلالم لونية ضمن حدود الألوان الأساسية الثلاثة. ولوحته «منظر أُوفير» (التي رسمها عام ١٨٧٤م والمحفوظة في المعهد الوطني في شيكاغو». ولوحتُه الأخرى «الجدار» التي رسمها عام ١٨٧٦م. وهي ضمن مجموعة «دوران - رويل». تكشفان عن استيعابه التام للتكنيك الانطباعي واستمتاعه بتأثيراته: أيْ: ضربات الفرشاة القوية والمتواترة والمختزلة. وضوء الشمس المنعكس على سقوف البيوت وجدرانها. ولُعبة الضوء والظلّ تحت الأشجار.

وقد حقق بيسارو في لوحته «الجسر الصغير» (عام ١٨٧٥م) نظاماً وفخامة استقاهما من سيزان. كما هو واضح. ولكنْ دون أن يتخلى عن قدراته الخاصة أو ألوانه المميزة. أو نضارة رؤيته. ولذلك يصحّ القول: إنهما قد تبادلا أحسن ما كانا يمتلكان فأغنى الواحدُ منهما الآخر.

وفي عام ١٨٧٥م كان سيزان يعيش في باريس في



آنية الأزهار الزرقاء



آنية الأزهار على منضدة

شارع «فوجيرار» أولاً، ثم على ضفة «وانجو»، وبجوار الفنان غويومان. وكانا يرسمان معًا أحيانًا، ثم التقى بـ «شوكيه» بواسطة رينوار، ثم أمضى عام ١٨٧٦م في «لستاك» القريبة من مرسيليا.

وفي عام ١٨٧٧م عاد بيسارو ليلتحق بالفنان سيزان في يونتواز وأوفير حيث أخذا يعملان معًا بانسجام، ومن جديد. وهكذا رسم بيسارو فصول السنة على التعاقب، وفي مجموعة من الروائع، على الرغم من أن الموضوع محدود الأفق بطبيعته، ولا يتجاوز القيام برسم البيوت الريفية، ذات السقوف الحمراء والصفراء، وكما تبدو من خلال الأشجار التي تنشر الضوء، وتحيله إلى اهتزازات في كلّ اتجاه. وبهذه الخصائص البنائية المُحكمة التي نمت بفضل صلته بالفنان سيزان، جاء بيسارو بحيوية جديدة للضوء، وبتأثير من مونيه، وتكاد لوحته «حديقة ذات أشجار مزهرة» (المحفوظة في متحف اللوفر) تتجاوز الربيع الذي تصوّره، بينما تودّع لوحته الأخرى «مطعم كوت دي بوف في يونتواز» (المحفوظة في المتحف الوطني في لندن) الخريف المتلكئ في الرحيل برقّة.

وقد عالج سيزان هذين الموضوعين واحدًا بعد الآخر، وصار المنظور معه متراصًا ومختزلاً. وحركة الضوء صارت أضعف فأضعف، والفصول غدت مبهمة غير أن البيوت والأشجار احتفظت بفردية شديدة. وكان الضوء بالنسبة إلى انطباعيي «إيل - دي - فرانس» ملهمًا. وأما بالنسبة إلى سيزان ذي الرؤية المشرقة المستمدة من البحر المتوسط، فالضوء كان وسيطًا فذًا للإلهام، الذي يحيل الأشياء إلى أقصى درجات الكمال شكلاً ولونًا (٤).

الشكل واللّون عند سيزان

كان الشكل واللّون عند سيزان كلاً واحداً. لا يقبل التجزئة إذ إنه «حين يكون اللون في أقصى غناه، يكون الشكل في أكمله». وقد قدّس سيزان الأشياء نفسها التي قدّسها «ديغا»: أيّ: قواعد الفنّ العريقة التي زكّاها الزمن، والخواص الرصينة للتراث الكلاسيكي. ولوحته «مطعم كوت دي بوف في بونتواز» (التي رسمها في عام ١٨٧٧م، أي: بعد عشر سنوات من تاريخ لوحة بيسارو حول الموضوع نفسه)، ترينا أنه لم يزل ملتزماً التكنيك الانطباعي لكن بطريقة معينة، وليحوّله إلى «شيء صلب ومقيم على الزمن، ويشبه فنّ الأساتذة العظام». كما قال ذلك عن نفسه. لقد أبقى سيزان على عنصرين مميزّين، هما: «الألوان النقية البّراقة، وضربات الفرشاة المتقطعة. لكنه استخدمها بتماسك متخلخل، وكوّن اللوحة من مستويات معشقة التركيب، وبانتظام، وكالطابوق المرصوف، ومكدّسة كلها في اتساق باتجاه مرسوم يحدّد الكتل والنغمات اللونية، ونُظم البناء العضوي. وقام سيزان بترنيم الضوء، وفرض إيقاع موحّد ومُحكم على سطح اللوحة المنبسط مع تقليل القيم الجوية من أجل تركيب فخم وكثافة لونية. وقد طرأ هذا التحول الرئيس في أسلوبه المتقدم، في رسمه لصُور الأشخاص والحياة الصامتة في آن واحد. وسرعان ما أصبحت الحياة الصامتة هي الموضوع المحبّب إلى نفسه. والذي نقله إلى تلك النقاوة الكلاسيكية في أسلوبه الناضج.

كان سيزان كبش الفداء في معرض جماعة الانطباعيين لعام ١٨٧٧م، فقد أثارت لوحاته سخط النقاد والجمهور على حدّ سواء، واتخذوا منها مثلاً لتسويغ ازدرائهم الشديد للمعرض كلّه. ولكن الناقد جورج ريفيير هو الوحيد الذي وقف إلى جانب سيزان والذي كتب: «إن فن السيد سيزان له كلّ السحر، الذي لا يمكن تحديده للأثر الفني العميق: إغريقي وقدسيّ، وحركات شخوصه، التي تماثل منحوتات العصور القديمة، هي حركات بسيطة وجليلة في وقت واحد، ومناظره الطبيعية تنمّ عن فخامة مهيمنة، وتصويراته للحياة الصامتة، وبما ملكت من دقة وجودة في علاقاتها النغميّة، تُشيع الهيبة والوقار بصدقها المطلق. إنّ الفنان سيزان يثيرنا في صوره كلها: لأنه هو نفسه قد أثارته الطبيعة في الأعماق، ونقلت مهارته هذه الإثارة الى قماشة الرسم»(٠).

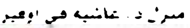
ويقول جي. تي. مولر، وفرانك ألغر في كتابهما «مئة عام من الرسم الحديث»: انه على الرغم من أنّ بول سيزان كان قد تحرّك منذ عام ١٨٦١م في إطار الحلقة التي ضمّت انطباعيي المستقبل. غير أنّ فنّه لم يكن ذا صلة بأعمالهم، إلا بعد عشر سنوات: أيّ: عندما استقر في «أوفير»، وعمل بنصيحة بيسارو، وعند ذاك فقط ظهرت بوادر أسلوبه الثوري، إذ قام برسم مشاهد طبيعية وبألوان صافية، وكان أقل اهتماماً بالطارئ منه بالمستديم، ورفض فعلاً السماح باضمحلال شكل الأشياء في غمرة الجوّ الذي يلفّها، وكان يؤكد، وباستمرار، بنية الرسم: ومن أجل هذا فالبيوت والصخور وجذوع الأشجار، وكل ما يبدو صلداً ومتماسكاً يمكن تحديده بخطوط هندسية كانت تؤلف عنصراً أساسياً في أعماله.

وسعياً منه الى مزيد من النّضج والاكتمال، فضّل الرحيل عن باريس إلى جنوب فرنسا، حيث يسمح الهواء الجاف الشفاف بأنْ تبدو الطبيعة أنقى مما تكون عليه، ومنذ عام ١٨٧٢م حتى وفاته عاش معظم أيامه هناك، ورسم في ضواحي «أيكس» مسقط رأسه، و«غاردان» و«لستاك».

وعلى الرغم من أصالته الواضحة في كل صورة من صُوَره، غير أن هذه الصور تذهلنا خصوصاً في المشاهد الطبيعية التي رسمها في خليج «مرسيليا» حيث يحتل البحر المتوسط والسماء مكانهما الطبيعي، لكنهما معززان بثبات ضمن إطار من العناصر المتوازنة، وهناك حركة قليلة وانعكاسات محدودة في البحر: لأن سيزان لم يهوَ يوماً لُعبة

الأمواج الوامضة، التي هام بها مونيه، إذ إنّ ماء سيزان في لوحاته يميل إلى السكون، وكذلك حشائشه، وأوراق أشجاره، وضوء سيزان» في لوحاته ليس مبهجًا أو متغيرًا، والألوان عنده لا تترجم لحظات سريعة الزوال مهما بدت ساحرة، وهي لديه أقلّ قُزحيّة من الألوان التي استخدمها الانطباعيون، وأقل تصنُّعًا أيضًا، وتكاد توحي بأن الفنان قد استخلصها من الأشياء ذاتها.

هناك في الواقع نزعتان متناقضتان كانتا تعتملان في سيزان، وكانتا هما السبب في طريقته في الرسم الوئيد الخطا، والمُثقل بالأسى الذي كابدهُ في مساره الفني كلّه، فهو، من ناحية، أراد تسجيل انفعالاته الحادّة تجاه الطبيعة دون أنْ تفقد شيئًا من طراوتها وشدّتها، وهو من الناحية الأخرى، كان مولعًا باستكشاف ما وراء المخل والعابر ليجلوه وينخلّه على قماشة اللوحة بنباهة واستبصار.


منزل د. غاشيه في أوفير



وقد تغلّبت النزعة الثانية في نهاية المطاف، فأعرض عن الحال الزائلة للأشياء، ومال بأشكاله نحو القياسية والتكامل الثابت للأشكال الهندسية، وأعطى اللون قيمة تصويرية أساسية.

وعندما رسم سيزان فواكه، جعلنا نتصور أننا لم نذقها من قبل مطلقًا، وتجاهل لُبَّها وطعمها، لكنه أعطى ألوانها ثراءً، وشكلها نقاوة وامتلاءً، بحيث إنها تحولت إلى عناصر تشكيلية ذات قوة خارقة؛ أي: أنه عندما حرم الأشياء من بعض الخصائص التي أسبغتها الطبيعة عليها، فإنما ليُثقلها بالحياة التي وهبها الفنّ إياها، والمهمّ أن لا شيء أطوع للبحث التشكيلي الخالص من الأشياء غير الحيّة، ولذلك عكف سيزان على رسم عدد من صُور الحياة الساكنة، وربما يندفع بعضهم إلى القول بأن سيزان قد عامل كل شيء، عدا الطبيعة، كحياة ساكنة ونحن إذا نظرنا إلى صور الأشخاص التي رسمها وجدنا أنها لا تنمّ على الحياة الداخلية للموضوع.

ومع ذلك فهي تحرّكنا بجاذبية ألوانها الهادئة، وصلابة ملامحها المجرّدة، التي تضفي عليها نوعًا من الهيبة والوقار.

استعمل سيزان في سنوات حياته الأخيرة أصابعه بحرية، تصحّ مقارنتها بتلك التي بدت منذ أمد طويل في صوره المائية الخلابة، وحين رسم بين عامي ١٩٠٤م و ١٩١٦م لوحته «جبل سانت - فنتوار» الذي أظهر له إجلالًا خاصًا، صارت أشياؤه أقلّ تحديدًا، واقتصر على إبراز الإثارات اللونية والكتل والمستويات، غير أن غنائيته لم تدفعه إلى إهمال البنية (التكوين).

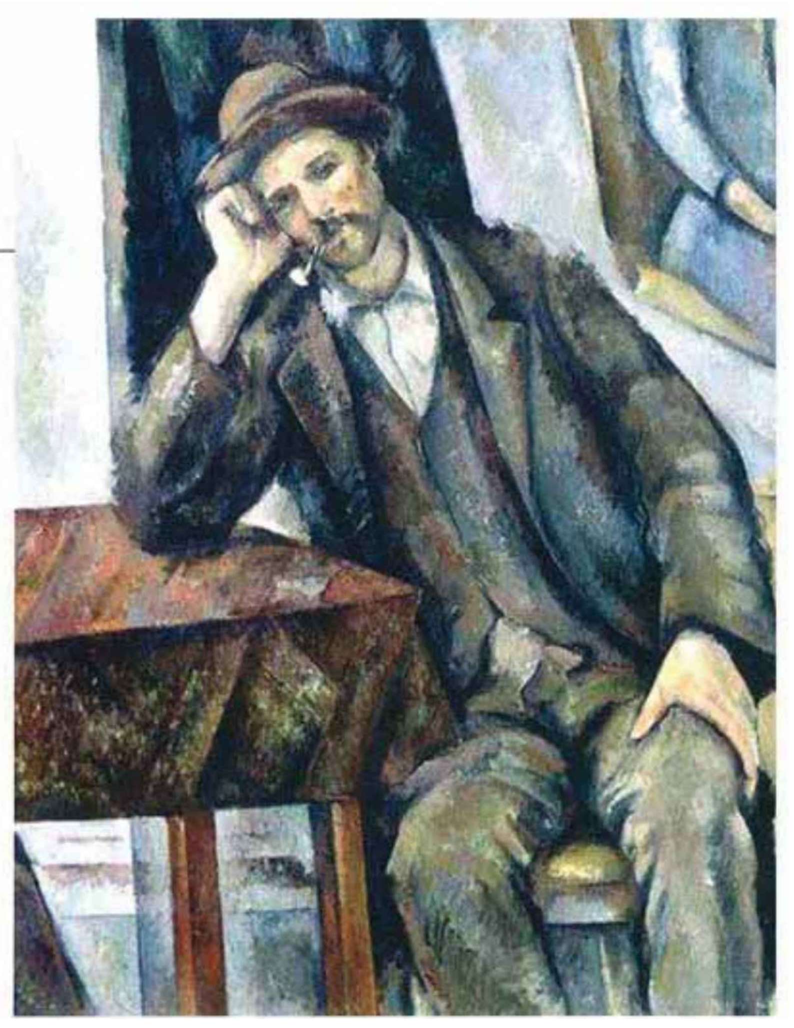
يقول سيزان: «لقد مهّدتُ الطريق، وسيقتفي الآخرون الخُطا». وجاء الآخرون، وصاروا أتباعًا له.

وكان سيزان هو الذي ألهم فنّ الرسم حيويته كلها في النصف الأول من القرن العشرين، وانكبّ النابيُّون والوحوشيون والتكعيبيون على دراسته بحماسة متكافئة ◼



اهتمام دقيق بالتفاصيل




رجل بالغليون

أهمّية سيزان

يذكر هربرت ريد في كتابه «الفنّ الآن» قول سيزان: «أنا لم أحاول نسخ الطبيعة، بل قمت بتمثيلها». ولكن هناك بعض الغموض في كلمة «طبيعة». ومن المؤكد أنّ سيزان كان يفكر بمظهر الأشياء المنظورة للعين من حيث وجودها الموضوعي.

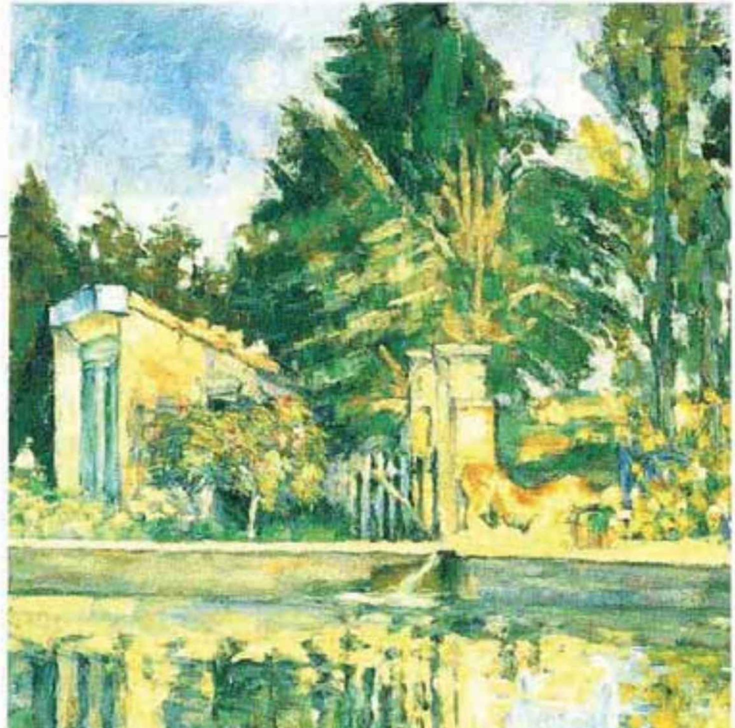
وكانت رغبته هي أن «يمثّل» الأشياء بحدّ ذاتها مثلما هي حاضرة في إحساسه: أي: أن ينصرف عن النقل الميكانيكي التام لذلك المستوى التخيلي المطابق تمامًا للمشهد الأصلي، وأن يتجه، بدلاً من ذلك، وفي فعل الرؤية، نحو إظهار خصائص الأشياء المرئيّة. ولغرض الهروب أيضًا من الرغبات الدخيلة على الهدف المتمثّل بإيصال الإحساس بعيدًا عن الأفكار أو العواطف أو المعتقدات التي هي كثيرًا ما ألهمت الرسّامين في الماضي.

لقد كان تصورًا غيبيًا للرسم فكرة وجود رؤية «حقيقيّة» في إحساس الرسّام، هي رؤية مستقلة عن العقل، وتكون وراء الأحاسيس وخلفها، وهي مادة أوّليّة تقع في أساس المظاهر. فإذا كان الفنان قادرًا على إيصال ذلك، فإنه سيكون قادرًا على تمثيل «الحقيقة» في تركيبها الأصلي، وفي ما تمتلك هذه الحقيقة من قوة، وهذه هي الحقيقة الموضوعية التي تبدأ منها كل العواطف والأفكار اللاّحقة.

وهذا الإدراك للفنّ هو مماثل، تقريبًا، للإدراك الشرقي للفنّ، على الرغم من أنه أكثر موضوعية. وقد كان إحساس الرسّام الشرقيّ بالإيقاع والتناغم من النوع الحدسي، وليس من النوع الإدراكي. وكان مَثَلُه الأعلى أن يصبح متوحّدًا مع العمليات العضوية للطبيعة، وأنْ يقوم بخلق عمل فني بالروح نفسها. والاختلاف ما بين رسم لمشهد طبيعي يقوم به سونغ، ورسم لمشهد طبيعي يقوم به سيزان، هو مثل الاختلاف ما بين طريقة تركيبية، وطريقة تحليلية في معالجة الموضوع. ويتجاوز سيزان، في ما يهدف إليه، النظرية الرمزية كما صاغها «سروزييه» وهو يتجاوز أيضًا أيّ هدف أو إنجاز من أهداف «غوغان» وإنجازاته. غير أن سيزان كان إنسانًا بسيطًا، ولم يتوافر له شخص مثل الناقد سروزييه ليصوغ له نظامًا يتلاءم مع ممارسته العاطفية، وبصيرته العنيدة. وقد كانت طريقة سيزان لا تزال تجريبيّة بمعنى من المعاني. وبقي سيزان ملتصقًا بمثله الأعلى المتمثّل بـ «الرؤية الحقيقية». ولكنّه كان يسعى إلى الوصول إلى تمثيل هذه الرؤية بواسطة وسيلة تجريبية، إذْ كان يقوم بدراسة تركيب وألوان الشيء ذي العلاقة بلا كلل ولا ملل، وبمثابرة تبعث على الجنون. ولم يكنْ يتوقف عن العمل إلاّ بعد أن يشعر بالاطمئنان إلى أن الأشكال والألوان المثبتة على قماش الرسم قد أخذت تمثل فعلاً «الرؤية الحقيقية». لقد كانت طريقة تحتاج إلى صبر قدسي، ولأن القدسيين نادرون جدًا (حتى في صفوف الفنانين)، فليس من المرجح أن تصبح تلك الطريقة من



سيزان يرسم نفسه



الطبيعة محور رئيس في فن سيزان

الطرائق الشائعة، وأريد الذهاب إلى أبعد من ذلك، فأقول: ليس من المحتّم أن تكون تلك الطريقة هي الطريقة الأكثر ملاءمة. ومن أجل تحقيق تلك الرؤية، يجب أن تكون الرؤية آنية أساساً ويجب تمثيلها بواسطة طريقة تحقق توافقاً بين آنيّة الرؤية وتلقائية التعبير.

ومثل هذه الطريقة كان قد مارسها، أول مرة، وعن وعي، هنري ماتيس. وبقيت إحدى أبرز الخصائص المميزة للفنّ المعاصر. وهي النظرية الأولى من بين النظريات الثلاث، التي سادت المشهد المعاصر. وعن طريقها يمكن حلّ التعقيد في الفن الحديث(٩).

خاتمة

بدأت شهرة سيزان بعد وفاته. وفي دراسة مسحيّة أُجريت في عام (١٩٠٥م) طُرح السؤال الآتي: «ما رأيك في سيزان؟». فأجاب عن ذلك الناقد بول سروزييه قائلاً: «إذا كانت هناك مدرسة فنية ستولد من عصرنا، فسوف تُولد هذه المدرسة من فنّ سيزان». وبانعقاد معرض عام ١٩٠٧م في «صالون الخريف»، أصبحت مدرسة سيزان الفنية حقيقة واقعة(١٠).

المراجع

١. البرابيث الياس كوهمان، كتاب سيزان، منشورات شركة (ونهابمر (١٩٨٠م)، الولايات المتحدة الأمريكية، الصفحة (٤).
٢. ماريو دي ميشيلي، كتاب سيزان، الناشرون شركة غروسيت دنلاب نيويورك، (١٩٦٧م)، الصفحة (٤).
٣. البرابيث الياس كوهمان، مرجع سابق.
٤. المرجع نفسه، الصفحات (٦، ٧، ٨).
٥. جان ليماري، كتاب الانطباعية، منشورات دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، عام (١٩٨٧م)، ترجمة فخري خليل ومراجعة جبرا ابراهيم جبرا، الصفحتان (١٣١، ١٤٤).
٦. المرجع نفسه، الصفحتان (١٦٢، ١٦٣).
٧. جي. تي. مولنز، فرانك الغر، كتاب مئة عام من الرسم الحديث، عام (١٩٨٨م)، الناشرون دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ترجمة فخري خليل ومراجعة جبرا ابراهيم جبرا، الصفحات (٣٨، ٣٩، ٤٠).
٨. هربرت ريد، كتاب الفن الآن، من منشورات دائرة الثقافة والإعلام الشارقة (الإمارات العربية المتحدة)، عام (٢٠٠١م)، ترجمة فاضل كمال الدين، الصفحتان (٤٥، ٤٦).
٩. ماريو دي ميشيلي، مرجع سابق، الصفحة (١٥).



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٤٣) المحرم ١٤٢٦هـ / فبراير ـ مارس ٢٠٠٥م.

الفائز الأول: حسن خليل الكاشف . العريش . مصر .
الفائز الثاني: نوال محمد خياط . مكة المكرمة . السعودية .
الفائز الثالث: سامية عبدالرحمن محمد . صنعاء . اليمن .
الفائز الرابع: صباح محمود القطامي . عمان . الأردن .
الفائز الخامس: حسني سلام الرومي . أبو ظبي . الإمارات .
الفائز السادس: بلقاسم بن المولدي . قفصة . تونس .
الفائز السابع: فطمة خليل إسماعيل الحسين . حلب . سورية .
الفائز الثامن: الهراق عبدالمنعم . الرباط . المغرب .

حلّ مسابقة العدد (٣٤٣)

١- مبتكر لقاح شلل الأطفال هو: جوناس إدورد سولك، أو ألبرت بروس سابن.
٢- كتب أبي حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ومثالب الوزيرين، والمقابسات.
٣- منطقة أبها هي أهم منطقة سياحية في المملكة العربية السعودية.

أسئلة مسابقة العدد (٣٤٦)
أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) عالِمٌ فلكي عربي من آثاره كتاب «جداول السَّمت». اذكر اسم هذا العالم.

(٢) «الشاهنامه» ملحمة فارسية شهيرة. اذكر اسم مؤلفها.

(٣) طبل الصفيح رواية حصل مؤلفها على جائزة نوبل في الآداب، اذكر اسم المؤلف.

الاسم: المدينة: ص.ب: هاتف:

العنوان: الدولة: الرمز البريدي: ناسوخ:

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم. فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دوماً، مع تمنياتنا حظاً وافراً لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يوماً.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يوما من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

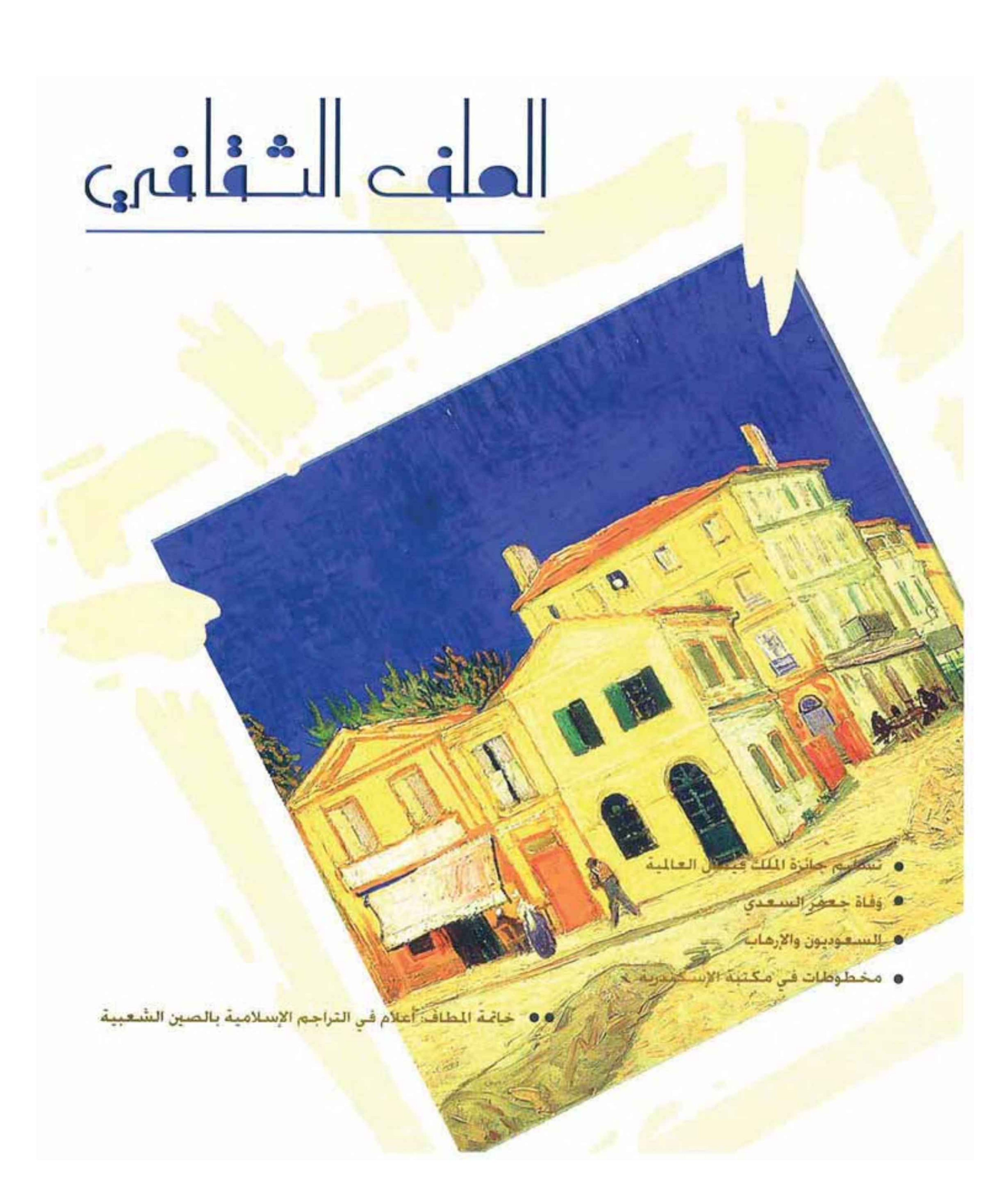
طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) ، الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي



- تسليم جائزة الملك فيصل العالمية
- وفاة جعفر السعدي
- السعوديون والإرهاب
- مخطوطات في مكتبة الإسكندرية

•• خاتمة المطاف: أعلام في التراجم الإسلامية بالصين الشعبية



تسليم جائزة الملك فيصل العالمية

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام مساء الأحد الأول من ربيع الأول ١٤٢٦هـ (الموافق العاشر من أبريل/نيسان ٢٠٠٥م) حفل تسليم جائزة الملك فيصل العالمية السابعة والعشرين لعام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، للفائزين بها من رواد خدمة الإسلام، ومن رواد الفكر والثقافة والأدب والعلوم والطب، وذلك بمقر مؤسسة الملك فيصل الخيرية في الرياض.

وألقى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز ـ المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية رئيس جائزة الملك فيصل العالمية ـ كلمة جاء فيها: «أمير جليل يحتضن الثقافة برعايته الكريمة لهذا الحفل، وجائزة أنشئت لتكريم رموز العلم والإنسانية وعلماء: رجالاً ونساءً وهبوا أنفسهم لفعل الخير وخدمة العلم والإنسان، وجمع مثقف، يوقع بحضوره رسالة حضارة سعودية للعالم أجمع.



الأمير سلطان بن عبدالعزيز والأمير سلمان بن عبدالعزيز مع الفائزين بالجائزة

أي مساء أجمل!

وأي جمع أنبل!

عشتم، وعاش العلم، وعاش الوطن السعودي المتحضر، وعاش الفهد وعبدالله.

عقب ذلك قدّم الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية الدكتور عبدالله العثيمين تعريفًا بالفائزين بالجائزة في فروعها المختلفة. ثم سلم صاحب السمو الملكي الأمير سلطان جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام الذي فاز بها معالي الدكتور احمد بن محمد علي، سعودي الجنسية، رئيس البنك

معالي الدكتور أحمد محمد علي
الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام



وُلد الدكتور أحمد محمد علي في المدينة المنورة سنة ١٣٥٢هـ/١٩٣٤م، ونال الدكتوراه في الإدارة المالية من جامعة ولاية نيويورك سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

بدأ حياته العلمية في حقل التعليم وتنمية القوى البشرية، وأصبح مديرًا للمعهد الإسلامي العلمي في عدن، وعُيّن في سنة ١٣٨٧ـ ١٣٩٢هـ / ١٩٦٧ ـ ١٩٧٢م، رئيسًا بالنيابة لجامعة الملك عبدالعزيز في جدة، وأصبح وكيلاً لوزارة المعارف للشؤون الفنية من سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م إلى سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

وعندما قرّرت الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي إنشاء البنك الإسلامي للتنمية، بمبادرة من الملك فيصل بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ اختير الدكتور أحمد محمد علي أول رئيس للبنك في سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، وفي سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٥م تولّى الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي لمدة عام، ثم عاد لرئاسة البنك الإسلامي حتى اليوم، وقد شهد البنك الإسلامي للتنمية تحت رئاسته تطورًا عظيمًا مكّنه من تحقيق الكثير من أهداف البنك المتمثلة في تطوير العمل البنكي الإسلامي وفقًا لأحكام الشريعة الإسلامية الغرّاء، واتسعت أهداف البنك لتشمل أعمال الإغاثة والعون، ومن أعظم ما أنجز في هذا الصدد مشروع الاستفادة من لحوم الهدي والأضاحي.

وعلى الرغم من مسؤولياته الجسيمة يشارك الدكتور أحمد محمد علي بانتظام في الحياة العلمية والثقافية في المملكة العربية السعودية وخارجها.



مؤسسة الحريري الخيرية
الفائزة بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام

الإسلامي للتنمية، مناصفة مع مؤسسة الحريري الخيرية اللبنانية. وقد رشحت الدكتور أحمد لهذه الجائزة رابطة العالم الإسلامي، ومنح إياها تقديرًا لإنجازاته المتمثلة في إدارته للبنك الإسلامي، وفي دأبه على تنمية العلاقات الاقتصادية بين الدول الإسلامية منذ إنشائه.

كذلك سلم سموه جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لمؤسسة الحريري الخيرية، تسلمها بهاء الدين رفيق الحريري. وقد منحت المؤسسة الجائزة تقديرًا لأعمالها الإسلامية الجليلة، إذ رشحتها كلية الشريعة بجامعة بيروت الإسلامية.

بعد ذلك سلم سموه جائزة الملك فيصل العالمية في فرع الدراسات الإسلامية للأستاذة الدكتورة كارول هيلينبراند البريطانية الجنسية، أستاذة التاريخ الإسلامي في جامعة أدنبره بالمملكة المتحدة التي فازت بها عن موضوع الدراسات التي تناولت دفاع المسلمين عن ديارهم في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وذلك تقديرًا لجهودها الرائدة في موضوع الجائزة بحثًا وتدريسًا وإشرافًا.

ثم سلم سموه جائزة الملك فيصل العالمية في فرع الطب وموضوعها «أخطار التبغ على صحة الإنسان» مناصفة كلاً من: الأستاذ السير ريتشارد دول - بريطاني الجنسية، أستاذ شرف في الأمراض الباطنة في جامعة أكسفورد، والسير ريتشارد بيتو - البريطاني الجنسية، أستاذ الإحصاء الطبي والوبائيات في جامعة أكسفورد أيضًا - وقد منحا الجائزة تقديرًا لبحوثهما الرائدة حول مخاطر التدخين.

ثم سلم سموه جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم، وموضوعها الفيزياء، لهذا العام لثلاثة علماء هم: الأستاذ الدكتور فيديريكو كاباسو - أمريكي الجنسية، من جامعة هارفرد، وفرانك ويلتشيك، وهو أيضًا أمريكي الجنسية، من معهد ماساتشوستس، والأستاذ الدكتور أنطون تسايلينغر - نمساوي الجنسية، الأستاذ في جامعة فيينا بالنمسا - وقد أسهم كاباسو - إسهامًا أساسيًا في اختراع الليزر الشلالي الكوانتي الذي كان مجرد فكرة نظرية لعالمين روسيين، وأصبح حقيقة بفضل جهوده، أما ويلتشيك فهو أحد مكتشفي قوانين القوة النووية التي هي القوة الرابعة في الطبيعة، أما تسايلينغر، فقد عمل على كشف أسرار الفيزياء الكوانتية لتسخيرها في الحياة العملية.

تعدّ مؤسسة الحريري الخيرية في لبنان، التي أسسها الشيخ رفيق الحريري، رئيس وزراء لبنان الأسبق - رحمه الله - من أكبر المؤسسات الخيرية في العالمين العربي والإسلامي، ولها فروع في فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. وقد قامت منذ إنشائها عام ١٩٧٩م بأعمال إسلامية جليلة: لا سيما في مضمار الرعاية التربوية والتعليمية، وفي دعم الأنشطة المتصلة بالهوية الثقافية والاجتماعية العربية والإسلامية.

ومن أعظم إنجازات مؤسسة الحريري مساعدة ما يقارب ٣٥ ألف طالب وطالبة على إكمال دراستهم الجامعية، أو فوق الجامعية، في أكثر من ١٧٠٠ جامعة ومعهد في أرجاء العالم، ومنهم ٨٣٥ طالبًا وطالبة حصلوا على درجة الدكتوراه في كبرى الجامعات العالمية.

وقد أنشأت مؤسسة الحريري أيضًا عددًا من المدارس والمعاهد الجامعية والتقنية، والمراكز الصحية والاجتماعية في لبنان، ورعت مؤسسات العجزة والأيتام في ذلك البلد، كما أسهمت في ترميم عدد من المساجد التاريخية.



الأستاذة الدكتورة كارول هيلينبراند
الفائزة بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية (بالاشتراك)

وُلدت في عام ١٩٤٣م، ودرست في جامعة كمبردج، تحوّل اهتمامها إلى الدراسات الإسلامية ودراسات الشرق الأوسط، وحصلت على درجة الماجستير في الدراسات الشرقية (العربية والتركية) من جامعة أوكسفورد، كما أمضت عامًا في إيران برفقة زوجها الدكتور روبرت هيلينبراند، أستاذ تاريخ الفن الإسلامي، حيث تعلمت الفارسية، وانتقلت بعد ذلك إلى جامعة أدنبرة حيث حصلت على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي في القرون الوسطى عام ١٩٧٩م، وظلت تعمل، منذ ذلك الوقت، في قسم الدراسات الإسلامية ودراسات الشرق الأوسط في جامعة أدنبرة.

وقد ساهمت كارول هيلينبراند بنشاط كبير في تدريس التاريخ

السعوديون والإرهاب

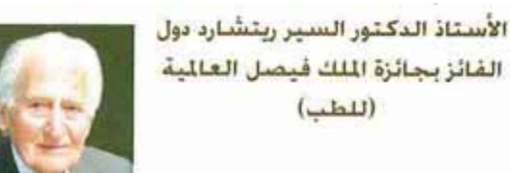
دشن في الرياض في السابع من ربيع الأول الماضي كتاب «السعوديون والإرهاب رؤى عالمية» الذي شارك في إعداده نحو ٢٧ مفكرًا سياسيًا وباحثًا أكاديميًا من جميع أنحاء العالم. وأقيم الاحتفال بمركز البابطين الخيري للتراث والثقافة. وصدر عن دار غيناء للنشر بالرياض.

ويهدف هذا المشروع الفكري إلى بيان حقيقة الإرهاب وتحرير مفهومه. وتتبع أسباب الإرهاب العالمي ودوافعه. وأثار التلون في مفهوم الإرهاب وتطبيقاته الدولية. وبيان حقيقة موقف المملكة العربية السعودية من ظاهرة الإرهاب. وتفنيد الشبهات التي تثار في الغرب عن علاقة السعودية بالإرهاب. وتجلية حقيقة موقف الإسلام والمسلمين من الإرهاب للنخب. والرأي العام العالمي. والغربي خاصة. والبرهنة العملية على إمكانية إسهام العلماء والمفكرين في العالم في اتخاذ موقف تكاملي مشترك من القضايا المهمة التي تؤثر في أمن الإنسان العالمي وسلامته.

وشارك في إعداد الكتاب شخصيات أمريكية هم: إدوارد وولكر - مساعد وزير الخارجية الأمريكي الأسبق لشؤون الشرق الأدنى. وبول فيندلي. عضو سابق في الكونجرس الأمريكي. وتيم كيندي - الشريك المؤسس لمجموعة السياسات الإستراتيجية. وريتشارد كورتيس - دبلوماسي أمريكي متقاعد. ورالف سالمي - عضو التدريس بجامعة كاليفورنيا. ونعوم تشومسكي - المفكر الأمريكي المشهور. وفيليب سيب - أستاذ الصحافة بجامعة ماركويتي بولاية وسكانسون. وديفيد دومنيك - الموظف السابق بالكونجرس الأمريكي. وجون ديوك انثوني - مؤسس المجلس الوطني للعلاقات العربية الأمريكية. وإدوارد شوارز - مراسل صحافي ومحرر أخبار إذاعية. ودايلندا هانلي - محررة أخبار بمجلة واشنطن ريبورت أون ميدل إيست الأمريكية.

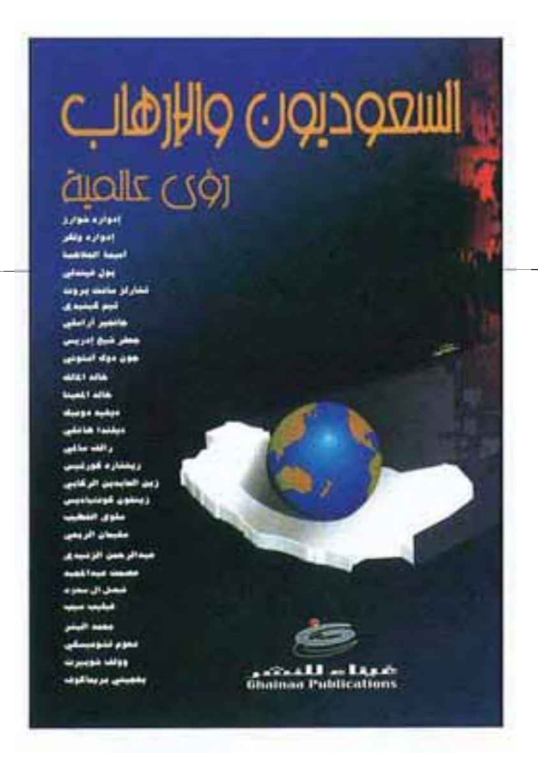
أما المشاركون من آسيا وأوربا وروسيا والوطن العربي فهم: يفجيني بريماكوف - رئيس وزراء روسيا الأسبق.

والفكر الإسلاميين والأدب العربي والفارسي القديم: إضافة إلى تاريخ الحروب الصليبية وأعمال المفكر الإسلامي الكبير أبي حامد الغزالي. وقد اتسمت أعمالها بالموضوعية والدقة. على أن كتابها «الحروب الصليبية: رؤى إسلامية» The Crusades: Islamic Perspectives جامعة أدنبرا ١٩٩٩م يمثل ذروة إبداعها العلمي - أصالة وعمقًا - فهو أول كتاب لباحث أوربي يتناول تاريخ الحروب الصليبية من وجهة نظر المسلمين. ويعتمد في مادته على مصادر عربية وفارسية.

وُلد الأستاذ الدكتور ريتشارد دول في عام ١٩١٢م. وتخرج طبيبًا في مستشفى سانت توماس في جامعة لندن عام ١٩٣٧م. وانضم في عام ١٩٤٨م إلى وحدة البحوث الإحصائية التابعة لمجلس البحوث الطبية. وأصبح رئيسًا لها في عام ١٩٦١م. وفي عام ١٩٦٦م عُيِّن أستاذًا ملكيًا في الطب: وهي أعلى رتبة أكاديمية في جامعة أكسفورد. وفي عام ١٩٧٩م أصبح أول عميد لكلية جرين للدراسات الطبية العليا في جامعة أكسفورد. ومنذ تقاعده في عام ١٩٨٣م أصبح عضو شرف في وحدة الدراسات الوبائية في تلك الجامعة.

ويعدُّ السير ريتشارد دول من أعظم المتخصصين في الجوانب الوبائية للأمراض الخبيثة. وآخر الباقين من جيل علماء الوبائيات الذين نبَّهوا - أول مرة - في أواسط القرن الماضي على علاقة التدخين بسرطان الرئة. وقد شكك عدد من العلماء والعامة في صحة نتائجهم. وخصوصًا شركات التبغ. ودفع ذلك السير ريتشارد دول إلى القيام بدراسة مهمة تضمنت متابعة مستمرة لنحو ٣٤ ألف طبيب بريطاني من المدخنين وغير المدخنين لمدة خمسين عامًا لإثبات العلاقة السببية بين التدخين وسرطان الرئة. وغيرها من الأمراض. ونُشرت أولى نتائج تلك الدراسة عام ١٩٥٤م. وآخرها العام الماضي. وقد أثبتت الدراسة بشكل لا يتطرق إليه الشك أن

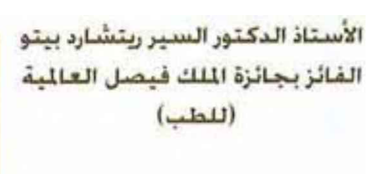


وأحمد عصمت عبدالمجيد ـ الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية، وتشارلز سانت بروت ـ مؤرخ ومحلل سياسي فرنسي، وجانجير أراسلي ـ محلل عسكري مهتم بشؤون العالم العربي والإسلامي، رئيس مركز دراسات الإرهاب بأذربيجان، وزينفون كونتياديس ـ المدير الأكاديمي لمركز القانون الدستوري، الأستاذ بجامعة بيلوبونيس في اليونان، وولف شوبيرت ـ محام ومحاضر في الشؤون العربية، وعضو جمعية الشرق الأوسط في مدينة هامبورج بألمانيا، وجعفر شيخ إدريس ـ المفكر الإسلامي السوداني، ورئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة.

والمشاركون من السعودية هم: الأمير فيصل بن مشعل بن سعود آل سعود ـ المشرف العام على مشروع الكتاب، وخالد المالك ـ رئيس تحرير صحيفة الجزيرة، وخالد المعينا ـ رئيس تحرير صحيفة (عرب نيوز)، وعبدالرحمن الزنيدي ـ أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وسليمان بن عبدالعزيز الربعي ـ المحاضر بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة القصيم، وسلوى الخطيب ـ عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود، وأميمة الجلاهمة ـ الأستاذ المساعد بكلية التربية بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك فيصل فرع الدمام.

التدخين واستنشاق القطران الموجود في السجائر يرتبطان ارتباطًا كميًا وعضويًا وثيقًا بسرطان الرئة لما يسببانه من تلف وطفرات في المادة الوراثية بالخلايا. وعلى الرغم من أن عمره تجاوز ٩٢ عامًا، إلا أنه ما زال يعمل بنشاط في بحوث علوم الوبائيات.




الأستاذ الدكتور السير ريتشارد بيتو
الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية
(للطب)

ولد في عام ١٩٤٣م، ودرس العلوم الطبيعية في جامعة كمبردج، ثم حصل على الماجستير في الإحصاء من جامعات لندن، وكمبردج، وأكسفورد. وبعد أن عمل لعامين في وحدة بحوث الإحصاء التابعة لمجلس البحوث الطبية في لندن انتقل إلى جامعة أوكسفورد باحثًا ومحاضرًا، ثم أستاذًا مشاركًا في قسم الطب، وأصبح ـ منذ عام ١٩٩٢م ـ أستاذًا للإحصاء الطبي وعلم الوبائيات، ومديرًا مشاركًا لوحدة بحوث التجارب السريرية في أكسفورد.

والسير ريتشارد بيتو في طليعة علماء الوبائيات المعاصرين. وقد قام بدراسات رائدة حول أسباب السرطان عمومًا وتأثير الدخان على وجه الخصوص، كما أجرى دراسات واسعة النطاق تتعلق بالجوانب الوبائية لأمراض القلب والأوعية الدموية، وغيرها، وأدخل مفهومًا جديدًا في التحليل الإحصائي للتجارب السريرية. وقد عمل عدة عقود ـ وما زال ـ إلى جانب السير ريتشارد دول في بحث الآثار الخطيرة الناتجة من التدخين، وأصبحا سويًا أشهر عالمين في هذا المجال، وتميزا كذلك بقدرة فائقة على إيصال نتائج بحوثهما بأسلوب بسيط وفعّال يفهمه عامة الناس.

وإضافة إلى بحوثه المشتركة مع السير ريتشارد دول، فقد أجرى السير ريتشارد بيتو دراسات واسعة المدى في الصين، والهند، وغيرهما من الدول النامية الأخرى؛ بما في ذلك مصر وكوبا والمكسيك، حول مخاطر التدخين.

وقد نُشر له أكثر من ٤٠٠ بحث علمي، كما مُنح الكثير من الجوائز والدرجات الفخرية والزمالات.

وفاة جعفر السعدي

توفي في الأيام الماضية عميد المسرحيين العراقيين جعفر السعدي بعد عمر طويل عاصر فيه ازدهار المسرح العراقي وخرابه. وكان السعدي من أوائل الذين هاجروا من العراق في عهد النظام السابق، من أجل ألاّ يفقدوا جذوة المسرح في روحهم، وألاّ يساوموا على نقائهم وفنهم تحت سطوة «زوار الليل». وتجيء وفاة السعدي بعد وفاة زوجته الفنانة ماجدة السعدي بزمن قصير.

وكانت وزارة الثقافة العراقية قد أطلقت على الدورة الأولى لمؤتمر الثقافة العراقية اسم جعفر السعدي تكريمًا له، وقد داهم الموت السعدي وهو جالس وسط حشد من المثقفين يشاهد فقرات حفل الافتتاح.

ساهم السعدي منذ بداياته الفنية في نهضة المسرح العراقي، إذ أسس فرقة مسرحية قدمت عددًا كبيرًا من الأعمال المسرحية مثل مسرحية «ثمن الجنون» لتوفيق الحكيم.

واقتحم السعدي مجال السينما، وشارك في أول فيلم عراقي، وهو: عليا وعصام، وأيضًا في فلم سعيد أفندي، بالإضافة إلى مشاركاته في عدد من المسلسلات التلفازية، أشهرها مسلسل: «الذئب، النسر وعيون المدينة».

وتعرض الفنان الراحل إلى العزل عن المؤسسات الثقافية والفنية في ظل نظام صدام حسين، وأسندت إليه بعض الوظائف الإدارية فقط من دون أن يشارك في برامجها وأنشطتها الفنية.

وعلى الرغم من كل هذه الإحباطات كان السعدي متفائلاً إلى أبعد الحدود. فقد قال في أحد تصريحاته الأخيرة: «نعيش اليوم في وضع مأساوي: حيث الانفلات الأمني والفوضى والخراب. ومن المؤكد أن مثل هذا المناخ لا يمكن أن يساعد على توفير العمل، وخاصة في مجال المسرح أو السينما أو التلفاز: لذا فليس غريبًا أن تجد عشرات الفنانين ينتظرون تحت أشعة الشمس، يبحثون عن عمل يسدون به رمق عوائلهم، ومع أن الكثير من الفنانين يشعرون باليأس، فإني متفائل بأن المستقبل سيكون أفضل بعون الله، ولا بد للمسرح الجاد والملتزم أن يجد طريقه إلى الناس بعد أن تزول هذه الغمة عن هذه الأمة».

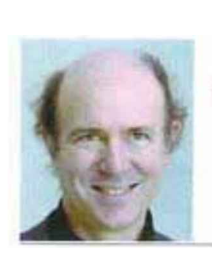


الأستاذ الدكتور فيديريكو كاباسو الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية (للعلوم)

ولد في روما عام ١٩٤٩م، وحصل على الدكتوراه في الفيزياء بامتياز من جامعة روما عام ١٩٧٣م، والدكتوراه الفخرية في الهندسة الكهربائية من جامعة بولونيا عام ٢٠٠٣م، وهو حاليًا أستاذ كرسي روبرت والاس للفيزياء التطبيقية في جامعة هارفارد التي التحق بها عام ٢٠٠٣م.

أجرى الأستاذ الدكتور كاباسو بحوثًا رائدة في مختلف مجالات الفيزياء، والهندسة الكهربائية، شملت علوم البصريات، والإلكترونات الكمية، وفيزياء أشباه الموصلات، والميكانيكا الدقيقة، وغيرها، وكانت الفكرة الرئيسة التي وحّدت بين بحوثه هي التصميم الكمي، ودراسة مواد صنعية جديدة، وتحديد خواصها الإلكترونية والضوئية.

ويعدّ كاباسو رائدًا في هذا المجال، ومن أعظم ما حققه كاباسو وفريقه ابتكار الليزر الكمي التصاعدي؛ وله أكثر من (٣٠٠) بحث علمي، كما قام بتحرير أربعة كتب، وحصل على أربع وخمسين براءة اختراع في الولايات المتحدة.



الأستاذ الدكتور فرانك ويلتشيك الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية (للعلوم)

ولد الأستاذ الدكتور فرانك ويلتشيك في مدينة نيويورك عام ١٩٥١م، وتعلّم في مدارسها، ثم التحق بجامعة شيكاغو عام ١٩٦٧م، وحصل منها على البكالوريوس في الرياضيات عام ١٩٧٠م، ثم انتقل إلى جامعة برنستون حيث حصل على الماجستير في الرياضيات والماجستير في الفيزياء عام ١٩٧٢م، والدكتوراه في الفيزياء عام ١٩٧٤م، وعمل بعد ذلك في جامعة برنستون، وحصل على كرسي الأستاذية عام ١٩٧٩م، ثم التحق بمعهد الفيزياء



فريدا كالو بانت

أمتعة فريدا كالو بانت

عثر مؤخرا في مكسيكو على صناديق من الكارتون تحتوي على أمتعة تخص الفنانة التشكيلية المكسيكية الراحلة فريدا كالو بانت التي تعدّ من أكبر فناني القرن العشرين. وقد وجدت هذه الصناديق، التي يرجح أنها تحتوي على ألبسة وصور فوتوغرافية ومجوهرات، في المنزل الذي كانت تقيم فيه مع زوجها دييغو ريفيرا، رسام الجداريات الكبيرة التي تصف الثورة المكسيكية في العشرينيات من القرن الماضي. وقد أعلن العثور على هذه المحتويات بعد الفراغ من ترميمها.

ولدت فريدا كالو بانت عام ١٩٠٧م، وتعلمت الرسم بنفسها عندما فرضت عليها ظروف المرض أن تبقى في السرير مدة طويلة من جراء حادث الأوتوبيس الذي أصيبت به عام ١٩٢٥م، والذي لم تشف منه تماما حتى وفاتها عام ١٩٤٥م. وبلغت لوحات فريدا كالو بانت نحو ١٤٠ لوحة ذات ألوان جريئة فاقعة. ومن المقرر أن يقام لها في شهر يونيو/حزيران القادم أكبر معرض في العاصمة البريطانية لندن بواسطة التات غاليري.. يضم نحو سبعين عملا، من بينها عملان أعارتهما المطربة المشهورة مادونا خصيصى لهذه المناسبة.

وكانت الممثلة المكسيكية اللبنانية الأصل سلمى الحايك قد جسّدت حياة هذه الفنانة في فيلم سينمائي أخرج في هوليود.

النظرية التابع لتلك الجامعة في سانتا بربارا عام ١٩٨٠م، حيث أصبح أستاذا لكرسي روبرت هتباخ في الفيزياء. وفي عام ١٩٩٠م انتقل إلى معهد الدراسات المتقدمة في برنستون أستاذا لكرسي روبرت أوبنهايمر للفيزياء.

وفي عام ٢٠٠٠م انضم إلى معهد ماساشوسيتس التقني حيث يشغل حاليا منصب أستاذ كرسي هيرمان فيشباخ. كما عمل أستاذا زائرا في عدد من الجامعات.

حقق الأستاذ الدكتور ويلتشيك إنجازات عظيمة في مجال الفيزياء النظرية وفي طليعتها اكتشافه قوانين قوّة رابعة في الطبيعة هي القوة الصلبة لبنية نواة الذرة، وتحليله لمظاهر الديناميية اللونية الكمية. وكان عمره وقتئذ لا يتجاوز ٢١ ربيعا. وقد أتبع ذلك الكشف الفريد الكثير من الإنجازات الرائدة الأخرى في شتى مجالات الفيزياء النظرية، والكونية، ونظرية الجزيئات، وفيزياء الحالة الصلبة.

وقد مُنح الدكتور ويلتشيك الكثير من الجوائز تقديرا لإنجازاته العلمية الرفيعة، من بينها جائزة نوبل في الفيزياء التي نالها عام ٢٠٠٤م.

وقد نُشر له أكثر من ٣٧٠ بحثا في أشهر المجلات العلمية، ودعي إلى إلقاء المحاضرات في عدد من الجامعات العالمية الكبرى.



الأستاذ الدكتور أنطون تسايلينغر الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية (للعلوم)

ولد الأستاذ الدكتور أنطون تسايلينغر، في عام ١٩٤٥م، وحصل على الدكتوراه في الفيزياء والرياضيات من جامعة فيينا عام ١٩٧١م. وبعد سلسلة من الدراسات العميقة في الفيزياء الكميّة التجريبية امتدت أكثر من ثلاثين عاما في النمسا والولايات المتحدة تمكّن الأستاذ الدكتور تسايلينغر وفريقه من نقل تقانة المعلومات الكميّة من المختبرات إلى أرض الواقع، فنقلوا في عام ٢٠٠٣م

سوريا تكرم أدباءها

أصدر الرئيس السوري بشار الأسد في الشهر الماضي مرسومًا يقضي بمنح عدد من الأدباء وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة؛ تقديرًا لجهودهم في مجال الفكر والثقافة، والأدباء هم: سليمان العيسى، ومحمد الماغوط، ووليد إخلاصي.

ويري بعض الدارسين أن هذه الخطوة سيكون لها وقع جمالي أخر لو حدثت قبل وفاة ممدوح عدوان، وغيره من أدباء سورية وشعرائها، أمثال سعد الله ونوس، ونزار قباني، وغيرهما من الذين كانوا يعيشون داخل سورية أو خارجها.

وقد ترك الشاعر الماغوط عددًا من المؤلفات منها: «خارج السرب»، و«سياف الزهور»، ومسرحيته «قيام جلوس سكوت»، وأحدث إصداراته الكتاب الشعري «شرق عدن، غرب الله».



وليد إخلاصي

وقال الشاعر محمد الماغوط في أحد مؤلفاته وهو كتاب «اغتصاب كان وإخواتها» الصادر عن دار البلد في دمشق من إعداد الشاعر خليل صويلح: «رغم بؤس طفولتي فيها (يقصد مدينة السلمية في محافظة حماة) إلاّ أنها نمّت فيّ حسّ التمرّد. أما مغادرتي النهائية للسلمية فكانت بين عامي ١٩٥٥ و١٩٥٦م، عندما اعتقلت أول مرة، وكان المكان الأول الذي أزوره خارجها: (سجن المزة)». ويقول أيضًا: «كنا أنا وأدونيس في زنزانتين منفصلتين، وكنت أراه من بعيد، وبداياتي الأدبية الحقيقية كانت في السجن، معظم الأشياء التي أحبها أو أشتهيها، وأحلم بها، رأيتها من وراء القضبان: المرأة . الحرية . الأفق».

أما الشاعر سليمان العيسى فقد ولد في قرية النعيرية قرب أنطاكية بلواء الأسكندرونة عام ١٩٢١م، وعمل بالتدريس في عدد من ثانويات المدن السورية مثل ثانويات حماة واللاذقية ودمشق وحلب، وقد اشتهر العيسى بأناشيده الوطنية التي تدرس لأطفال الصفوف الدراسية الأولى في سورية، وله عدد من الأعمال منها: «أعاصير في السلاسل»، و«ضياع الزهور».

أما الأديب وليد إخلاصي فقد ولد في إسكندرونة في عام ١٩٣٥م، ودرس في حلب والقاهرة، ونال الإجازة في العلوم الزراعية، وله عدد من الأعمال، منها: روايات «بيت الخلد»، و«خان الجمر»، و«ملحمة القتل الصغرى»، وكتاب «المتعة الأخيرة . اعترافات شخصية في الأدب».

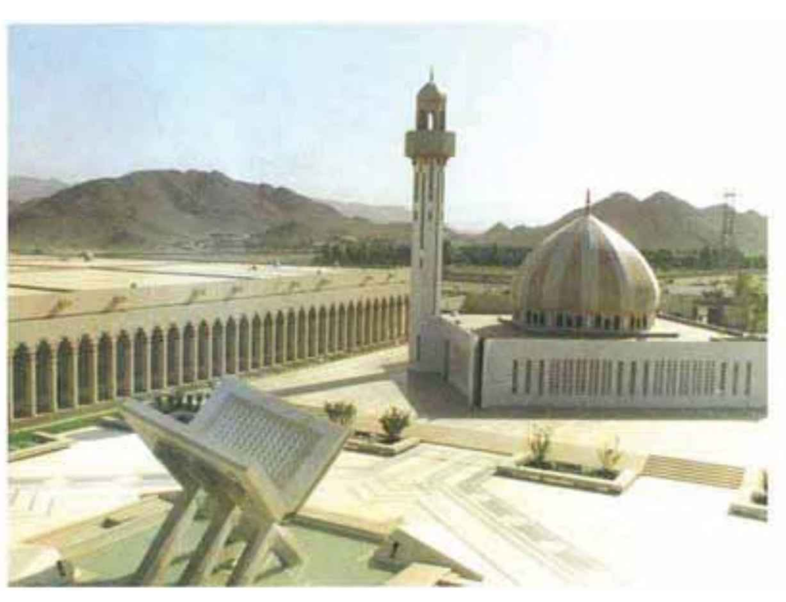
جزيئات الضوء (الفوتونات) المتشابكة عبر نهر الدانوب في فيينا، محققين بذلك أول تطبيق ميداني ناجح للنقل الكمي عن بُعد Quantum teleportation واتبعوا ذلك، في عام ٢٠٠٤م، باول عملية تطبيقية للتعمية الكميّة، التي لا يمكن اعتراضها أو السطو عليها، وذلك بإجراء تحويل مالي إلى أحد بنوك فيينا. ويعمل تسايلينغر حاليًا على إنشاء شبكة عالمية للاتصالات الكميّة عبر الأقمار الصناعية، وعلى تطوير حاسوب كمّي يستخدم خصائص الضوء وسرعته، ويشكل مفهومًا جديدًا في عالم الحواسيب.

نُشر لتسايلينغر أكثر من ٣٥٠ بحثًا علميًا، كما دُعي إلى إلقاء أكثر من ٥٠٠ محاضرة في شتى جامعات العالم. وحرصًا منه على مشاركة الآخرين في اهتماماته بعالم الفيزياء الكميّة المثير، نشر كتابًا باللغة الألمانية بعنوان قناع أينشتاين Einstein Veil لاقى رواجًا كبيرًا، وظل فترة طويلة على قائمة أفضل الكتب الألمانية، وتجرى حاليًا ترجمته إلى لغات أخرى.

وحصل تسايلينغر على عدد من الجوائز والتقدير العلمي بفضل إنجازاته.

مجلة الدراسات القرآنية

يعتزم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف إصدار مجلة علمية محكّمة متخصصة بالقرآن الكريم وعلومه، تصدر مرتين سنويًا باسم مجلة «البحوث والدراسات القرآنية».
وتهدف المجلة إلى تنشيط البحث العلمي والإسهام في نشر الدراسات والبحوث المعنية بالقرآن الكريم وعلومه: مما يثري مكتبة الدراسات القرآنية، ويدعو إلى التواصل العلمي بين المختصين في هذا المجال.
وتحقيقًا لهذا المقصد، فإن مجال النشر في المجلة يشمل: تحقيق المخطوطات المتصلة بالقرآن الكريم وعلومه، والدراسات والأعمال الخاصة بترجمات معاني القرآن الكريم.
وتتم المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان الآتي:
مجلة البحوث والدراسات القرآنية
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
المدينة المنورة ص . ب ٦٢٦٢
المملكة العربية السعودية
هاتف وناسوخ:
٨٦١١٥٦٠٠ . تحويلة رقم: ١٨١٠
كما يمكنكم المشاركة عن طريق البريد الإلكتروني على العنوان الآتي:



مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

Journal @ qurancomplex.org
وللحصول على معلومات إضافية عن المجلة يمكن زيارة عنوانها التالي على الشبكة العالمية (الإنترنت):
WWW. quran.com
plex.org/ journal

مخطوطات في مكتبة الإسكندرية

تلقت مكتبة الإسكندرية نسخة كاملة من مخطوطات عربية وفارسية وتركية بلغ عددها نحو ١٤ ألف مخطوطة من المكتبة البريطانية - كما جاء في صحيفة الشرق الأوسط - وتُعدّ هذه المجموعة أكبر مجموعة من نوعها من هذه المخطوطات في العواصم الأوربية.
وقال الدكتور إسماعيل سراج الدين - مدير مكتبة الإسكندرية: إن هذه المخطوطات ستتاح للاطلاع في القاعة الخاصة بقراءة الميكروفيلم والميكروفيش بالمكتبة، وذلك عند افتتاح هذه القاعة للجمهور يوم ٢٠ أكتوبر/ تشرين الأول المقبل، وهي إحدى ثلاث قاعات مخصصة لخدمة العلماء والباحثين والدارسين في مختلف المجالات التراثية.

كذلك تستضيف المكتبة خلال شهر مايو/ أيار القادم أحد أجزاء المعسكر الثاني لنشر السلام الذي تقيمه منظمة الشعوب الدولية في الفترة من ٢٩ أبريل/ نيسان حتى العاشر من مايو/ أيار المقبل في مصر.
وقد تقرر أن تستقبل مكتبة الإسكندرية أكثر من ٧٠ شابًا من شباب العالم من عدد من القارات تشمل الأمريكيتين، وشمال إفريقية، وآسيا، والشرق الأوسط، وذلك بغرض تعزيز فكرة المفاوضات والحوار السلمي بين الشعوب.
كما أن مدير المكتبة الدكتور سراج الدين سيلتقي هؤلاء الشباب عند زيارتهم للمكتبة، ليشرح لهم الدور الذي تقوم به المكتبة في بناء أواصر السلام في العالم بحسبها منارة للثقافة والحقيقة، بعدها يقوم هؤلاء الشباب بإرسال رسائل سلام عبر الإنترنت للعالم أجمع عبر مكتبة الإسكندرية.







مونرو، إليزابيث/ فيلبي الجزيرة العربية، ترجمة: أحمد عمر شاهين ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٥هـ، ٣٤٢ص.

يتناول هذا الكتاب سيرة سانت جون فيلبي أهم مستكشفي الجزيرة العربية، إذ كان موظف في الإدارة البريطانية في الخليج العربي في بداية القرن العشرين، ثم الممثل السياسي للسيد «كوكس» القائم بالأعمال البريطانية في الخليج، وكان من أقرب الذين تعاملوا مع الملك عبدالعزيز آل سعود، واظب فيلبي على كتابة يومياته في أثناء رحلاته، فهو يسجل اسم كل مكان من تلال وأودية وآبار وأشجار، ويجمع الطيور والخنافس والسحالي والزهور والعينات الجيولوجية، ويرسلها إلى المتحف البريطاني، ويقيس درجات الحرارة والضغط الجوي والارتفاع عن سطح البحر، واتجاهات البوصلة، ويرسم تخطيطًا للمعالم الأرضية، وينسخ النقوش، ويستجوب بدقة كل المرشدين والغرباء الذين يقابلهم عن التاريخ والمجتمع، وعن الأصول القبلية، والعادات الصحراوية، وعاش على حفنة من التمر، وقربة من ماء، ويجلس في آخر النهار ليكتب على ضوء مصباح بخط مرتب مقروء نتيجة ملاحظاته واستجواباته.

اعتمد أغلب الذين كتبوا عن الملك عبدالعزيز وحياته على كتب فيلبي، وله عدد من الكتب التي يرصد من خلالها رحلاته في مجالات السياسة، والإدارة، والآثار.



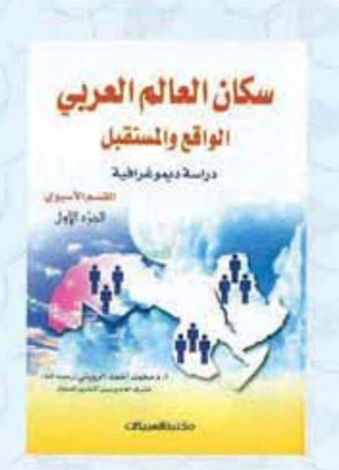
ريد، دوغلاس/ جدل حول صهيون ـ دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م، ٦٩٩ص.

هذا الكتاب إعادة نظر جذرية للتاريخ الحديث انطلاقًا من أهم المشكلات والمسائل الدينية ـ والسياسية للعصر الحديث، مستندًا إلى رؤية تحليلية تناولت المعتقدات اليهودية منذ عصر موسى والتوراة وكتب الشريعة اليهودية، فاضحًا هذه العقيدة المضادة لكل الأديان، والداعية إلى مبدأ الانعزال والانزواء والكره العرقي، والتعطش إلى الدم تحت شعار الدين والثأر.

وينتقد الكتاب الكنيسة المسيحية التي عدّت العهد القديم مقدسًا، كما العهد الجديد، إذ كان هو السبب الرئيس للخلافات الحادة التي عصفت، وأدت إلى انقسامات فيها، فكيف يمكن التوفيق بين إله محب للجميع من جهة، وإله يدعو إلى تدمير الآخرين، وأخذ ممتلكاتهم من جهة أخرى، وتلمود إرهابي يرتكز على الوشاية والطرد والنبذ وأحكام الموت.

لقد سرد المؤلف صورة القرن العشرين مبينًا الأحداث التي كانت مخفية، وفاضحًا المعتقدات التي ولدت في الماضي السحيق، ونمت على أيدي كهنة منافقين وهمجيين، وصولاً إلى الوقت الحالي، وظهور حركة سياسية مدعومة بأموال ونفوذ واسع في جميع العواصم العالمية.

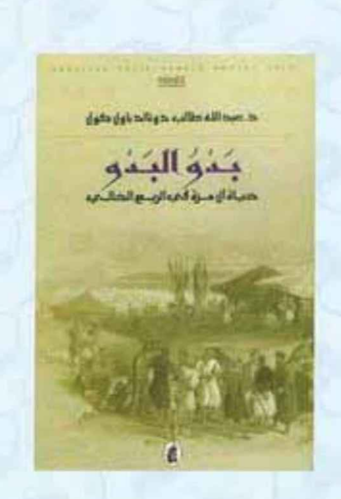




الرويثي، محمد أحمد/ سكان العالم العربي بين الواقع والمستقبل: دراسة ديموغرافية، (جزءان)ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ١١٧٠ص.

كانت الدراسات السكانية في العالم العربي حتى وقت قريب قليلة، بل تكاد تكون معدومة لسببين: أولهما: أن الصورة لم تكن واضحة تماماً بين السكان من جانب والنمو الاقتصادي والاجتماعي من جانب آخر، والآخر: لم يكن هناك بيانات سكانية يعتمد عليها في الدراسة، فالإحصاءات السكانية في العالم مستحدثة نسبياً، وتعدّ هذه المحاولة لإصدار الكتاب عن سكان العالم العربي التي قام بها المرحوم الرويثي رائدة وجادة، وستسد فراغاً مهماً في موضوع دراسة سكان العالم العربي، إذ قصد من هذه الدراسات التي يتضمنها الكتاب تسليط الضوء على الصورة من الجوانب الديمغرافية، والإشارة إلى الارتباط المتبادل بين السكان والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، والإشارة إلى واقع البيانات السكانية وما بها من قصور، وتلمس الطريق لمستقبل سكان العالم العربي من حيث النمو في الحجم والاقتصاد، وقسم الكتاب قسمين: يشمل الأول سكان العالم العربي في آسيا، والقسم الثاني سكان العالم العربي في إفريقية.

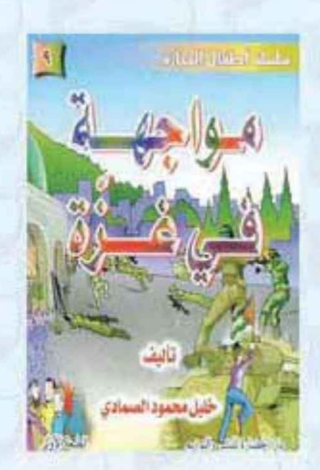
وشارك في إعداد هذا الكتاب عدد كبير من الأساتذة من الأقطار العربية إذ كتبوا عن اثنين وعشرين قطراً عربياً.



كول، عبدالله طالب دونالد باول/ بدو البدو: حياة آل مرة في الربع الخالي ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م، ٢١١ص.

نشر هذا الكتاب سنة ١٣٩٥هـ، وهو بحث ميداني أجراه المؤلف بين عامي ١٣٨٨و١٣٩٠هـ في الربع الخالي والمنطقة الشرقية في أثناء حكم جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، ويحوي الكتاب تراث قبيلة آل مرة وتاريخها، إذ عاش عبدالله طالب أو «دونالدو باول كول» الذي أسلم فيما بعد بعد قضائه ثمانية عشر شهراً مع قبيلة آل مرة في المناطق الصحراوية الشرقية، والجنوبية الشرقية من السعودية، وكان المؤلف طالباً في الدراسات العليا بجامعة كاليفورنيا ـ بيركلي، ويعدّ بحثاً خاصاً برسالة الدكتوراه في علم الإنسان.

وتهدف هذه الدراسة إلى إظهار الكيفية الماهرة التي تم بها استخدام البيئة الجافة القاسية بطريقة عقلانية ومستديمة، كما تهدف إلى فهم مظاهر الحياة عند الأسرة العربية من حيث الزواج والقرابة، وتقديم فهم واسع وأكثر شمولاً؛ لمعرفة ثقافة مجتمع أكثر تعقيداً يعيش في إطاره بدو السعودية، ويناقش الكتاب بإيجاز المجتمع الحضري الشامل، إذ يصف ملامح عامة عن الإسلام ودوره في حياة البدو، ويبين أنواعاً من المتغيرات التي كان ينتظر حدوثها في المستقبل، أما الهدف العام من هذا الكتاب، فهو تقديم رؤية إيجابية وواقعية لأناس كان يعيش بينهم المؤلف، ويرجع لهم الفضل في تعليمه كل شيء له مغزى في هذا الكتاب.



الصمادي، خليل محمود/ سلسلة أطفال الحجارة ـ الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

هذه السلسلة هي السلسلة الثالثة للمؤلف، إذ كانت الأولى بعنوان: «فتيان ولكن أبطال ـ عشرون قصة» والثانية بعنوان: «قصص من التراث».

وامتازت هذه السلسلة بواقعيتها، فأبطال السلسلة من أطفال الحجارة التي تناقلتها وسائل الإعلام منذ اندلاع الانتفاضة كحسام أبو زنط، ومحمد الدرة، وفارس عودة، وإبراهيم ريان، وشادي، وخالد، ورامي، وغيرهم من أطفال الانتفاضة.

أطفال في عمر الورد عبروا عن رفضهم للاحتلال البغيض برمي الحجارة على الآليات والدبابات والمجنزرات، ولكن الرد كان قاسيًا فسقط العشرات منهم ما بين شهيد وجريح، وغابت عنهم عدسات التصوير إلا ما ندر، كمحمد الدرة، وفارس عودة إذ جاءت صورتاهما مصادفة، فأخذتا اهتمامًا واسعًا في وسائل الإعلام، ولكن المئات من الأطفال الآخرين غابت عنهم عدسات التصوير، وكانت مأساتهم أشد مما التقطته العدسات، إذ لاقوا من عدوهم أضعاف ما لا قاه ممن وثّقت صورهم.

تلقي هذه السلسلة الضوء على بعضهم، وعلى كثير منهم، فأطفال فلسطين متشابهون في السلوك اليومي، فعدو يحرمهم من براءتهم، وهم يحرمونه من أمنه، أطفال لا يجدون ما يقضون أوقات فراغهم سوى مقارعة المحتل بأسلحة بريئة كبراءتهم، فهم يحاولون تطوير أسلحتهم التقليدية «الحجارة والنبيطة والمقلاع» فتفتقت أذهانهم عن أسلحة حديثة فأحضروا حبات البطاطا وزرعوا بها المسامير، وألقوا بها تحت العربات، وأطلوا بعض الحجارة بمربى المشمش والخوخ وألقوا بها جنود الاحتلال، وانطلقوا حيث أسراب النحل التي لا تلسع إلا المؤذين والمجرمين، وقبل هذا أوجدوا بديلاً للمدارس التي أغلقها المحتل فانتظموا يدرسون في المساجد العلوم الشرعية، والرياضيات، والعلوم، واللغة العربية، وغيرها من المواد الدراسية.

تضم هذه السلسلة القصص التالية: المحرض الصغير، لا شلت يمينك، لسعات النحل القوية، فارس يهزم دبابة، قتلوك يا محمد، عند معبر المنطار، رفرف يا علم، حبات البطاطا المدمرة، مواجهة في غزة، ابن الأسير.

جاءت كل قصة في ١٦ صفحة مزينة بالرسوم الجميلة الملونة أبدعتها أنامل الفتى سنان عبدالناصر مغنم (١٦) عامًا فجاءت معبرة عما يجيش في خاطر الأطفال والفتيات بصورة أكثر وضوحًا، وأدق تعبيرًا.



المقصودي، محمد بن أحمد/ المسؤولية التأديبية لأعضاء هيئة التحقيق والادّعاء العام وفقًا لأنظمة القضاء وديوان المظالم في المملكة العربية السعودية (دراسة مقارنة بنظام تأديب الموظف العام)، تقديم: محمد بن سليمان المهوس ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٥٧٦ص.

يهدف هذا الكتاب إلى إيضاح الطبيعة الخاصة للمسؤولية التأديبية لأعضاء هيئة التحقيق والادّعاء العام، مقارنًا بما هو مقرر في نظام القضاء، ونظام ديوان المظالم بالسعودية، إذ تناول المؤلف الأسس العامة للمسؤولية التأديبية، وبيان الجريمة التأديبية، وأركانها واستقلالها عن الجريمة الجنائية، والطبيعة النظامية للمخالفة التأديبية، كما تطرق إلى بيان القواعد المنظمة لمسؤولية أعضاء هيئة التحقيق، والادّعاء العام، والواجبات العامة والخاصة لهم، مقارنًا بما هو مقرر لأعضاء السلك القضائي، مع إيضاح العقوبات التي تطبق عليهم، مشيرًا إلى الضمانات التي يطرحها نظام الهيئة، ولائحة الأعضاء على إثارة هذه المسؤولية.

وخلص المقصودي إلى تأكيد أن هيئة التحقيق والادعاء العام أحد أعضاء السلطة القضائية من ناحية، وغياب التقنين الشامل للمخالفات التأديبية، وربطها بالجزاءات من ناحية أخرى، وأوصى باضطلاع لجنة إدارة الهيئة بالقيام بهذه المهمة، وأن قواعد الشريعة الإسلامية تستوعب الحقوق والواجبات والمحظورات الواجبة على الموظفين كافة، وضرورة سن قانون إجرائي للتأديب، وإمكانية الطعن في الأحكام الصادرة من مجالس تأديب أعضاء السلطة القضائية أمام دائرة خاصة يتم إنشاؤها في ديوان المظالم، وضرورة الإسراع في إصدار لائحة التفتيش النموذجية، التي تحدد بوضوح اختصاصات إدارة التفتيش، وقواعد التفتيش على أعمال أعضاء الهيئة.



المراد آبادي، مولانا رفيع الله/ الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية (١٢٠١هـ/ ١٧٨٩م)، ترجمة: سمير عبدالحميد ـ القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م، ١٦٦ص.

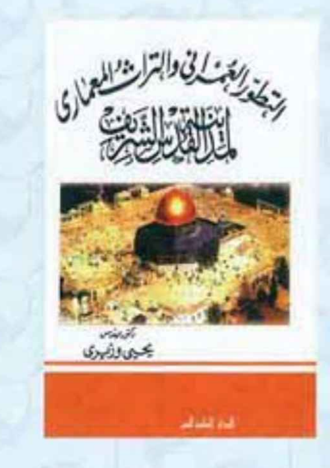
بدأ المؤلف رحلته من مسقط رأسه مراد آباد في الهند سنة ١٢٠١هـ، وعاد من رحلته سنة ١٢٠٣هـ بعد رحلة استغرقت سنتين وشهرين وأسبوعين، إذ دوّن مشاهداته في سفره البري والبحري من مراد آباد إلى أرض الحرمين، مرورًا بحضرموت واليمن، كما دوّن ملاحظات مهمة، مسهبة أحيانًا، وموجزة أحيانًا، وحرص على التاريخ والتعريف بالبلدان، وبقضايا فقهية وعلمية، كما استشهد في كتاباته بآيات الذكر الحكيم، وبالحديث النبوي، وبأبيات من الشعر، ذكر أصحابها أحيانًا، وتغاضى عن ذكر آخرين،

واعتمد المراد آبادي، بالإضافة إلى المشاهدات العينية، على كتب في موضوعات مختلفة تتعلق بموضوعه، ووصف الطريق والرفيق، ووصف المدن والقرى، وكتب عن الأمور الاجتماعية، التي تضمنت وصفه للبشر وفئات المجتمع وطبقاته، كما ذكر العلماء، والأدباء، والمدارس، وحلقات الدرس أينما ذهب وحلّ، وكتب عن الأمور الاقتصادية في تلك الحقبة من الزمن ذاكرًا الأسواق، والعملات النقدية، والبيع والشراء، والكراء، وحتى الصناعة وتطورها.

يذكر أن المؤلف هو مولانا رفيع الله بن فريد الدين المراد آبادي حفيد نواب عظمة الله خان الفاروقي حاكم مراد آباد، توفي سنة ١١٣٤هـ، وأخذ العلوم على يد العالم الهندي المعروف «شاه ولي الله الدهلوي» صاحب كتاب حجة الله البالغة، كما تلمذ لعلماء هنود كبار.

ترك المراد آبادي مؤلفات كثيرة منها «سلوى الكئيب بذكر الحبيب»، وهو في السيرة النبوية، و«شرح الأربعين» في الحديث، و«تذكرة المشايخ»، و«كتاب الأذكار»، و«تذكرة الملوك».

وزيري، يحيى/ التطور العمراني والتراث المعماري لمدينة القدس الشريف- القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٢١٢ص.

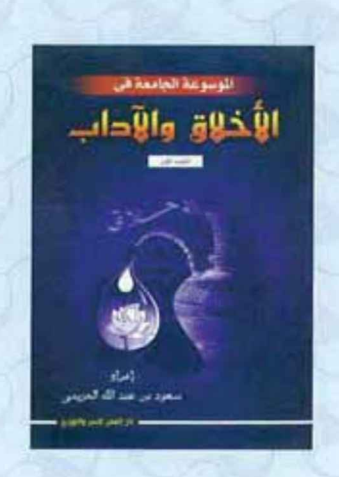


تتعرض مدينة القدس المبارك، منذ الاحتلال الإسرائيلي الغاشم لفلسطين، لأخطار التهويد، والاستيطان، وإزالة المعالم الإسلامية من الوجود؛ من أجل التمهيد لسيطرة اليهود عليها، وعلى حرمها الشريف، وإقامة الهيكل في الساحة المقدسة، بعد هدم جميع المقدسات الإسلامية الموجودة في رحابه من مئات السنين، وإعلان القدس عاصمة لإسرائيل الكبرى.

ويعدّ هذا الكتاب محاولة للتعريف بعمران القدس على مر العصور، وأن نشأتها كانت عربية، ويلقي الضوء بالتفصيل على تراثها المعماري الإسلامي، الذي يمثل نموذجًا لثقافة المقاومة، وشاهدًا أساسيًا على إسلامية القدس.

وتحاول هذه الدراسة أن تقدم فكرة عن تاريخ العمران في القدس والآثار والمباني الإسلامية الموجودة في رحابها، ورحاب المسجد الأقصى، حتى لا ننسى مقدساتنا الإسلامية في خضم الأحداث والأخطار التي تحيط بالقدس، والعالم الإسلامي. ويصبح هذا التراث ماثلاً في أذهاننا كخطوة على طريق الحفاظ على الوجه الإسلامي للقدس، واستعادة سيطرة المسلمين عليها.

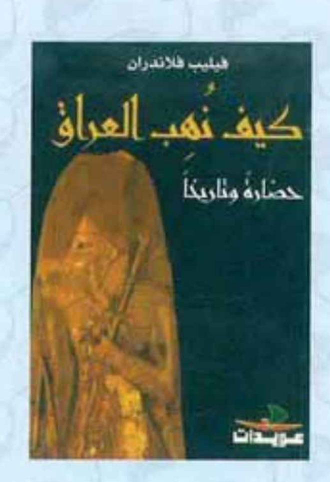
الحزيمي، سعود بن عبدالله/ الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، ٤مج- القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م، ٢١٣٢ص.



على الرغم من كثرة المؤلفات العربية في مجال الأخلاق، فإنها في الغالب تعاني عدة سلبيات متمثلة في قلة الإصدارات الموسوعية في مجال الأخلاق، وتغطية أغلب كتب الأخلاق لعدد محدود من الخصال والآداب، وميل أكثرها إلى أسلوب الوعظ والإجمال في عرض المعلومات، أو ذكر القليل منها لعدد كبير من الخصال والآداب، مع افتقارها إلى تنظيم يسهل عملية الوصول إلى محتوياتها.

تلقي هذه الموسوعة الأخلاقية الجامعة الضوء على أهم الصفات والآداب المحمودة والمذمومة، وما يسند تقويمها من كتاب الله تعالى، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأقوال سلف الأمة، وبلغ عدد موضوعاتها المطروقة (١٧٥) موضوعًا، وتقدم معلومات مختصرة حسب ما تقتضيه أسس الموضوعات الحديثة، وبذلك تلبي رغبات من أراد الإيجاز في مجال الأخلاق والآداب وحاجاته، ومن أجل تحقيق أهداف الموسوعة، تضمن كل باب من أبوابها التعريف اللغوي، وأهم الألفاظ المترادفة للمصطلح الرئيس، ومن ثم التعريف الاصطلاحي، وكذلك حصر الآيات القرآنية ذات العلاقة بكل خلق، واستنباط أهم الدروس والمفهومات والمعاني منها، وذكر أهم الأحاديث الشريفة ذات العلاقة بكل خلق وتخريجها.

فالندران، فيليب/ كيف نهب العراق حضارة وتاريخًا.. ترجمة: أنطوان الهاشم- بيروت: دار عويدات للنشر، ٢٠٠٥م، ٢٣٩ص.

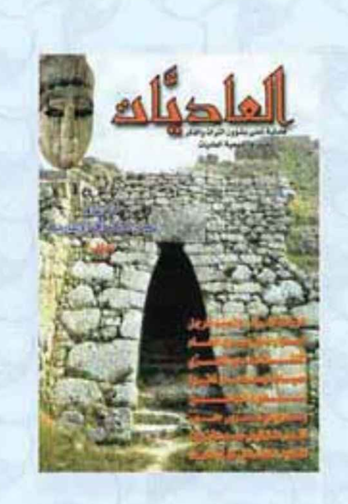


إن تراث العراق التاريخي والأثري، الذي لا يقل عن تراث مصر قديمًا هو اليوم مهدد بالزوال، فمنذ أبريل/نيسان عام ٢٠٠٣م، طرد اللصوص علماء الآثار في خرائب تلال سومر، وأكاد وآشور، وقد عجز الرئيس جورج بوش عن استباق نهب المؤسسات الثقافية العراقية الكبرى مثل: المكتبة الوطنية ومتحف بغداد، لكنه مع ذلك قد أنذر باحتمال حدوث نهب عام، قبل الغزو، ومن قبل القيادة العامة لجيش الاحتلال من وكالة الاستخبارات المركزية، ومن وزارة الخارجية، والجمعية العلمية بكامل أعضائها، وعلى الرغم من هذه التحذيرات فالمؤسسة الوحيدة، التي وفرت لها الحماية لدى دخول القوات الأمريكية إلى بغداد، هي وزارة البترول.

واضطرت حكومة الولايات المتحدة أخيرًا إلى أن تتحرك إزاء النقمة التي أثارتها صورة سلبية للجيوش الأمريكية لدى عرض نهب تراث بلاد ما بين النهرين على التلفاز مباشرة، وعمدت إلى إزالة الشكوك بحملة إعادة الآثار المسروقة، وكان على دوائرها الخاصة، بسبب الضغوط الممارسة عليها، أن تفاوض المافيات التي تسيطر اليوم على التجارة العالمية للعاديات.







العاديات (س١، ع١، ٢٠٠٤م)

مجلة فصلية تعنى بشؤون التراث، والفكر. تصدر عن جمعية العاديات في حلب. تنوعت موضوعات هذا العدد بين المقالات التاريخية والآثارية، وافتتح العدد بمقال لرئيس التحرير بعنوان «العاديات .. التاريخ والهدف»، ورسالة نادرة للمرحوم خير الدين الأسدي بشأن بعض الممارسات المشوهة للخصائص الأثرية في الجامع الأموي في حلب، وقدّم جمال محمود طحان دراسة أنثربولوجية بعنوان «الزراعة للمرأة .. والصيد للرجال» وقدّم محمد الراضي عرضًا لتجربة مدينة مصياف، وتطرق عبدالله حجار إلى المزارات الأثرية في بصرى الشام، وتناول مسعود ضاهر علاقة المثقفين العرب باليابان، وكتب محمد الأرناؤوط عن الحافظ إسلام لبرشتوي في دمشق، وراجع عبدالرحمن دركزللي كتاب «زبدة الحلب» لمؤلفه ابن العديم، وتناولت لمياء الجاسر المحاريب في مدينة حلب.

وتضمن العدد ملفًا عن مرور٧٥ عامًا على اكتشاف أوغاريت، شارك فيه كل من: صفوان شريتح، ومحمد قجة، وبسام جاموس، وأوليفيه كالو، وملاتيوس جغنون، وفراس السواح، وحسن محمد يوسف، وسجيع قرقماز.

وفي الملف الإبداعي ترجمة لفصل من كتاب أدونيس عن حلب، أعدّه نضال نجار، وقصة للدكتور أحمد زياد محبك بعنوان «حبة فستقة واحدة» وقصيدة «حوارية بين القلعة والمتنبي» للشاعرة بهيجة مصري إدلبي.

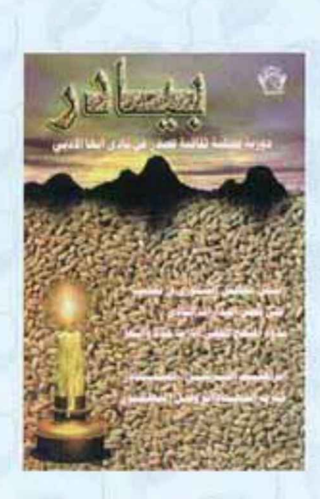
واحتوى العدد على مقال لتميم قاسم عن تقاليد الكناسة الحلبية في كتاب «اللباد»، وكتب إسماعيل نوفل عن الناعورة والأسطورة، وتناول عمر الدقاق أشعار الترقيص عند الأمهات.

كما احتوى العدد عرضًا لأنشطة جمعية العاديات، وعرضًا لكتاب «مساجد القيروان» للدكتورة نجوى عثمان، أعدّه أحمد حسن الخميسي، وآخر الإصدارات . وختم العدد بمقال لوليد إخلاصي بعنوان «ذاكرة المدينة».

العنوان: حلب ص ب ٦٤٧٤

هاتف: ٢٢٦٧٦٧٤/ ناسوخ: ٢٢٨٥٧٣٠

بريد إلكتروني: adyat@scs_net.org



بيادر (ع٤٥، المحرم ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)

دورية فصلية ثقافية إبداعية تصدر عن نادي أبها الأدبي، حفل هذا العدد بدراسات ونصوص إبداعية، ففي مجال الدراسات، كتب الدكتور غيثان بن علي جريس عن التاريخ ودوره في الحفاظ على الهوية الإسلامية، وتناول الدكتور سعيد عايض الزهراني موضوع الإصلاح من الداخل، وتطرق الأستاذ

متعب عوض الغامدي إلى الأمن في عهدالملك عبدالعزيز (البناء والتأسيس ... رؤية شعرية). وتضمن العدد حوارًا مع الأستاذ إبراهيم التركي مسؤول الصفحات الثقافية في صحيفة الجزيرة، حاوره عبدالله أحمد الحامد، وتضمن العدد ردًا من الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد رئيس مجلس الشورى حول بعض إصدارت النادي الأدبي بأبها.

وفي باب واحات كتب كل من: توفيق شبيب، وطلال الطويرقي، وحليمة مظفر، وعصام ترشحاني، وعزت الطيري، وإبراهيم الوافي، ويحيى قاسم العبدلي، ونورة الخاطر، وعبدالرحمن بن حسن البارقي.

وضمن السرديات كتب كل من: إبراهيم مضواح الألمعي، وعيسى مشعوف الألمعي، وياسمينة صالح، والدكتور محمد منصور ربيع المدخلي.

وفي باب بدايات الذي يحتفي بالمبدعين الجدد شارك كل من: عبدالعزيز إبراهيم العمري، وعلي سعد فيصل القرني، وسالم سعد مرزوق اليامي.

وتضمن العدد قراءة نقدية لرواية «السقوط» لمؤلفها إبراهيم محمد شحبي، قدّمه عبداللطيف الأرناؤوط، وختم العدد بمقال لعائشة حسن راشد الشهري عن «المرأة السعودية».

العنوان:

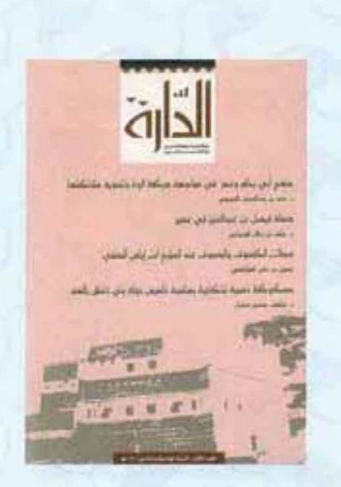
نادي أبها الأدبي ص.ب: ٤٧٨

هاتف: ٢٢٤٤٢١٠

ناسوخ: ٢٢٦٢١٦٥

البريد الإلكتروني: adabiabha@hotmail.com

موقع النادي على الإنترنت: adabiabha.com



الدارة (س٣١، ع١، ١٤٢٦هـ)

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز العامة، تعنى بنشر البحوث العلمية ذات العلاقة بتاريخ المملكة العربية السعودية، وجغرافيتها، وآدابها، وآثارها الفكرية، والعمرانية خاصة، والجزيرة العربية والعالم العربي والإسلامي عامة.

احتوى هذا العدد على بحوث تاريخية، بدأها الدكتور سعد بن عبدالرحمن العيسى بدراسة عن منهج أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في مواجهة حركة الردة وتسوية مشكلاتها، وتناول الدكتور خلف بن دبلان الوذيناني حملة الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود في عسير (١٣٤٠ - ١٣٤١هـ/١٩٢٢ - ١٩٢٣م)، وتطرق الأستاذ حسين بن علي الطرابلسي إلى سجلات الكشوف والخسوف عند المؤرخ ابن إياس الحنفي في كتابه

«بدائع الزهور» ومقارنتها بالحسابات الفلكية الحديثة، ودرس الدكتور عاطف منصور رمضان مسكوكة ذهبية تذكارية بمناسبة تأسيس دولة بني تغلق بالهند (٧٢٠. ٨١٥هـ/ ١٣٢٠ ١٤٢٣م)، ورصد الأستاذ حمد بن عبدالله العنقري ٤٩ علمًا وشخصية من الخليج العربي في الوثائق البريطانية، وترجم الدكتور محمد بن منصور أبا حسين كتاب «رحلة للبحث عن فسائل النخيل في المملكة العربية» الدوسون، وراجع الدكتور محمد بن سليمان الخضيري كتاب «إمارة آل علي في منطقة حائل وعلاقتها بالدولة السعودية الأولى والثانية والدعوة الإصلاحية في نجد» للأستاذ محمد بن مهنا آل علي، وختم العدد بملخصات الكتب.

العنوان:

ص ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١

هاتف: ٤٠١١٩٩٩

فاكس: ٤٠١٣٥٩٧

البريد الإلكتروني: magazin@darah.org.sa

مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية (مج١١، ع١، المحرم. جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ/ فبراير. يوليو ٢٠٠٥م).

مجلة نصف سنوية محكمة تصدر عن مكتبة الملك فهد الوطنية، زخر هذا العدد بدراسات ومقالات، بدأها الأستاذ سالم محمد السالم بدراسة عن صناعة المعلومات: المفهوم والنشأة والتطور، وقدم هاشم عبدالله عباس «دراسة تطبيقية لقياس جودة خدمات المكتبات الجامعية: مكتبة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة أنموذجًا»، وكتب عبدالرشيد بن عبدالعزيز الحافظ عن «التخطيط لإنشاء موقع لأقسام المكتبات والمعلومات على الشبكة العنكبوتية»، وتناول عبدالمجيد بوعزة المكتبات الرقمية وبعض القضايا الفكرية.



وكتبت إيمان عبدالعزيز بانجة دراسة ميدانية تقويمة للتربية المكتبية لطالبات المرحلة الثانوية بمدينة جدة، وتطرق عيسى عيسى العسافين إلى التأهيل الأكاديمي في علم المعلومات والمكتبات بجامعة قطر، وكتبت تهاني عمر عبدالعزيز عن كيفية الإفادة من الإنترنت من جانب الأكاديميين المصريين في العلوم الاجتماعية.

وقدم عبدالله علي الفضلي دراسة بيلومترية تحليلية إحصائية عن الإنتاج الفكري الصادر عن جامعة صنعاء في الفترة من (١٩٧٦ ـ ٢٠٠٢م)، وجاءت دراسة محمد خير البقاعي عن حمد الجاسر ورحلات الغربيين إلى

الجزيرة العربية، وكشف سهيل صابان عن خطاب عربي لتشارل هوبر في الأرشيف العثماني.

وحوى العدد كشاف المجلة من المجلد الأول إلى المجلد العاشر، أعده خالد الفريح، ود. سامر محمد أسعد، وفرماد عبدالوهاب، وفي باب المراجعات. قدم وليد نذير عتمة أضواء على كتب حديثة، وختم العدد ببيان البحوث الجارية أعدّه عبدالله محمد حسن العبدالمحسن.

العنوان:

ص.ب: ٧٥٧٢ . الرياض: ١١٤٧٢

هاتف: ٤٦٢٤٨٨٨

ناسوخ: ٤٦٤٥٣٤١

عالم الكتب (مج٢٦، ع٣، ٤، ذو القعدة . ذو الحجة ١٤٢٥هـ . المحرم . صفر ١٤٢٦هـ/ يناير . فبراير . مارس . إبريل ٢٠٠٥م).

مجلة متخصصة في الكتاب وقضاياه، تصدر عن دار ثقيف للنشر والتأليف.

تضمن العدد مجموعة من الدراسات ومراجعات الكتب والكشافات والاصدارات الحديثة، ففي مجال الدراسات كتب محمد عبدالله حباني عن عند المحدثين، وقدم محمد بن عبدالله القناص دراسة موسعة لنسخة فريضة الصدقة، كما رواها أنس بن مالك، رضي الله عنه . رواية ودراية، وبيّن عمر بن علي الصامل اختلاف عنوان الكتاب في المؤلفات البلاغية، وأوضح علي عبدالله إبراهيم موقف الإسلام من الشعر وأثره في الخطابين: النقدي والبلاغي عند العرب، واستعرض محمد بن مبارك اللهيبي تطبيقات الإنترنت في التعليم الإلكتروني.



وراجع عبدالكريم عوفي كتاب «شرح الفصيح لابن هشام اللخمي» تحقيق مهدي عبيد جاسم، وأعدّ نجيب الخطيب كشافًا لمجلة كليات المعلمين من المجلد الأول ١٤٢٢هـ . المجلد الرابع ١٤٢٥هـ.، كما أعدّ حصرًا للدوريات والكتب الصادرة حديثًا.

العنوان:

ص.ب:٢٩٧٩٩ الرياض ١١٤٦٧

هاتف:٤٧٦٥٤٢٢

ناسوخ:٤٧٦٣٤٢٨

أعلام في التراجم والسير الإسلامية بجمهورية الصين الشعبية

خنوس يعقوب
المسيلة ـ الجزائر

توجد بجمهورية الصين الشعبية التي يفوق عدد سكانها المليار نسمة قوميات متعددة تتعدى الـ ١٠٠ مليون نسمة تعتنق الإسلام الحنيف.

وبها علماء أعلام، ذاع صيتهم في التراجم والسير، ويمكن القول: إن الصين بها أنواع كثيرة من ترجمات معاني القرآن الكريم إلى الصينية، منها ترجمة معاني مقتطفات من القرآن الكريم، أو معاني أجزاء منه، أو الترجمة الكاملة، ومع بعضها يوجد التفسير، أسلوبها اللغوي وطبعاتها مختلفة، وبالنسبة إلى تطوير الترجمة، بدأ المسلمون في فترة أسرة تشنغ عام ١٦٤٤، ١٩١١م في ترجمة بعض المقتطفات بحذر شديد، وبصورة تجريبية، ثم جربوا الترجمة وفقًا للترتيب الأصلي.

بعد ذلك شارك عدد من علماء قومية هان في هذه الترجمة، وهذا ما أشعل حماسة العلماء المسلمين في هذه الترجمة، فأسرعوا بهذه العملية، وتحسن وضع الترجمة من الترجمة اليابانية أو الإنجليزية إلى الترجمة العربية مباشرة مع مراجعة الترجمات باللغات المختلفة، فرفعوا مستواهم في هذه الترجمة. وقام بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الصينية علماء مسلمون من قوميات هوي، والويغور، والقازاق، وعلماء من قومية هان، أتموا الترجمة إلى لغة هان ـ اللغة الصينية الرسمية ـ واللغتين الويغورية والقازاقية، وهذا ما لبّى حاجات معظم المسلمين الصينيين.

ففي السنوات الأخيرة نشرت دار القوميات للنشر الترجمة الويغورية والقازاقية لمعاني القرآن الكريم رسميًا. ولأن تعداد سكان قومية الويغور يتجاوز ٢٢، ٧ ملايين نسمة، وتعداد سكان قومية القازاق، نحو ١٢، ١مليون نسمة، وإجمالي تعداد سكان القوميات الأربع الأخرى أقل من ٢٠٠ ألف نسمة فقط، ومعظمهم يجيدون اللغتين الويغورية أو القازاقية لذلك أشبعت الترجمتان رغبة أبناء هذه القوميات الست في دراسة القرآن الكريم أساسًا.

ولأن هناك تقاربًا كبيرًا بين الطبعتين الويغورية والقازاقية من حيث التصميم والترتيب، فقد تمت طباعة الترجمة من الأصل العربي.

أعلام الترجمة بجمهورية الصين

ـ لين سنغ: الذي يعدّ المترجم الكفء في هذا المجال الدقيق، وقد قام بترجمة معاني القرآن الكريم مرتين.

ـ محمد مكين: نشرت ترجمته في بر الصين الرئيس بعد ولادة الصين الجديدة، صدرت عن دار النشر بمعهد القوميات المركزي في العاصمة بكين في شهر يوليو عام ١٩٨٨م بطبعتين، اللغة الصينية

مع اللغة العربية. وطبعة باللغة الصينية. وترتيب الترجمة الصينية يناظر الترتيب باللغة العربية لكتاب لينغ سونغ بأسلوب مسجع رآه العلماء المسلمون الصينيون أول تجربة من هذا النوع في عموم جمهورية الصين.

. يحيى لينغ سونغ: من قومية هوي المسلمة، ويعمل بالتدريس وبحوث الأدب الصيني الكلاسيكي في جامعة القوميات المركزية ببكين. إضافة إلى ذلك يهتم بالبحوث حول تاريخ قومية هوي الصينية المسلمة، والثقافة الإسلامية مقتفيًا أثر والده وعمه اللذين كانا من أفراد بعثة الطلاب الصينيين إلى الأزهر الشريف . بمصر . في ثلاثينيات هذا القرن.

. تونغ داو تشانغ: من قومية هوي المسلمة، من مواليد محافظة خشيانغ بمقاطعة أنهوي بالصين. تخرج في جامعة فودان بشانغهاي. وله مستوى عال في اللغتين الإنجليزية والصينية. وهو من بين المتحمسين لنشر الثقافة الإسلامية بالصين متأثرًا بأسرته الكريمة.

قام بالترجمة معتمدًا على الترجمة الإنجليزية لعبد الله يوسف، وعلى مراجعة الترجمة الإنجليزية لمحمد مارمادوك Muhamad Marmaduke. Pickh، وغيرها من ١٩ ترجمة إنجليزية وصينية وفرنسية استغرقت الترجمة ١٧ عامًا ثم أرسل شمس الدين تونغ داو تشانغ ترجمته إلى الصين، ونشرتها دار ييلين بنانجينغ في نوفمبر/ تشرين عام ١٩٨٩م.

. عثمان تشو تشونغ تشي: من العلماء الصينيين المغتربين، ومن كبار المترجمين. ولد في عام ١٩٥٥م بمحافظة بنغشانغ بمقاطعة انهوي. وتعلم في جامعة نانجينغ، ثم هاجر إلى بريطانيا عام ١٩٨٦م، وبدأ ترجمة معاني القرآن الكريم بطريقة ما يسمى بالأحمدية، مما أثار اشمئزاز المسلمين الصينيين وحفيظتهم آنذاك.

. ما يماتي سايلاي: عالم مسلم صيني كبير تخرج في المعهد الصيني للعلوم الإسلامية عام ١٩٦٢م. يرأس منصب رئيس معهد شينجيانغ للعلوم الإسلامية، يجيد عدة لغات، ومستواه في اللغة العربية ممتاز، طبعت ترجمته، وأعيد نشرها حتى اليوم إلى أن بلغ عددها ٢١٩٥٠٠ نسخة.

كرمته جمهورية مصر وبرفقته ١٥عالمًا بمناسبة مولد النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

اهتمام كبير بترجمة معاني القران الكريم

يهتم المسلمون الصينيون بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية كثيرًا، آملين أن يجدوا أكثر من ترجمة.

ومنهم ذوو المستوى العالي في اللغة الصينية والإنجليزية، يدرسون القرآن الكريم وفقًا للترجمة الصينية الإنجليزية، ويتطلعون اليوم إلى ترجمته إلى لغتهم الصينية بأنفسهم: من بينهم تونغ شمس الدين داوتشانغ الأمريكي ذو الأصل الصيني.

المراجع

. فريدة وانغ هو Farida Ouang. ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الصينية. ص٣٣، ٣٤، ٣٥.

. مجلة الصين اليوم، اغسطس/آب ١٩٩٩م.Road Beiting.

Ching International Book. C.